محمد رضوان

شاعر الهمسات

أحمد عبد المجيد

حياته وشعره وقصائده المجهولة

مكتبة جزيرة الورد

بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب: شاعر الهمسات - أحمد عبدالمجيد

تأليف: محمد رضوان

رقم الايداع / ٢٠٨٣٢/٢٠١٦

الطبعة الأولى ٢٠١٦



القاهرة: ٤ ميدان حليم - خلف بنك فيصل

شارع ٢٦ يوليو - من ميدان الأوبرا

٢٧٨٧٧٥٧٤ - ٠١٠٠٠٠٠٤٠٤٦

Tokoboko_5@yahoo.com

محمد رضوان
ناقداً ومؤرخاً أدبياً

بقلم د. ماهر شفيق فريد

فى شهر مارس ٢٠١١ صدر كتاب «أحمد خميس شاعر الروابى الخضره» للأديب الناقد محمد محمود رضوان وهو أحدث حلقة فى سلسلة مؤلفاته التى اطرد صدورها منذ أكثر من ثلاثين عاماً وشكلت إضافة غنية إلى حقل الدراسات الأدبية فى مجال الشعر العربى الحديث فى مصر وذلك - بخاصة - فى النصف الأول فى القرن العشرين من اهتمام خاص بشعراء مدرسة أبوللو وما أعقبها من امتدادات.

وأحمد خميس «١٩٢٥-٢٠٠٨» - الذى شدا محمد عبدالوهاب بقصيدته «الروابى الخضر» وعرفه الكثيرون ممثلاً سينمائياً وتليفزيونياً ومذيعاً أكثر مما عرفوه شاعراً من أكبر ممثلى المدرسة الوجدانية فى الشعر المصرى لم يلق شعره التقدير الذى يستحقه ولم يظفر قط بجائزة من هذه الجهة أو تلك مما يجعل من كتاب محمد رضوان تصحيحاً - جاء فى وقته - لوضع خاطئ وإزالة لظلم لحق بفنان متمكن من أدواته، عارف بلغته، قادر على التواصل مع قارئه دون تعمية أو معاظلة .

ويسلك محمد رضوان فى هذا الكتاب منهجه الوجدانى - الذى يجمع بين التحليل الموضوعى والاستجابة العاطفية، ولا يخشى أن يتهم بالانطباعية أو الذاتية فهو

(١) د. ماهر شفيق فريد: ناقد أدبى ومترجم وقاص «مواليد القاهرة ١٩٤٤» من مؤلفاته: فى الشعر الإنجليزى المعاصر، ممالك الذهب - فى الأدب والنقد.

يحرص على أن نتلمس نبضات قلب الشاعر المدروس، وأن يعيش خبرته الوجدانية من الداخل. وأن ينقل إلى القارئ ما انطبع على صفحة روحه من تجربته الفنية.

وعلى هذا يؤكد رومانسية خميس الغنائية بوصفها مفتاح فهمه، وسيرته وثقافته، واستحضاره للشخصيات التاريخية، وشعره فى الحب، ورباعياته التى تستحق المقارنة برباعيات الخيام، ويشفع هذا بمختارات من شعره الوجدانى والتأملى والوصفى.

وقبل هذا أصدر محمد رضوان كتيباً عن «شاعر ليالى الهرم صالح جودت» «عدد خاص من مجلة الثقافة الأسبوعية ٣ يوليو ١٩٧٥» تتبع فيه مؤثراته الوراثية. وقراءاته التى كونته، ودراساته، واتصاله بجماعة أبوللو، ودور المرأة فى حياته وعمله، وصدقه الفنى، واستخدامه للصورة الشعرية.

وفى السياق نفسه أصدر كتباً عن شاعر الكرنك أحمد فتحى، وشاعر الأطلال إبراهيم ناجى وشاعر الجندول على محمود طه المهندس. كما خص صالح جودت بدراسة أخرى معمقة عنوانها «شاعر النيل والنخيل».

ويرتد محمد رضوان إلى الوراء قليلاً فى الزمن فيخرج طبعة محققة لديوان شاعر البؤس عبدالحميد الديب «١٨٩٨ - ١٩٤٣» قدم لها فارق شوشة «المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠٠» وكان رضوان قد أخرج عنه كتاباً عنوانه «فليسوف الصعاليك عبدالحميد الديب» «مركز الراية بالقاهرة ١٩٩٩». وفى مقدمته للديوان - وهى تستحق أن تقوم دراسة قائمة برأسها - استعرض سيرته وبؤسه وصعلكته وإدمانه الخمر ثم الكوكايين وما عاناه من حرمان وزواجه ووطنيته وحياته فى الوظيفة ثم نهايته المؤسية بعد حياة قصيرة فى حساب الزمن ولكنها أنتجت شعراً نابضاً «بالحرارة والصدق والعذاب».

ومن الشعر ينتقل محمد رضوان إلى النثر فيخرج كتاباً عنوانه «صفحات مجهولة

من حياة زكى مبارك» (كتاب الهلال أكتوبر ١٩٧٤) وهو - على حد تعبير صالح جودت كاتب مقدمته - كتاب «تتعادل فيه روح الوفاء مع روح البحث «هنا يرى رضوان أن مفتاح شخصية مبارك (١٨٩١-١٩٥٢) هو «الصدق» الفنى والأخلاقى وتحدث عن حياته وثقافته، ودور المرأة فى إبداعه، وملامح شخصيته، ومعاركه الأدبية، ومأساته عاشقاً للجمال حتى النفس الأخير، كما كتب عن السندباد الطائر أنيس منصور «دار المعارف ١٩٨٣». وفى فترة أحدث أخرج رضوان كتاباً نفيساً - على وجازته - عن «مصطفى محمود مشوار العمر» (سلسلة اقرأ، دار المعارف ٢٠١٠) أود أن أتوقف عنده وقفة قصيرة هنا.

كان مصطفى محمود «١٩٢١-٢٠٠٩» ظاهرة متميزة فى حقلنا الأدبى بما هو طبيب أديب، جمع بين المعرفة العلمية والذوق الأدبى، ومر فكره بتطورات درامية من مرحلة الشك فى كتابه الأول «الله والإنسان» (١٩٥٧) حتى مرحلة الإيمان الذى يوشك أن يكون صوفياً، وقد رصد محمد رضوان هذه المراحل كلها متوقفاً عند إنجازات مصطفى محمود الأدبية. ورحلته نحو اليقين، ومعاركه الفكرية، وسجاياه الإنسانية، وتأملاته الفكرية، وجمعه بين العلم والإيمان.

وإذا تركنا كتابات محمد رضوان عن كتاب أفراد فربما كان خير مدخل إلى فكره النقدى هو كتابه الممتع المسمى «رحلتى مع القلم» وقد صدر فى مسقط، عاصمة سلطنة عُمان سنة ١٩٨٤، وقدم له السفير الشاعر الأديب أحمد عبدالمجيد، وكتابه أشبه بسيرة أدبية، أو ترجمة لجوانب من حياته من منظور الأدب، وذلك منذ شب فى قرية «الجمالية» بمحافظة الدقهلية المطلة على البحر الصغير حتى بدأ يكتشف عالم القراءة السحرى، ثم أقام بالقاهرة والتحق بكلية دار العلوم حيث كانت فترة دراسته الجامعية بها «١٩٦٦-١٩٧٠» من أخصب سنوات حياته وأحفلها بتجارب الأدب

والفن. ويروى لنا كيف اتجه إلى أدب السير والتراجم منذ وقع فى يده ديوان إبراهيم ناجى «ليالى القاهرة» فى عام ١٩٦٢ تقريباً، ثم قرأ كتاب صالح جودت عن ذلك الشاعر الطبيب.

ويسجل محمد رضوان ذكرياته عن أعلام عرفهم مثل أنور الجندى وتوفيق الحكيم وأحمد حسن الزيات وصالح جودت ويوسف السباعى وإبراهيم المصرى وأنيس منصور وأحمد عبدالمجيد وعبدالعليم القبانى ومحمود البدوى ورستم كيلانى وإبراهيم عبدالحميد عيسى وأحمد خميس ومقداد يالجن ومحمد الجيار.

وتستغرق النصف الثانى من كتابه دراسات عن ناقدنا بأقلام صالح جودت وأنيس منصور وسعد حامد وحلمى القاعود ونبيل راغب وعبدالعليم القبانى والمفكر التركى مقداد يالجن وإبراهيم عيسى وأحمد عبدالمجيد وكمال النجمى ألقوا فيها الضوء على مؤلفاته «وبخاصة كتبه عن زكى مبارك وعبدالحميد الديب وناجى وصالح جودت وأحمد فتحى وعلى محمود طه وأنيس منصور فضلاً عن كتابه عن أبطال الإسلام ومنهجه فى كتابة السير والتراجم.

وطبيعى أن يخوض محمد رضوان - فى حياته الأدبية التى توشك أن تغطى أربعة عقود - عدداً من المعارك الأدبية، تميز فيها بسطوع الحجة، وبلاغة القلم، وعفة اللسان.

وفى زمن جنح فيه النقد الأدبى إلى الوعورة والمعاظلة، حتى صار الناقد منفراً لا مبشراً، تبرز كتب محمد رضوان ومقالاته نموذجاً للوضوح الجميل، والبساطة التى لا يعوزها العمق، وإشراق اللغة، والتمكن من تراث العربية شعراً ونثراً مع نزوع إلى التجديد دون تطرف، وحفاظ على الموروث دون جمود، وستظل حياتنا الأدبية مدينة له بإزالته الغبار عن قيم أدبية لم تلق فى عصرها ما تستحقه من تقدير وإكبار فهو - إذا استعرنا كلمة شوقى فى رثاء حافظ - منصف الموتى من الأحياء، أو هو - كما يقول

فاروق شوشة – قد «وقف قلمه على إنصاف كثير من الأدباء والشعراء، ونشر المجهول من أعمالهم الإبداعية وإعادتهم إلى قلب الذاكرة الأدبية» كما يقول الشاعر فاروق شوشة فى كتابه «جمر الكتابة»، المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة سنة ٢٠١٠، ص١١٧).

واليوم.. وفى إطار سعيه الدائب إلى استنقاذ تراث الكتاب والشعراء الموهوبين الذين سقطوا – أى كادوا – من الذاكرة الأدبية، يقدم محمد رضوان هذا الكتاب عن «شاعر الهمسات أحمد عبدالمجيد» وموضوعه هذا الشاعر الدبلوماسى الذى قد لا يعرف الكثيرون أنه مؤلف الأغانى الراقية التى تغنى بها محمد عبدالوهاب، كلنا نحب القمر، مريت على بيت الحبايب، خايف أقول اللى فى قلبى، حسدونى وباين فى عنيهم.

ولم يكن أحمد عبدالمجيد (١٩٠٥–١٩٨٠) شاعراً من أكبر ممثلى التيار الوجدانى فى الشعر العربى، إذا استخدمنا تسمية الدكتور عبدالقادر القط للحركة الرومانسية، فحسب، وإنما كان أيضاً صاحب أبحاث سياسية وكتب عن أحمد شوقى وعن فن الأغنية، وعدد من الكتب المترجمة فى السياسة والأدب والتاريخ.

ولأحمد عبد لمجيد كتاب عنوانه «سندباد دبلوماسى» (سلسلة اقرأ، ديسمبر ١٩٧٣) أهداه إلى شريكة حياته وضمنه فصولاً عن خبراته فى السلك الدبلوماسى وعمله فى اليونان والولايات المتحدة الأمريكية وفلسطين والأردن وميلانو ولبنان وتركيا وألمانيا الغربية وسوريا وروما وبلغاريا، وفى ديوان وزارة الخارجية المصرية وفى جامعة الدول العربية.

وله كتاب عنوانه «أضواء على الدبلوماسية» كتب عنه يحيى حقى فى جريدة المساء ٢٦/ ٧/ ١٩٧٠ فقال عن مؤلفه: «إنه شاعر رقيق له ديوانان أولهما «همسات» وثانيهما «أوراق الخريف» يتمثل فيهما الشعر وهو يتخلص من الذوق الكلاسيكى إلى الذوق الحديث».

وكتابه الآخر فى سلسلة اقرأ «عام ١٩٧٦» «رحلة مع الظرفاء» (وقد كان هو ذاته يحسب فى عدادهم) يبدأ بتوطئة عن عالم الفكاهة والمجون، ناظراً إليهما فى ضوء العلم والفلسفة، وعلاقة الفكاهة بالأدب فى جميع عصوره، وأدب الفكاهة فى المسرح والشعر وفن التصوير، وفى الأدب والصحافة، وأعلام الفكاهة فى الغرب مثل برنارد شو ووايلد وتشرشل وساشا جترى ومارك توين والفكاهة بين الموسيقيين والسياسيين، وأعلام الفكاهة فى التراث العربى وفى مصر حيث يتوقف عند حافظ إبراهيم وإمام العبد وعبدالعزيز البشرى وحفنى ناصف وأحمد رامى وأم كلثوم ومحمد البابلى وحسين الترزى، ومجالس الظرفاء، واستخدام الفكاهة فى نقد الأوضاع السياسية والاجتماعية.

ويبدأ محمد رضوان كتابه عن أحمد عبدالمجيد بسرد أهم المعالم فى حياته، والمؤثرات الأدبية التى دخلت فى تشكيل موهبته، ثم يتناول ملامح شخصيته، والحب فى حياته، ودوره فى تطوير الأغنية المصرية، ثم يختتم الكتاب بمختارات سخية من شعره تكشف عن الصدق الوجدانى لهذا الشاعر ومزايا فنه الشعرى من صور وموسيقى ومعان مبتكرة.

ويزداد الكتاب قيمة بما حوى من مراسلات شخصية بين أحمد عبدالمجيد ومحمد رضوان، ومختارات من ديوان عبدالمجيد المخطوط وعنوانه: «نجوى»، وهو مفقود لم ينشر بعد، ولكن رضوان أتاح لنا إطلالة على ما فيه وأورد منه قصائد كاملة.

ومن أهم الآثار التى حققها محمد رضوان الأعمال الكاملة لشاعر الجندول على محمود طه المهندس (١٩٠١-١٩٤٩) فى ثلاثة مجلدات صدرت عن الهيئة العامة لقصور الثقافة (عام ٢٠١٠) وقد ضمت دواوين: الملاح التائه/ ليالى الملاح التائه/ زهر وخمر/ الشوق العائد/ شرق وغرب، ومسرحيتين شعريتين: أرواح وأشباح/ أغنية

الرياح الأربع، فضلاً عن عدد من القصائد المجهولة لم تكن فى متناول القارئ من قبل.

وعلى محمود طه - إلى جانب إبراهيم ناجى - هو أكبر شعراء الحركة الرومانتيكية فى مصر فى ثلاثينيات القرن العشرين وأربعينياته، وأحد أعلام مدرسة أبوللو، وقد كتب عنه الدكتور طه حسين عام ١٩٣٤ يقول: إن شخصيته الفنية فيها خفة الروح، وعذوبة النفس، وفيها هذه الحيرة العميقة، الطويلة العريضة، التى لا حد لها، كأنها محيط لا يوجد على الأرض.

وفى المجلد الأول من الأعمال الشعرية صوب المحقق عدداً من الأخطاء اللغوية والعروضية للشاعر مما يشهد بتمكن محمد رضوان من علوم العربية من نحو وصرف وعروض وأهليته للعمل الذى أخذه على عاتقه.

والمفاجأة الشائقة التى يفاجأنا بها محمد رضوان هى أنه جمع أيضاً عام ٢٠١٠ الكتابات النثرية لشاعر الجندول على محمود طه، وفيها حكايات من وحى رحلاته الأوروبية ومغامراته النسائية وزيارته لمنزل الموسيقار الألمانى رتشارد فاجنر فى تربيش بمقاطعة لوسرن، وترجمته مقالة عن الأدب الإنجليزى الحديث للكاتبة الإنجليزية ربيكا وست، ودراسات عن الشعراء بول فرلن وشارل بودلير وأحمد شوقى، وترجماته نماذج من الشعر الفرنسى والإنجليزى والأمريكى لبودلير ودى موسيه وأوزبرت سيتول وإدنا فنسنت ميلارى وغيرهم، وتأملاته - الأقرب إلى الشعر المنثور - فى الليل والحب والشعر.

وثمة شاعر آخر من شعراء مدرسة أبوللو، أو من شبابهم، يشارك على محمود طه منزعه الآبيقورى، وجه إليه محمد رضوان اهتمامه فى أحدث إصداراته، وذلك فى كتابه المسمى صالح جودت: شاعر الحب والحرية: حياته - شعره - قصائده المجهولة - (مكتبة جزيرة الورد ٢٠١٢) حيث أدرج دواوين جودت الستة: ديوان صالح جودت

(بمقدمة للدكتور أحمد زكى أبوشادى) (١٩٣٤) ليالى الهرم (١٩٥٧) أغنيات على النيل (١٩٦٢) حكاية قلب (١٩٦٥) ألحان مصرية (١٩٦٧) الله والنيل والحب (١٩٧٣).

ووطأ رضوان للكتاب بمقدمة عن صالح جودت (١٩٠٨-١٩٧٦) شاعراً وإنساناً، وزود القصائد بهوامش مفيدة، وأدرج قصائده المجهولة التى لم تجمع فى دواوين أثناء حياته، كما أورد ترجماته «نظما» لقصائد من الشاعر الفرنسى ألفرد دى فينى، والشاعرة الأمريكية إيلا ويلر ولكوكس «وهى من شعراء الدرجة الثالثة»، وفرانشسكو إبروبيللو الذى كان سفيراً للأرجنتين فى القاهرة، فضلاً عن ترجماته لقصائد «مكتوبة أصلاً بالفرنسية» لتوفيق الحكيم وسلوى حجازى وعلية فهمى.

والكتاب امتداد لعملين سابقين عن صالح جودت لرضوان هما: شاعر ليالى الهرم صالح جودت «عدد خاص من مجلة الثقافة الأسبوعية ٣ يوليو ١٩٧٥ وصالح جودت شاعر النيل والنخيل ١٩٧٧، وخيوطه الرئيسية، كما يلخصها رضوان هى: الله، والحب، ومصر والعروبة.

وصف الدكتور محمد مندور فى الحلقة الثالثة من كتابه فى الشعر المصرى بعد شوقى، صالح جودت بأنه «شاعر عابث لعوب يشف عن روح الصالونات المصرية، وما يجرى فيها من دعابات غزلية عابثة» (من عجب أن ينحاز هذا الشاعر الحسى إلى طلعت حرب المحافظ ضد قاسم أمين المتحرر فى مسألة الحجاب محذراً من «عبث اللبؤة إن نام الأسد» وهذه إحدى المفارقات الكثيرة فى عمله وشخصيته).

وقال عنه مصطفى عبداللطيف السحرتى فى كتابه «دراسات نقدية» (١٩٧٣) إن «حبه للمرأة لم يكن حباً أفلاطونياً، ولا حباً فكرياً، ولا حباً عاطفياً، ولكنه حباً شهوياً، لإنه يرى أنه الحب الحقيقى».

وفى كتاب -»كوكبة من شعراء العصر» (١٩٩٥) كتب الدكتور بدوى طبانه: إنه

فى الطليعة من شعراء العربية الذين يجيدون فى الوصف الذى قل فيه المبدعون، فإن له قدرة فائقة على التأنق فى رسم لوحات فنية ناطقة فى شعره الوصفى».

ولكاتب هذه السطور تحفظات كثيرة على صالح جودت، خاصة فيما يتصل بموقفه، من الشعر الجديد، ومعاركه مع مفكرى اليسار والشعراء القرامزة كما كان يدعوهم.

لكن هذا كله لا يلغى إقرارى بموهبة جودت الشعرية الكبيرة، وجرأته الفكرية فى مبتدأ حياته - بخاصة - كما تتمثل فى قصائده «الإنسان الأول» و«الراهب المتمرد»، و«دين جديد» (على نحو يذكرنا بجرأة الزهاوى صاحب «ثورة فى الجحيم» والعقاد صاحب «ترجمة شيطان»، وله قصيدتان على الأقل ستظلان تترددان فى الأسماع ما بقى للطرب الأصيل مكان فى الأرواح والعقول والنفوس: «يا زهرة فى خيالى» التى تغنى بها فريد الأطرش و«قاهرتى» التى تغنت بها فايزة أحمد.

ويحسب لصالح جودت إلى جانب الكتب التى ترجمها عن الإنجليزية والفرنسية، وأعماله القصصية، كتاباته النقدية عن الشعر العربى قديماً وحديثاً، مثل كتابه «شعراء المجون»، «كتاب الهلال»، ديسمبر ١٩٧٢، لقد وافق شنن طبقه هنا، فهو يكتب عن موضوع حبيب إلى نفسه، يحسن الكتابة فيه، إنه يتناول، أبو دلامه، وأبو نواس، وبشار بن برد، وحماد عجرد، وعمر بن أبى ربيعة، وشعراء المجون فى العصر الحديث، والشعر الضاحك المعاصر الذى كتبه أمثال شوقى والشاعر القروى وأحمد رامى ومحمود غنيم، وناظمى الشعر الحلمنتيشى.

وفى كتابه «م.ع. الهمشرى»: حياته وشعره (١٩٠٨-١٩٣٨) يتناول هذا الشاعر فى طفولته وصباه ويفاعته وصدر شبابه وتأثره بشعراء الحب والطبيعة من الرومانتيكيين الإنجليز، ثم دخوله معترك الحياة الأدبية فى القاهرة، وانضمامه إلى جماعة أبوللو، وقصص حبه، وعمله فى مجلة التعاون، وترجمته قصيدة كبلنج المسماة «إذا»، وتأثره

بفكرة المدنية الريفية عند الشاعر الأيرلندى جورج رسل، وحبه للريف وتصويره له فى قصائده، ووفاته فى ريعان الشباب عند إجراء جراحة إزالة الزائدة الدودية.

وخلاصة رأيى الشخصى أننا إذا استبعدنا بعض قصائد جودت «الوطنية» عن عبدالناصر ثم السادات وغيرها من قصائد المناسبات - زائلة القيمة - من أخوانيات وتهنئات ومراث، لخلص لنا من حياته فى الشعر قصائده الوطنية عن مصر وقصائده الغزلية التى تستحق أن تدخل ديوان الشعر العربى الخالد، مثل بعض قصائد أبو نواس وعمر بن أبى ربيعة ونزار قبانى وسائر إخوان ذلك الطراز.

ويسلك الأديب الناقد محمد رضوان فى دراساته النقدية التاريخية لأعلام الشعر العربى المعاصر منهجاً وجدانياً يجمع بين التحليل الموضوعى، والاستجابة العاطفية، يغلب عليها طابع الذاتية، فهو يحرص على أن نتلمس نبضات قلب الشاعر المدروس وأن يعيش خبرته الوجدانية من الداخل أو كما يقول عنه السفير الشاعر أحمد عبدالمجيد (١٩٠٥-١٩٨٠) فى مجال تقيمه لمنجهه الوجدانى:

«حين يتولى محمد رضوان كتابة سيرة لشاعر من الشعراء نراه يدلف إلى روحه ويتسرب إلى حياته وما اضطرب فيها من حال إلى حال ويتشح برداء عصره الذى عاشه، ويتنسم ما كان يستنشقه فتجئ ترجمته كظل الغصن أو رجع الصدى». فالنقد - وإن ضرب بسهم فى مناهج العلم المنضبطة - يظل أقرب إلى الفن، أنه كما قيل بحق إبداع مواز.

ومحمد رضوان فى دراساته التحليلية النقدية التأريخية كان ناقداً فناناً فى رهافة حسه وتفتحه على التجارب الإبداعية المختلفة.

فناناً فى فطنته إلى ما تقوله السطور وما تسكت عنه.

فناناً فى قدرته على التمييز بين الجواهر الأصلية والجواهر الزائفة.

محمد محمود رضوان ناقد جمالى ينفذ بروحه الرحبة إلى تذوق الفن الجيد، فبفضل استبصاراته وتحليلاته أنار لنا من زوايا الأدب والفن وما كان مظلماً ومجهولاً مما مكننا أن نتذوق نماذج من الشعر العربى المعاصر على نحو أعمق وأصدق وأرهف، كما اتصف العديد من الشعراء والأدباء أمثال على محمود طه، وأحمد فتحى، وصالح جودت، وأحمد خميس، وعبدالحميد الديب وغيرهم فقام بدراسة سيرهم وإبداعهم كما قام بجمع وتحقيق أعمالهم الإبداعية المعلومة والمجهولة، فأنصفهم وأتاح لنا أن نقرأ سيرهم وأعمالهم الكاملة، فأنقذها من الضياع والنسيان.

القاهرة ٢٠١١ — **ماهر شفيق فريد**

مقدمة

شاعر الهمسات الملونة!

بقلم: محمد رضوان

عرفت الشاعر أحمد عبدالمجيد أول ما عرفته عن طريق الراديو، إذ كنت أستمع لبرنامج إذاعى يومى يقدمه الشاعر المذيع فاروق شوشة بعنوان «لغتنا الجميلة» من إذاعة القاهرة، ولفتت نظرى مختارات شعرية للشاعر أحمد عبدالمجيد يقرؤها بصوته الهامس من ديوان الشاعر «همسات» وسعيت لاقتناء هذا الديوان الحالم ووجدته فى دار المعرفة بشارع جركس بالقاهرة وعكفت على قراءة الديوان بنهم وشدتنى موسيقاه الحالمة، وصياغته المشرقة وأسلوبه العذب السلس ولم أعرف عن الشاعر شيئاً سوى الكلمات القليلة التى قدم بها الشاعر أحمد رامى للديوان وعلمت منها أن الشاعر أحمد عبدالمجيد عمل بالسلك الدبلوماسى لمدة ثلاثين عاماً بين مختلف الأصقاع والقارات، حتى استقربه المطاف فى القاهرة عام ١٩٥٩ كمندوب دائم لمصر فى الجامعة العربية.

وبعدها صممت على محاولة الالتقاء به، وأمسكت بدليل الهاتف فوجدت عدة أشخاص يحملون اسم أحمد عبدالمجيد فوجدته بنفسه يرد على تليفونى بكل الود والكياسة وشرحت له رغبتى فى الالتقاء به لعمل دراسة سريعة عن شعره حيث كنت أراسل مجلة الأديب البيروتية وأنا حينئذ مازلت طالباً جامعياً بجامعة القاهرة.

وقابلته لأول مرة فى كازينو «لاباس» بشارع قصر النيل بالقاهرة وعرفته دون

سابق معرفة، وكان ذلك فى شهر يناير عام ١٩٧٠ واستمر اللقاء لأكثر من ثلاث ساعات تطرق فيه إلى ذكرياته الأدبية وسيرته الذاتية والشخصيات التى عرفها ابتداءً من أحمد شوقى وأم كلثوم إلى الموسيقار محمد عبدالوهاب والشاعر أحمد رامى وحدثنى عن قصة غناء محمد عبدالوهاب لمجموعة من أغانيه الدارجة مثل:

«مريت على بيت الحبايب» و«يا ترى يا نسمة» و«خايف أقول اللى فى قلبى» و«ماكانش عالبال تشغل بالى» وأطلعنى على مشروع قصيدة عاطفية جديدة كتبها خصيصاً لتغنيها كوكب الشرق أم كلثوم بعد أن وافقت على كلماتها، ولكن فيما بعد حالت الظروف دون غنائها لهذه القصيدة.

ثم تكررت لقاءاتنا بعد ذلك فى «كازينو لاباس» و«كازينو استرا» ومقهى «على بابا» - بميدان التحرير - وكانت لقاءاتنا تستمر لساعات وكنت أقوم بتسجيل ما يقوله ويرويه عن ذكرياته الأدبية وكان يهدينى كل كتاب يصدر له بل كان يطلعنى على أصول كتبه المخطوطة قبل إصدارها مثل كتبه:

«لكل أغنية قصة» و«سندباد دبلوماسى» و«عالم الأحلام» والكتاب الأخير لم يصدر حتى الآن.

وبعد أن سافرت إلى عمان عام ١٩٧٦ لإصدار مجلة السراج أقنعته بأن يكتب للمجلة ذكرياته الأدبية تحت عنوان «للشعر عندى حكاية» ونشرت له بالمجلة عدة حلقات ولكن ظروف احتجاب المجلة حالت دون نشر بقية الحلقات.

وأثناء ذلك كانت المراسلات الأدبية بيننا مستمرة وكان يشكو لى من جمود الحياة الأدبية والصراعات الشخصية وضيقه بالأضواء والشهرة وايثاره للعزلة والهدوء، وكان يبعث لى بين الحين والآخر بآخر قصيدة كتبها.. وكان كعادته يتفرغ للقراءة والكتابة فى شقته بشارع قصر العينى التى كان يعيش فيها مع زوجته - حيث لم ينجب -.

وكان فى الصباح يخرج ليقابل بعض أصدقائه ويجلس معهم فى أحد المقاهى الراقية بوسط القاهرة ويعود لبيته ظهراً ليتناول الغداء ولا يخرج مساء حيث يعكف على القراءة والكتابة وسماع الموسيقى ومشاهدة بعض برامج التليفزيون.

وكان فى رسائله لى يروى بعض أطياف ذكرياته هنا وهناك ويحثنى على الصبر وقوة الإرادة فى ديار الغربة ويدعونى إلى التفاؤل وكان أجمل ما يتمناه لى أن يرانى عاكفاً على إصدار كتبى الأدبية وتنفيذ مشروعاتى فى مجال النقد والدراسات الأدبية.

ومرت الأيام والشهور والسنوات وعدت إلى القاهرة فى مطالع عام ١٩٨٠ وقابلته وكان لقاء ودياً زاخراً بالمشاعر الطيبة، ثم حالت ظروف العمل دون انتظام لقاءاتنا مثلما كان يحدث فى السبعينات.

واستغرقنى العمل فى دار الهلال وارهاقى فى المواصلات خاصة لبُعد المسافة بين العمل ومسكنى الكائن يومئذ بضاحية مصر الجديدة مما تعذر معه رؤيته بانتظام.

وفى العاشر من أكتوبر سنة ١٩٨٠ فوجئت بنبأ رحيله عن عمر يناهز الخامسة والسبعين من عمره وحزنت عليه حزناً شديداً، وذهبت لزوجته ورفيقة رحلته العابرة لأواسيها فى فقد هذا الإنسان صاحب القلب الكبير.

وكان على أن أبر بوعدى وأنجز دراستى عن حياته وشعره.. فكانت هذه الدراسة الأدبية لحياته وشعره، طاقة ورد لروحه الطاهرة النقية.

ومن المهم أن أذكر للقارئ أن السفير الشاعر قد اطلع على مسودة هذه الدراسة بعد انجازها حوالى عام ١٩٧٥، وعدل فيها بقلمه بالحذف والاضافة، وقد حذف كل ما يتصل بخصوصياته مما يراه تجاوزاً فى الكشف عن بعض شئونه الخاصة أو أثر المرأة فى حياته، خاصةً إذا عرفنا أنه كان زوجاً مثالياً يحمل لرفيقة عمره كل مشاعر المودة

والحب والاعزاز، ولكننى لمست من خلال معايشتى له فى سنواته العشر الأخيرة أنه كان يشعر بحنين جارف بالأبوة لأنه حرم من الأولاد، وفى سنواته الثلاث الأخيرة شعر بهذه العاطفة الغلابة نحو سيدة شابة لم يكن يطلب منها سوى شعور الابنة نحو أبيها، ولكن غيرة الزوج ثم سفرها معه إلى الخارج وقطع المراسلات مع هذا القلب الحساس، جعله يشعر بالاحباط والاكتئاب والأسى.

وكانت رسائله الخاصة لى تفصح عن أحاسيسه الحزينة ومشاعره الجياشة لحرمانه هذه الابنة التى حرم منها على كره وهو فى أشد الحاجة لمثل هذا الشعور فى خريف عمره ويخيل لى أنه رحل عن هذه الحياة وهو يشعر بالأسى والحزن والاحباط.

إن هذه الدراسة السريعة لا تكفى بالطبع لتغطية حياة أحمد عبدالمجيد وتحليل أدبه وتقييمه، ولكن يكفى أنها نبهت إلى آثار هذا الأديب الموسوعى وألقت الأضواء على حياته وأدبه من خلال معايشتى له ومراسلاتنا الأدبية وجلساتنا المطولة التى روى لها فيها كل ما يتصل بسيرته وحياته والمراحل التى مر بها وأثر المرأة فى حياته بكل الصدق والأمانة والموضوعية.. فلتكن هذه السيرة الأدبية تحية ود وتكريم لروح هذا الرجل الإنسان الذى أعطى الكثير ورحل دون أن يشعر به أحد.

***

وبعد، فهذه لمحات من حياة أحمد عبدالمجيد، وشعره، ويبقى أن تبادر الهيئات الأدبية والثقافية بمصر لإعادة طبع تراث هذا الأديب الكبير، ونشر مؤلفاته المخطوطة خدمة للأدب والتاريخ بقدر ما أعطى وبذل هذا الرجل للفكر ولمصر وللأدب العربى المعاصر.

القاهرة سبتمبر ٢٠١٦ — محمد رضوان

الفصل الأول:

حياته وثقافته

ميلاد شاعر:

كان ذلك فى ٢٥ ديسمبر عام ١٩٠٥ حين خرج: أحمد عبدالمجيد فريد إلى النور..

ولد شاعرنا بحى «المنيرة» بمدينة القاهرة لأسرة محافظة ميسورة الحال، وكان أبوه عبدالمجيد فريد يشغل منصباً مرموقاً بالحكومة المصرية «بالديوان الملكى» يومئذ ثم أصبح عضواً فى مجلس الشيوخ بعد ترك الوظيفة.

على أن شاعرنا أحمد عبدالمجيد، وان كان قد نشأ فى المدينة وبقى بها طفلاً وصبياً وشاباً، إلا أن أسرته تنحدر من أصول ضاربة فى أعماق الريف بين بنى سويف والفيوم.

وعندما شب الطفل الصغير ألحقه والده بالمدرسة «الناصرية» الابتدائية بالمنيرة، وفيها برز أحمد وأبدى تفوقه على أقرانه بما كان ينظمه لهم من عبث برىء.

وكان أحمد منذ صغره طفلاً وديعاً رقيقاً هادئاً تبدو على سيماه مخايل النجابة والألمعية والذكاء.

وكان منذ طفولته يجنح إلى الهدوء والتأمل الحالم، وكان أكثر ما يجذبه ويشد سمعه وانتباهه الموسيقى أياً كان لونها، شرقياً أو غربياً، حتى أنه كان يحفظ فى سنه الباكرة أى أغنية تلتقطها أذنه الحساسة.. فكان يسبح فى عالم مفعم بالجمال والبهجة والأساطير ساعات طويلة حالمة.

ونشأ أحمد فى بيئة كلها ثقافة وأدب وفكر وسياسة وشعر.. حيث كان والده

«عبدالمجيد فريد» يعقد صالونه الأدبى بالمنزل الأنيق ومن حوله أقطاب الرأى وقادة الفكر وأعلام الأدب والسياسة والصحافة

وكان أمير الشعراء «أحمد شوقى» صديقاً لوالده فأولى أحمد عناية خاصة لما لمسه فيه من نجابة وذكاء وموهبة مبكرة. وكذلك كان حافظ إبراهيم من أصدقاء والده ومن زملائه.

وفى تلك الحقبة كان أحمد يقرأ بعض المختارات الأدبية والشعرية من مكتبة والده وكان يحضر أحياناً هذا الصالون الأدبى فأفاده ذلك أيما فائدة فى اتجاهه المبكر للأدب والثقافة والشعر.. وكان له خال ينظم الشعر وينشده أمامه. وكان شعره فلسفياً صوفياً قوى الديباجة.

ثم أنجز أحمد دراسته الابتدائية وحصل على الشهادة الابتدائية من المدرسة الناصرية وتطلع إلى الالتحاق بالدراسة الثانوية.

وهكذا عاش تلك الحقبة من دراسته الابتدائية ينشق أريج وعطر الزعامة الوطنية والأدبية والسياسية التى كانت مصر تموج بها وتؤثر على كل من عاصرها. فقد كان حصوله على الشهادة الابتدائية يوافق عام قيام ثورة مصر عام ١٩١٩ على يد سعد زغلول الذى كان الشباب يكبرون فيه فوق وطنيته وتعاونه وتضحياته، براعته فى الخطابة والكتابة وامتلاكه لأفئدة المستمعين الذين يستشعرون شعوره كما لو كان بينه وبينهم معرفة كبرى.

فى المدرسة الثانوية

وانتقل أحمد بعد ذلك إلى المرحلة التالية من حياته المدرسية، فالتحق بالمدرسة السعيدية الثانوية بالجيزة. وفى تلك الحقبة أوغل فى قراءة دواوين الشعر العربى، وشد اهتمامه بصفة خاصة شعر المتنبى وشعر أمير الشعراء، أحمد شوقى. أحب المتنبى

لقوة شعره ومتانة تراكيبه وعمقه ورصانته وحكمته، وأحب شوقى لموسيقاه الهامسة وحلاوة معانيه ورقة ألفاظه وعذوبتها وتجديداته الجريئة فى المضمون والشكل الفنى للقصيدة العربية والرواية الشعرية.. وعندما بدأ أحمد ينظم كلاماً موزوناً فى لغة فصحى أو دارجة، لم يكن يستند فى تلك الحقبة إلى علم بأوزان الشعر أو يعنى بمعرفته والاحاطة بتفاصيله.

وفى المدرسة السعيدية الثانوية بدأت تظهر بواكير موهبته الشعرية الخصبة.

كان أحمد عندما يكتب موضوع «الإنشاء» الذى يكون أستاذ اللغة العربية قد اختاره يحلو له أن يزينه - كما جرت بذلك عادة كتاب تلك الحقبة - بالشعر الذى به يستشهد على ما يقول أو يصف. ولما كان لا يحفظ كثيراً من الشعر فقد لجأ إلى وسيلة طريفة، فكان ينظم بنفسه شعراً يدعى أنه «لشاعر من الشعراء» فيقول مثلاً:

«وفى ذلك يقول الشاعر»

ثم يكتب ما يكون قد نظمّه..

وقد روى لى الشاعر الكبير - أحمد عبدالمجيد - حادثة طريفة وقعت له مع مدرس اللغة العربية فى السنة الرابعة، وكان يومئذ بالقسم الأدبى فقال:[1]

«طلب منا أستاذ اللغة العربية الشيخ عاشور أن نصف روضة ابان فصل الربيع، فرحت أصف فتنة الربيع وما يصنعه بأشجار الروضة وتفتح أزهارها واخضرار أغصنها، ووشوشة الأوراق التى تطرب من مداعبة النسيم لها..،

«وكان لابد ازاء هذا الحسن الآسر من المناظر أن أقول شعراً، ولما لم أجد فى حافظتى شيئاً من الشعر نظمت هذين البيتين:

(١) روى لىّ الشاعر أحمد عبدالمجيد هذه القصة يوم ٦/٦/ ١٩٧٠م.

منح الربيع الروض حسن وشاحه ... ونثا على صدر الورى الأزهارا

وسرت نسائمه تعطر جوه ... وشدا بهاه فأيقظ الأطيارا

«وعند تصحيح كراستى سألنى الأستاذ عن هذا الشعر ومن يكون ناظمه فأسقط فى يدى وأجبته انى نسيت اسمه، ومازال بى حتى اعترفت له بحقيقة الأمر وقد حيانى الأستاذ وشجعنى على أن أكثر من مطالعة الشعر، وأن أحفظ منه قدر ما أستطيع ليشتد عودى فى النظم وتتسع معرفتى بأساليبه».

***

وفى تلك الحقبة ازدادت قراءاته لروائع الشعر القديم والمعاصر فقرأ شعر المتنبى والشريف الرضى وابن الرومى وشوقى وحافظ وغيرهم من أعلام شعرنا العربى. وأمسك شاعرنا بالقلم وكتب محاولاته الشعرية الأولى.

وكان أول شعر كتبه شاعرنا هو شعر الحب والغزل وهنا تبلورت اتجاهاته الشعرية ومنذ ذلك الحين أصبح شاعرنا من أصدق شعراء الحب والجمال!..

وبالرغم من بساطة تلك الأشعار التى كتبها فى تلك الحقبة إلا أنها كانت ارهاصات ومحاولات جريئة اتسمت بالطلاوة والعذوبة والرقّة.

ومن الغريب حقاً أن أحمد عبدالمجيد قد أصدر أول كتاب له بعنوان:

«جد فى هزل» وهو لم يتجاوز الخامسة عشرة من عمره بعد. وهو كتاب يحوى مجموعة من قصائده الشعرية بالفصحى والعامية، وكانت أشعاره فى تلك المرحلة تتناول الوصف والغزل والتشبيب.

ثم أنجز شاعرنا دراسته الثانوية وحصل على الشهادة الثانوية للقسم الأدبى من المدرسة السعيدية بالجيزة.

ويذكر لى الأستاذ أحمد عبدالمجيد أنه خلال دراسته الثانوية بالمدرسة السعيدية وكان فى القسم الداخلى بها، ألفّ فرقة للتمثيل. وحرص على أن يكون مسرحهم مكتفياً بذاته، بمعنى أن يكون من أفراد الفرقة الموسيقيون ورسامو الستائر ومصممو الماكياج والمغنون ومؤلفو الألحان. وكان بالطبع هو الذى كان يمد الفرقة بأزجال المسرحية. وكانت هذه المرحلة هى باكورة اشتغاله بتأليف الشعر أو الزجل. وفى السنة النهائية الثانوية - أخرج رواية كان يمثل فيها دور هارون الرشيد بزيه التقليدى وصولجانه وذقنه. وكان ناظر المدرسة قد دعا وزير المعارف ليشاهد تمثيل الفرقة الناجحة. وفى الاستراحة قام الناظر فى صحبة الوزير لتهنئة الممثلين فى حجرة لبسهم. وكان أحمد آنذاك يشرب سيجارة، فلما دخل الناظر ووزير المعارف لم يرتبك لأنه كان يحتمى وراء ذقن هارون الرشيد ولما لامه الناظر وفى اليوم التالى رد عليه بثقة: «إنه اندمج فى التمثيل وأشعل سيجارة...»

فى كلية الحقوق

التحق أحمد عبدالمجيد بكلية الحقوق جامعة القاهرة عام ١٩٢٤، وفى تلك الحقبة كتب عشرات القصائد الوجدانية الرقيقة الحالمة التى تذوب وجداً ورقّة وعذوبة!..

وكان كل جمال يلهب شاعريته.. وكان يتمثل فى ذلك بقول الشاعر:

اذا وجدت الغيد ألهانى الهوى وإذا وجدت الشعر عزّ الأغيد

ومر شاعرنا فى السنة الأولى بالكلية بتجربة عاطفية بطلتها من جيرانه وكانت فتاة جميلة رقيقة تحب الشعر، وكان أحمد يتشبب فيها بألوان من فنون الحب والغزل وهى فى شك من أمر حبّه، وراحت تلك المحبوبة تبدى له كثيراً من الدلال والشك فيما كان ينظمه فيها فكانت تكذبه فى أن تكون هى المقصودة بما كان يقول فيها من الشعر الغزلى الرقيق - وأين البرهان؟ فلما أعيته الحيلة فى اقناعها قال لها:

انى سأنظم لك أبياتاً من الشعر يكون أول حرف من كل بيت، أول حرف من اسمك؟!

وكان اسم المحبوبة «سميحة» فقال فيها شاعرنا كما وعدها:

سمحت بوعد والوعود يسيرة	وبنات حوا وعدهن كذوب
ماكل وعـد يستطاب وانما	صدق الهوى عند اللقاء يطيب
يامن لها فى القلب أكرم موضع	هذا الذى ألقاه منك نصيب
حتام يعبث بى هواك وليتنى	أدرى مصيرى والمصير مريب
ترنو عيونك لى بسحر آمر	فإذا سألت المستحيل أجيب!

***

فن التأليف الغنائى

وفى أثناء دراسة أحمد عبدالمجيد بكلية الحقوق كان يخدش سمعه وأسماع الغيوّرين على تقاليدنا الشرقية المحافظة ما كان يذاع من أغان بلغت فى ابتذالها آخر ما يمكن أن تصل إليه أغنية من درك خطير.

كانت الأغانى المصرية يومئذ قد بلغت حضيض الاسفاف، مثل أغنيات:

«أرخى الستارة اللى فى ريحنا.. أحسن جيرانك تجرحنا»

و**«أوعى تكلمنى بابا جاى ورايا»**، **«هات القزازة واقعد لاعبنى، دى المزة طازة والحال عاجبنى»** و**«يا سمبتيك خالص يا مهندم تعالى زورنى الليلة يا فندم»**.

ويصور لنا أحمد عبدالمجيد فى كتابه «لكل أغنية قصة» ملامح تسلك الحقبة لفن الغناء فيقول:[1]

فى هذه السنوات العجاف بالنسبة لغن الغناء، انصرف رهط من المغنيين

(١) أحمد عبدالمجيد/ لكل أغنية قصة/ ص ١٠١-١٠٢.

والمغنيات إلى ترديد الطقاطيق الخفيفة، والأغانى التى خلت من اللمسات الفنية فى النظم أو النغم، والتى لم يكن مقصوداً بها إلا ملء الفراغ بما هو أفرغ منه، وبوسيلة غايتها الأنس الرخيص، ومنادمة الغرائز الدنيا، استجلاباً للمرح الماجن و«الفرفشة» السافرة على حد كلمات أغنية معاصرة لذلك الزمن تقول:

بعد العشا بعد العشا – يحلا الهزار والفرفشة

أول مثل قول أغنية أخرى تنافسها ابتذالاً:

ارخى الستارة اللى فى ريحنا.. أحسن جيرانك تجرحنا

وكانت هذه الفترة تتميز بالانحلال والتأخر فى كافة مجالات الثقافة والفن والأدب، والاقتصاد، إلا من نفر معدود من أمثال المويلحى، وعلى مبارك، وأحمد لطفى السيد، ومصطفى كامل، ومحمد فريد، وعمر لطفى، وإسماعيل صبرى، وأحمد شوقى، وسعد زغلول، وفتحى زغلول، وعبدالعزيز البشري، وعلى يوسف، ظهروا على فترات كانوا فيها كالنجوم التى تهدى الضالين فى الليالى الداجية، أو الواحات المتناثرة فى صحراء جرداء، وسباسب مضنية، يستريح عندها المجدون فى طى هذه الفيافى المقفرة.

هذا التحليل العميق الدقيق يرسم لنا صورة صادقة لملامح تلك الفترة المظلمة الراكدة من تاريخ مصر الثقافى والاجتماعى والسياسى.

سمع أحمد عبدالمجيد، وتابع هذه الأغانى الهزيلة، وراعه أن يسمع الفتيات الصغيرات يرددن هذه الأغانى. فعزّت عليه تلك الجناية على أخلاق الجبل، وهو الذى قرأ روائع الشعر العربى الرقيق، وأحسّ بعوامل غيبية وداخلية نتيجة لضيقه بتلك الأغانى الهزيلة، تدفع به إلى ترجمة ما كانت تجيش به نفسه من مشاعر الحب

فى تلك السن الباكرة، وراح يصب أحاسيسه ومشاعره وهمسات روحه ومناجاته لمن يحب فى شعر باللغة الداجة كان يحتفظ به على طريقة اليوميات، للذكرى، عندما تعبث به نسائمها - وتشاء المصادفة أن يزوره فى تلك الحقبة زميل له تربطه به صداقة، يعرف عن شاعرنا أنه من هواة الاستماع إلى الموسيقى الشرقية، وأنه يميل للعزف على البيانو وبحكم الزمالة كان يبحث عن بعض الأوراق فى مكتبه فعثر على مقطوعتين هما «خايف أقول اللى فى قلبى» و«كلنا نحب القمر» فقال الزميل لشاعرنا:

- إن هذه المقطوعات ليس مكانها الدرج وانما يجب أن تغنى، وهى من اليوم ليست ملكك.

وكان صديقه هذا عضواً فى نادى الموسيقى الشرقية، فسعى إلى ادخال أحمد كعضو فى هذا النادى، ومن هنا بدأت صلة شاعرنا بالفن وبنظم الأغنية ويتذوق الموسيقى الراقية.. ثم كان تعرف شاعرنا بالموسيقار محمد عبدالوهاب.

كان ذلك عام ١٩٢٤ فى نادى الموسيقى الشرقية - حيث قدم صديقه شاعرنا الذى أطلع على المقطوعتين أحمد إلى الموسيقار عبدالوهاب، وروى له قصة اطلاعه عليهما، وإلى جانب ذلك كانت تجمع شاعرنا بأمير الشعراء، أحمد شوقى رابطة قوية.. كانت تقديراً من جهة شاعرنا نحو الشاعر شوقى وشعره الذى بزّ الأولين والآخرين وكانت مجالس شوقى فى ذلك الحين تشجيعاً من أمير الشعراء للشاعر أحمد عبدالمجيد، وهى تعد مدارس ومراجع للأدباء من الناشئين ومعيناً لا ينضب من الحكمة والأدب، والتوجيه والحوار فى أسمى مراتبه.

وكان أول ما لحنه عبدالوهاب لشاعرنا أغنية «كلنا نحب القمر» و«خايف أقول اللى فى قلبى» وكان ذلك عام ١٩٢٧ وكان لا يزال طالباً بكلية الحقوق ثم لحن عبدالوهاب بعد ذلك أغنيات «مريت على بيت الحبايب» و«فى الجو غيم حجب

القمر» و«وبالك مع مين يا شاغل بالى» و«وحسدونى وباين فى عنيهم» و«يا ترى يا نسمة» و«ماكانش عالبال» و«كتير يا قلبى الذل عليك» و«مين عذبك» و«نسيم الربيع» و«الهوان وياك بعزّه».. وأحدثت هذه الأغانى التى تغنى بها عبدالوهاب ثورة فى عالم الغناء، وكانت فتحاً جديداً للأغنية العربية الجديدة بعد أن كان الطابع السائد للأغنية فى تلك الحقبة الابتذال والاثارة وركاكة الألفاظ وتفاهة المعانى.

وتغنى عبدالوهاب بهذه المقطوعات ما بين عام ١٩٢٧ وعام ١٩٣٠ فأحدثت انقلاباً جذرياً فى مفهوم الأغنية العاطفية الأصيلة السامية لفظاً ومضموناً..

تغنى عبدالوهاب بتلك الأغنيات التى اتسمت بجمال المعانى وطرافتها وحلاوة الألفاظ ورقتها وعذوبتها ووجد النقاد فى تلك الأغانى روحاً جديدة ومعان مبتكرة أصيلة ولاسيما فى أغنية «كلنا نحب القمر» التى أتى فيها شاعرنا بمعان جميلة وصور طريفة مبتكرة لم يسبقه إليها أحد من قبل لما تتسم به من الصدق الغنى والابتكار الأصيل مثل قوله:

كلنا نحب القمر — والقمر بيحب مين
حظنا منه النظر — والنظر راح يرضى مين

ثم يقول شيئاً جديداً لم تألفه الأذن – فى ختامها –:

ما تقول لى ازاى انساك — لا انا طايل تعذيب فى هواك
ولا قادر قلبى يسلاك — جربّت خضوعى يكفاك

وأرى أن السبب الرئيسى لنجاح تلك الأغانى وذيوعها هو أنها كانت انعكاساً أصيلاً صادقاً لعواطف شاعرنا الرقيقة وأحاسيسه المرهفة ولأنها كانت تعبيراً موفقاً وصادقاً لانفعالات وجدانية واقعية فاتسمت بالحرارة والصدق الغنى.

وقد أعجبت تلك المقطوعات أمير الشعراء أحمد شوقى وقال كلمة سمعها شاعرنا من: عبدالوهاب نقلاً عن شوقى وهو بدوره أبلغها للشاعر فيما بعد.

فقد قال له فى شوقى فى أمسية من الأمسيات عندما كان يسمعه لحناً من كلمات أحمد عبدالمجيد وقبل أن يسمعه الجمهور أو يطبعه على أسطوانة:

«إذا أردت – مع الثقة فى نجاحك – الذيوع والانتشار والاحساس الغامر بما تقول فلّحن وغن من شعر أحمد عبدالمجيد لأنه ينبض بالحرارة والحياة».

***

وكانت المرحلة الجديدة فى فن الغناء فى مصر مرحلة جديدة وغنية وخصبة، ابتداءً من عام ١٩٢٦ اتجه الشاعر الوجدانى الرقيق أحمد رامى إلى أم كلثوم بعد عودته من باريس عام ١٩٢٥م فغّنت له:

الصب تفضحه عيونه وتنم عن وجد شئونه

وكان اللحن، للملحن الشيخ أبوالعلا محمد.. ثم غنت له بعد ذلك زجلا جميلاً راقياً، وكانت أول مقطوعة نظمها خصيصاً لها هى:

خايف يكون حبك لى شفقة علىّ

وانتى اللى فى الدنيا ديه.. ضىّ عنيه

هذا بالنسبة لرامى..

أما أحمد عبدالمجيد وشوقى، فقد تغنى عبدالوهاب بشعرهما الغنائى الرقيق وأطرب وأشجى الأسماع – ويتحدث الشاعر أحمد عبدالمجيد عن هذ المرحلة الجديدة من مراحل التأليف الغنائى فيقول:[1]

(١) مجلة الإذاعة/ ١٩ ديسمبر ١٩٥٩.

«كانت مهمتنا فى الحقيقة صعبة.. لأن الجمهور كان لا يريد أن يجهد نفسه فى تفهم المعانى الجميلة. كما أنه لم يكن يستسيغ إلا المعانى التى تستثير غرائزه.. فأخذنا على عاتقنا الارتفاع بمستوى الجماهير لا النزول إليهم.. وكانت طفرة موفقة صادفت عند الجمهور إقبالاً على الاستماع حتى أن متعهدى الحفلات كانوا ينشرون اسم الأغنية ومطلعها التى ستغنى فى الحفل على الحائط».

وقد تناول تلك المرحلة من تاريخ التأليف الغنائى بعض النقاد والأدباء فقال الشاعر أبو بثينة عن تلك المرحلة:[1]

«منذ أكثر من ربع قرن كانت أغانينا عليلة هزيلة، كنا لا نسمع إلا الألفاظ المثيرة لأحط الغرائز، والمعانى المحركة لنزوات الشيطان فمن أغانى ذلك الزمان:

أرخى الستارة اللى فى ريحنا	أحسن جيرانك تجرحنا
يا مبسوطين يا حنا	يا مفرفشين يا حنا
هات القزازة واقعد لاعبنى	دى المَزة طازة والحال عاجبنى

كانت أغانى ذلك الزمان من ذلك الطراز المبتذل الشائع المائع الذى أشاع فى شبابنا الرخاوة..

وفجأة ظهر أحمد شوقى وأحمد ورامى وأحمد عبدالمجيد وأضرابهم من الشعراء فكانوا بمثابة البنسلين الذى يصارع الداء فيصرعه، وسمعنا لهم أروع الشعر وأعذبه، وأرق اللفظ وأوقعه فى النفس..

كنا نسمع لأحمد عبدالمجيد مثل هذا المعنى الرقيق:

وأنا اللى بينّت جماله	ورويت بدمع العين حسنه

(١) مجلة الكواكب/ أغانينا اليوم فى حالة انتكاس.

واشتاقت الناس لوصاله   لما انشجوا بألحان نوحى

وكنا نسمع له مثلاً:

وأشوف خيالك من بين دموع العين

وأقول له مالك - وفين جمالك فين

خفف دموعى يا هاجر

خلينى أشاهد خيالك

دا الدمع قاسى وغادر

حجب محاسن جمالك

«كنا نسمع هذه الأغانى فى بساطتها، الرقيقة فى سهولتها الدقيقة فى وزنها وقوافيها».

كما صور أحمد عبدالمجيد تلك المرحلة ورسم صورة لأعلام فن التأليف الغنائى، وأثر فنهم فى تطور فن التأليف الغنائى والسمو بالفن الغنائى العربى:[1]

«وكأنما كان أمير الشعراء، أحمد شوقى والشاعر على الجارم وشاعر الحب والشباب الصديق أحمد رامى، وأنا على اتفاق معاً لإصلاح ما أعوّج من أمر الأغنيات وما وصلت إليه من ابتذال فى أوائل العشرينات، فكانت أم كلثوم تصدح بشعر أمير الشعراء وتردد آنذاك:

سلوا كؤوس الطلا مذ لامست فاها   واستخبروا الراح هل مست ثناياها؟

وكنا نسمعها تشدو بشعر على الجارم:

ما لى فتنت بلحظك الفتاك   وسلوت كل مليحة الاك

(١) مقال للشعر عندى حكاية/ مخطوط/ أحمد عبدالمجيد

أما رامى فقد سبقنا إليها وأثرى دولة الطرب بشعره ونظمه الرقيق الصافى.. وكانت تشدو له في تلك الأيام:

«إن كنت أسامح وأنسى الأسية»

و«الشك يحيى الغرام» و«ليه تلاوعينى»

كما كانت تغنى له من شعر:

«ان حالى فى هواها» و«الصب تفضحه عيونه»

كما كان عبدالوهاب يغنى له «على غصون البان»

و«عصفورتان تتناجيان»

و«تعال نفن نفسينا غراماً»

وانتعشت دولة الغناء بهذا العذب الجديد من الشعر المطرب السامى، وأقبل الناس على الاستماع إليه اقبال الظامئ الصادى إلى النبع الصافى النمير. ثم لحق بركبنا بعد سنين من تلك الأيام شعراء ساروا على نهجينا وأمدوا دولة الغناء بثمرات نظمهم الممتع فى كل باب ولون.

هذا التحليل الدقيق والعميق والموضوعى لتلك المرحلة المهمة والحاسمة من مراحل تطور فن التأليف الغنائى عرضها لنا أحمد عبدالمجيد دون أن يشير إلى دوره المهم والأساسى فى هذا المجال انكاراً للذات وتواضعاً، ولكن المؤرخين لم يغفلوا عما أضافه لفن التأليف الغنائى من تجديدات جريئة وعميقة فى المضمون والمعانى والخيال والصور والوزن للقصائد الغنائية، ومن أطرف ما يروى فى هذا الشأن من تجديداته فى مجال الوزن ما رواه لى ذات يوم فقال:[1]

(١) روى لى هذا الشاعر أحمد عبدالمجيد يوم السبت ٦/٦/ ١٩٧٠م.

«عندما أسعدنى الزمن بمعرفة شاعر الحب والغزل: أحمد رامى فى العشرينات سألنى مرة إذا كنت درست شيئاً من الأوزان الفارسية فها له أن أجيبه بأنى لا أعرف حتى الأوزان العربية - فرحت أسأله بدورى عن السبب فى ذلك فقال: إنه سمع لحناً حديثاً لعبدالوهاب من نظمى أقول فيه:

ما كانش ع البال تشغل بالى- يا روحى وتسهرنى ليالى..

وقال إن هذا الوزن فارسى وهو وزن «الدوبيت» وعند ذلك قلت له: وهل يضيرنى أن أجهل علم العروض رغم أنى أنظم الشعر طول هذا الزمن دون هذا العلم؟

فأجابنى بضحكته الرنانة:

- إننى أفضل لك أن تبقى كذلك فإن العلم به يجلب الشك فيما تنظم!.

***

ولكن بعد التحاق شاعرنا بالسلك الدبلوماسى، وانتقاله بين مختلف البلاد حال ذلك بينه وبين الاستمرار فى تأليف الأغانى. بل إن حياته فى الخارج حرمته من متابعة الفن المصرى والشرقى إلا فيما ندر. على أنه كان ينظم لنفسه أرق الشعر وأجزله دون أن يطلع أحداً على ما ينظم.. وفى ذلك يقول رامى فى تقديمه لديوان شاعر الهمسات: «وما كنت أدرى أنه كالحمام الزاجل، يهدل على كل غصن فى كل روضة من الرياض التى كان يزورها فى أسفاره، سواء أكان على ضفاف البوسفور أم فى حدائق فيينا أو فى مباهج باريس.

فى الوظيفة

تخرج أحمد أحمد عبدالمجيد فى كلية الحقوق بجامعة القاهرة عام ١٩٢٨ بعد حصوله على شهادة الليسانس فى القوانين. وبعد تخرجه اتجه إلى ميدان المحاماة التى مارسها برغبة قوية وتقدير لرسالتها الإنسانية الرحيمة - ثم عين وكيلاً للنائب العام،

وكانت تربطه مودة وتقدير بالغ بأمير الشعراء شوقى، وحدث بعد تخرجه أن غاب فترة عن مجالسته. فلما سأل صديقه شوقى عبدالمجيد فريد والد شاعرنا عن سبب غيابه، وعرف أنه التحق وكيلاً للنيابة قال متأثراً:

«لا حول ولا قوة إلا بالله.. خسارة!».

فقد كان شوقى يتمنى أن ينذر شاعرنا نفسه للشعر كما نذر هو نفسه له.. ولكن الأدب عندنا لا يطعم ولا يسمن من جوع.. وتفرغ الإنسان للإنتاج الأدبى عندنا محال. أو هو درب من دروب التشرد والبطالة كما كان يردد شاعرنا.

ثم أصدر شاعرنا عام ١٩٢٨ كتاباً بعنوان «مجموعة شعر» تضمن بعض مختارات من شعره بالفصحى واللهجة الدارجة، وما لبث أن أصبح الشاب الناشئ أحمد عبدالمجيد واحداً من المعروفين بين الشعراء المعاصرين بما كان ينظمه من قصائد ومنظومات ومقطعات تستأثر باهتمام شباب الثلاثينات من السابحين فى بحار الرومانسية.

ولمع نجمه بعد النجاح العريض الذى جلبته له الأغنيات التى تغنى بها الموسيقار محمد عبدالوهاب بما فيها من صدق وأصالة وابداع.

وفى أواخر عام ١٩٣٠ التحق شاعرنا بوظائف السلك الدبلوماسى وتنقل فى مختلف السفارات والمفوضيات والقنصليات فى أكثر من عشر دول.

تنقّل بين ربوع فرنسا وإيطاليا وتركيا واليونان والولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا، وفلسطين ولبنان والنمسا وسوريا والأردن ثم سفيراً لمصر فى بلغاريا، وأخذ شاعرنا يتنقل بين قارات العالم فى السفارات والمفوضيات والقنصليات المصرية وهو يرتقى ابتداءً من درجة ملحق دبلوماسى حتى بلغ مرتبة السفير فى نهاية الخمسينات بعد أن قطع ثلاثين عاماً فى خدمة هذا السلك الدبلوماسى.

وكان شاعرنا يسجل دائماً عواطفه وأحاسيسه فى كل بقعة يحل بها.

وأعتقد أن «السفر والرحلة» والاقامة بين ربوع هذه البلاد من أهم العوامل فى تكوين أحمد الأدبى - وتركت هذه البلاد فى نفس الشاعر بصمات من جمال مناظرها بين مرتفعات وبحار وبحيرات ووديان وجبال وأثرت فى نفسه القدرة على التوغل فى النفس البشرية وتحليل ما كان يراه تحت ميكرسكوب فرحه وحساسيته. ولا شك أن ذلك قد أضفى على شعره آثاراً تراها بارزة فى ديوانه وفى أغانيه.

وقد اعترف أحمد عبدالمجيد بتأثير البيئة الأوروبية فى نفسه وفى فنه فيقول:(١)

«لا شك فى أن البيئة كان لها أثر كبير فى ذوقى الفنى.. وحياتى فى الخارج جعلتنى أتأثر بالفن الأوروبى، وكنت دائماً أحرص على متابعة الأوبرات والأوبريت وحضور الكونشرتات والكونسير، ومع ذلك فالفن الشرقى عندى والفن الأوروبى مثل الشمس والظل يتجاوران ولا يمتزجان.

ومن وحى تلك الحقبة كتب شاعر الحب والجمال أروع قصائد الوصف الغنائى مثل قصائده: «من وحى الراين»، و«من وحى البسفور» و«باريس» و«فى روما» و«فيينا».

فى قصيدته «من وحى البسفور» صور شعرية جميلة استوحاها من جمال البسفور وضفافه الخضر، وحسن جماله الآسر فى فصل الربيع فيقول:(٢)

فى الشاطئين تألق وتأنق ... وعلى الرّبى سحر يشع ويشرق
خلع الربيع مفاتنا من حسنه ... فى الضفتين ونضرة تتألق
ان الربيع فصاحة أزلية ... عذب الحديث بيانه لا يلحق
يختال فى الوادى ويزهو فى الربى ... ويصيح فى سمع الوجود وينطق

(١) مجلة الإذاعة: ١٩ ديسمبر ١٩٥٩م.
(٢) أحمد عبدالمجيد/ همسات ص١١٥.

هبة الكريم تنوّعت آياته | ونسيج قدرته الذى لا يخلق
يجرى على البسفور فلك ساحر | يختال فى برد الشباب فيعشق
المـــاء ضـــم جمـالـــه وجـلالـــه | والموج يدفعه الغرام فيخفق
يمضى إلى غاياته فى خفّة | لا يستريح مغرب ومشرق
هل فى بطونك يا مياه سرائر | يحكى وقائعها قتيل مغرق

ثم يقول:

يا للنجوم على الثرى منثورة | فى الشاطئين من المنازل تبرق
الـنـور فى جنباتها متوّهج | كالجفن من حرق الغرام موّرق
ينساب فى الماء الضياء كأنه | دمع على خدّ جرى يترقرق

ونرى أثر طوافه فى أقطار الغرب فى ديوان «همسات»، ونحن نسمع صدى هذا التجوال يتردد فى قصائده التى يصف فيها تأثير تلك المشاهد فى نفسه المتفتحة الصافية، وخياله الخصب.. نقرأ له مثلاً قصيدة «باريس» فإذا روح الشاعر وحسّه وقلبه كل أولئك مذاب فى كلماته يظهرك على مدى تأثير ذلك الطواف فيه:

يقول شاعرنا:[1]

قـولـوا لمـن جـهـل الهـوى | علم الهـــوى حيث الهـوى
علم الهـــوى حيث الهـوى | أيـــن اتجـهـت سرى الهـوى
بـاريـس يـا بنت الشباب | وبـنـــت شـيـطـان غـوى
مـا أنـت إلا الـكـون يظمأ | فـيـك ريـــــان الهـــوى
فـتـانـة يـعـوج فـيـك | مـن اسـتـقـام إذا هـوى

(١) همسات/ ص١١٧/ ١٩٦١/ دار المعرفة - القاهرة

فـــإذا تـعـيّـا الجـــد فيك		دنـــا الـسـبـيـل إذا نـوى

فـيـك الـغـوايـة والهـــدى		وبـــك استـقـام مـن التوى

***

وقد استمر أحمد عبدالمجيد يرتحل من بلد إلى آخر بحكم منصبه الدبلوماسى مدى ثلاثين عاماً حتى نقل إلى ديوان وزارة الخارجية بالقاهرة عام ١٩٥٩م ليشغل منصب السفير المشرف على الشئون الخارجية العربية، وليكون فى نفس الوقت مندوباً دائماً للجمهورية العربية المتحدة لدى جامعة الدول العربية لمدة ثلاثة أعوام، اشترك فيها فى جميع اجتماعات الجامعة العربية ومؤتمراتها فى الداخل والخارج، وفى تلك الحقبة استغرق أحمد عبدالمجيد عمله فلم نعد نقرأ أشعاره الرقيقة كما كف عن نظم الأغانى العذبة مما دفع بعض أصدقائه إلى دعوته للعودة لرياض الأدب والشعر والفن للاستمتاع بنفحات روحه الشاعرة ونبضات قلبه المذابة فى قصائده الممتعة.

من ذلك مثلاً ما كتبه الدكتور مصطفى الديوانى تحت عنوان «نصيحة إلى سفير» عام ١٩٦٠ يقول:[(١)]

.. عندما زرت سفارتنا فى روما، وتلفّت يساراً إلى الغرفة الأنيقة التى يشغلها مستشار السفارة، تذكرت الصديق أحمد عبدالمجيد السفير الأديب، وقد كان يجلس إلى المكتب نفسه منذ أربع سنوات، وهو شاعر وأديب رقيق.. وكان بالسماء غيّم خفيف.. فتذكرت أغنية لأحمد غناها عبدالوهاب منذ أكثر من عشرين عاماً، وهى:

فى الجـو غيم حجب القمر		وحرمنى مـن حسن جماله

يـا هـل تـرى عـــاذل ظهر		وإلا عـزول حـب وصاله!

والواقع أن القطع التى وضعها أحمد عبدالمجيد لعبدالوهاب فى أوائل عهده

(١) مجلة آخر ساعة/ ٢١ ديسمبر ١٩٦٠

كانت أعمدة قام عليها مجده الفنى، وأن أغنيتى «فى الليل» للشاعر شوقى و«كلنا نحب القمر» لأحمد عبدالمجيد - وكلتاهما ظهرتا فى عام ١٩٢٩م - وكان يخيلّ إلىّ فى هذه الأيام الخوالى أن عبدالوهاب يغنى «بمزاج» إذا شدا بمقطوعات شوقى وكلمات أحمد عبدالمجيد.

إن المعانى التى بدأها أحمد عبدالمجيد تعتبر بداية عمر جديد فى تاريخ الأغنية. كيف ننسى له «كلنا نحب القمر، والقمر بيحب مين؟»، ثم «الهوان وياك معزة»، و«مريت على بيت الحبايب»، و«يا ترى يا نسمة» و«ما كانش على البال».

انى آخذ على الأستاذ أحمد عبدالمجيد انزواءه منذ أن أصبح وزيراً ثم سفيراً.. أفلا يرانى أبتعد عن الطب فى بعض الأحيان؟!.

لقد أخذت أنتهز الفرص التى تسنح لى وأنا استرخى على مقهى «الدونيه» بشارع فنيتو المحبب إلى قلب أحمد عبدالمجيد.. وأخذت أترنم بختام أغنية السفير «أحمد عبدالمجيد» «فى الجوغيم» إذ يقول:

مسكين ما دام عاشق وعزول

وانت اعتذارك إيه فى هوانى؟

يا قلبى آه حاتفيدك إيه

وقولتى آه بتزيد جفاك

مسكين مجروح من طول النوح

واسيه واشفيه يا دموع العين..

أيها السفير الأديب: اظهر وبان؟..

***

وفى مارس عام ١٩٦١م ترك أحمد عبدالمجيد عمله بالسلك الدبلوماسى ليتفرغ للأدب والترجمة والبحث والشعر، وكتبت صحيفة الأهرام يومئذ كلمة منصفة رقيقة بهذه المناسبة قالت فيها:

فى هدوء، ترك أحمد عبدالمجيد السفير فى وزارة الخارجية عمله الدبلوماسى بعد أن قضى فيه سنوات طويلة، ليتفرغ للشعر والأدب - وأحمد عبدالمجيد كما يقول عنه أحمد رامى فى تقديم ديوانه «همسات» شاعر خافت النبرة، رقيق العاطفة، لطيف المعشر..

همسات أحمد عبدالمجيد هى مجموعة من قصائده كتبها فى شبابه ومازال يكتبها بنفس حرارة الشباب، وهو يبتعد قليلاً عن سن الخمسين، ولكن شعره كله حب وغزل وشوق ورياح وأنهار!.. وأحمد عبدالمجيد شاعر كلاسيكى وشعره غنائى ينتقل من أطياف الذكرى إلى وصف راقصة باليه إلى وصف ليالى فيينا وشعره غنّاه محمد عبدالوهاب.

***

ومنذ عام ١٩٦١ أمد أحمد عبدالمجيد المكتبة العربية برصيد من المؤلفات النفسية فى أدب السياسة والترجمة والشعر، فأخرج لنا عدة كتب ما بين كتاب مترجم وبحث سياسى عميق وديوان شعر هامس.

وهذه هى مؤلفاته:

١- الكتب المترجمة:

١- فرنسا: شعبها وأرضها.

٢- تمثال المحارب.

٣- مسرحية دون كارلوس.

٤- طيار هيروشيما.

٥- العالم الثالث.

٦- أبو سمبل.

٧- الدبلوماسيون.

٨- سيوف الفردوس.

٩- أضواء على القوقاز بالاشتراك مع زميله السفير/ على فهمى العمروسى.

١٠- قصص قصيرة من الغرب.

٢- كتب مؤلفة:

مجموعة شعر «١٩٢٨»..

١- أضواء على الدبلوماسية (١٩٧٠)

٢- لكل أغنية قصة ديسمبر (١٩٧٠)

٣- سندباد دبلوماسى بدأه فى أبريل ١٩٧١ ونشر عام ١٩٧٤ بدار المعارف.

٤- رحلة مع الظرفاء.

٥- شوقى الشاعر الإنسان.

وقد كتب أحمد عبدالمجيد عدداً من أعمق الأبحاث السياسية وأوفاها منها:

١- بحث عن مشكلة المضايق فى تركيا.

٢- بحث عن مشكلة الإسكندرونة.

٣- بحث عن مشكلة «السار».

٤- بحث عن طائفة الدونمة فى تركيا.

٥- بحث عن الأقلية التركية فى بلغاريا.

من مؤلفاته المخطوطة:

١- فى عالم الأحلام «دراسة».

٢- نجوى «ديوان شعر».

وفيما يلى استعراض لبعض مؤلفاته النفيسة التى أصدرها شاعرنا..

«ديوان همسات»

أحمد عبدالمجيد ديوان «همسات» فى يونيه ١٩٦١ بعد تركه عمله الدبلوماسى بوزارة الخارجية ضم عصارة تجاربه العاطفية - ويتسم هذا الديوان بما تجمع لدى الشاعر من تجارب عميقة، ومعانى خصبة وانفعالات غالية، فهو متفائل «متفتح للحياة» لولا عقبات صحية كانت تعترض تفاؤله تراها مبثوثة بين مجموعة أسماها «ثنائيات» وهى «أوراق الخريف»..

وعاطفة شاعرنا فى قصائده صادقة قوية - وفى هذا الديوان نلاحظ الظواهر التالية:

- شعر الحب والغزل:

عاطفة شاعرنا فى هذا اللون صادقة ونابضة بالحرارة، وهو فى هذا اللون شاعر أصيل مبتكر، يعزف على أوتار القيثارة القديمة، ألواناً جديدة من النغم ومن الألحان الطريفة الشائقة..

يقول فى قصيدة «وعد»:[1]

وعـــد الحـبـيـب دعـانـى ... وأول الـغـيـث قـطـره

ورقّ قـلـب زمـانـى ... وراح يـبـذل يـسره

(١) همسات/ ص٩٠

ورن صوت حبيبي ... منادياً - ما أبره
وجاء في الليل لما ... أعاره الليل ستره
ولفنا في ظلام ... ليل تجاهلت فجره
أغني به عن ضياء ... ينثر على الكون دره
فهو الضياء لعيني ... طلا بها منه نظره
وظل يشرب خمري ... وكنت أشرب خمره
وكان سحر حبيبي ... من كوثر الحب سكره

ويقول في قصيدة «أمس»:[1]

شغلت لفرط الحب عنك وعن نفسي ... فما مر من عمري سوى زاهر الأمس
ويومي وليد ليس لي فيه سلوة ... ولا فيه لي ذكرى يطيب بها حسّي
ولا أشتهي الآتي وأخشاه إن دنا ... كمن بات في خوف من الجن والانس

ثم يقول:

لقد كنت ليس شمسي وأنسي وراحتي ... وكنت نعم البرء وافي بلا نكس
فيا ليت ذاك الأمس خلف لي غدا ... لكنت به أغنى عن الكون والأنس

- الإيمان بمذهب اللذة:

وهو هنا شاعر خيامي يخاف الغد وينشد الجمال واللذة متمثلاً بقول من قال «ولك الساعة التي أنت فيها، على نحو ما نشاهد في قصيدة «العيون السود» التي يدافع فيها عن استغراقه في عبادة روائع الحسن وبدائع الجمال يقول:[2]

(١) همسات/ ص٤٣
(٢) همسات/ ص١٠٥

أيهـــا الـــلائـــم دعـنـــى   لـيـس يــرجـى لى مـتـاب
كـلـــا أوصــــــدت بـــابـاً   لـلـهــوى يـنـشـق بــاب
والـعـيـــون الــســود همّـى   أمــرهـــا عـــنـــدى مجـاب
لـسـت أدرى يــوم وافــت   كـيــف لـبـاهـا الـصــواب

***

هــل رأيــتــم قـبــل قلبى   لــلـــردى يــســعـى المـصـاب
يـتـبـع الـعـيــنـين عــدوا   أيـــنـــا يـــبـــدو سراب
لـلـهـوى أسـلـمـت قيدى   لـسـت أخـشـى أو أهــاب
أيهـــا الـــلائـــم دعـنـــى   قـبـل أن يـمـضى الـشـبـاب

- شعر الطبيعة:

لقد تغزل فى النيل وواديه عندما اغترب، ثم كان اتجاه الشاعر نحو الطبيعة الغربية بما فيها من ألوان وظلال وجمال يقول فى قصيدته العذبة «من وحى البسفور»:[1]

خلع الربيع مفاتنا من حسنه   فى الضفتين ونـظـرة تتألق
ان الربيع فصاحة أزلية   عذب الحديث بيانه لا يلحق
يختال فى الوادى ويزهو فى الربى   ويصيح فى سمع الوجود وينطق

ويقول فى قصيدة «باريس»:

والـغـــاب ملتف الخـمائـل   عـــطـــره مـــلأ الهــــوا
يا غـاب «بولونيا» سعدت   وعـشــت يــا غــاب الهــوى

(١) همسات/ ص١١٥

كـــم ذكـــريـــات لـلأحـبـة — فـيــك والـــذكـــرى دوا
أغـــصـــانـــه مـشـتـاقـة — أواهـــة تـشـكـو الجـوى
والـــســين مـبـتـسـم وعـنـد — ضـفـافـه ابـــترد الهـــوى
يخـتـــال بـــين الـضـفـتـين — كـــفـــارس بـــادى الـقـوى

ويقول عن سحر الطبيعة فى لبنان:

لبنان من بين المغانى جنة — ما ان لها بين الرياض مثال
أين انتقلت لقيت حسناً ماثلاً — فـإذا مكثت أتى إليك جمال

- الحنين:

ويرجع ذلك إلى غربة الشاعر الطويلة عن وطنه وعدم استقراره فى بلد ما لفترة طويلة وانتقاله المستمر بين بقاع العالم فى سان فرانسيسكو وميلانو وروما وأنقرة وأثينا واستانبول وبون وميلانو والقدس وبيروت ودمشق وعمان وباريس ويرتبط حنينه لمصر بحنينه لمحبوباته فيها:

يقول فى قصيدة «حنين»:[1]

هواى على النهر المنوّر شطّه — رعى الله سمراء الربى بحنان
لها النفس ظمأى والمطامع جمة — على البعد سيان وحين تدانى
أحنّ إلى مغناك يا غاية المنى — وما الشوق إلا من منى وحنان

ويقول فى قصيدة «سمراء النيل» يحن فيها لأيام الوصال والسعادة مع محبوبته ويستذكر ليالى الهناء وهو فى غربته فيقول:[2]

(١) همسات/ ص٢٢.
(٢) همسات/ ص٢٣.

يا جارة النيل أيام بنا سلفت مضت كعمر الندى أو خفقة الحبب

ذكرتها وحنين الشوق نازعنى ورمتها وهوى الخفاق يعصف بى

تذكّرى من خرير النيل مجلسنا يروى حديث الهوى من سالف الحقب

يروى إلى الشط والعشاق قصته حلو البيان كرجع من حديث نبى

لما تـأذن يا سمراء مغتربى وصوتك العذب يا سمراء فى طلبى

وعندما كان يستمع إلى لحن فى ديار الغربة ينتابه الشوق والحنين إلى ضفاف النيل وينتابه شوق غلاب إلى ذكرياته السعيدة على الضفاف الخضر يقول فى قصيدة «من وحى النيل»:[1]

ورقاء غنّت على أيك لتشجينا يا ليتها علمت مـاذا تغنيّنا

صدّاحة اللحن إلا أنه نغم لم يقو يوماً على أرواء صادينا

نوحى بنجواى أن يممت ربوتها وذكريها - إذا شاءت - ليالينا

وبلغيها - وقد شط المزار بنا أنّا على العهد ان غبنا مقيمونا

ثم يقول:

يا جارة النيل هل من آجل مرح يضوى له الغيب من بشرى تلاقينا

صونى عهود ليال طاب موردها فما لقيت لها من بعدكم لينا

يا سعد من بات شدو النيل يطربه ويا هناءة من يشقى بوادينا

- شعر الخمر:

وهذا الفن عند شاعرنا فيه أصالة وابتكار وإبداع ويتجلى فى هذا الفن خفة ظل شاعرنا وروحه المرحة المقبلة على الحياة وتفتحه لمباهج الحب وألوان الجمال، كما

(١) همسات/ ص٣٨.

يتجلى فيه شكواه من ضعف البدن واضطراب الأعصاب، وقلق النفس.

يقول أحمد عبدالمجيد:[1]

اسقنيها علّنى أشفى بها ... فــإذا لم تشفنى تقتلنى

بـين قـتـلى وشـفـائـى قـدح ... فيه من دائـى خلاص البدن

ويقول:

صفراء حمراء أو بيضاء ناصعة ... جيئوا بهنّ جميعاً يختفى دائى

إنى أزيد على من قال منتشيا ... «وداونى بالتالى كانت» بلا ماء

ويرى أن الخمر ملاذ يدفن فيها آلامه وشجونه..

فيقول:

هات لى الصهباء تطوى الداء طى ... انه فى الصحو كم يقسو علىّ

أحـسـب الـداء قتلناه بها ... فإذا أصبحت قام الـداء حى

ويقول:

يتخيل النشوان أحلام المنى ... صحّت وأن نـواهـنّ قريب

وأرى إذا أترعت خمرا أننى ... أحيا وحسبى بالحياة نصيب

ثم يروى فلسفته فى الحياة فيقول:

سـألـت وكـأسـى فى يـدى ... ما تلك؟ قلت: حياة أنسى

قـالـت: وهـل تـرضى بها ... بـدلا؟ فقلت: ولا بنفسى

ثم يقول.. وقد أضناه الضنى طالباً العفو ومغفرة الله:

(١) همسات/ ص١٣٦.

ما شربت الخمر إلا للتداوى — لا لداع فى سويعات الهناء
رب فاغفر لى الضنى ان كان ذنبى — واعف عن دائى ففى العفو الشفاء

ويروى لنا شاعرنا القصة التالية:

«عندما صدر أمر نقلى إلى سان فرنسسكو، كان يسرى فى الولايات المتحدة فى ذلك الحين من عام ١٩٣٢ قانون منع المسكرات.

وكنت فى شهر يوليو من ذلك العام استعد للسفر بحراً من الإسكندرية إلى أوروبا ومنها عبر الاطلسى إلى نيويورك ثم بالقطار إلى سان فرنسسكو.. وكان شوقى الشاعر مصطافاً فى رمل الإسكندرية.. ووجدته يتريض فى كازينو سان استيفانو بالسير فى مماشيه الشائقة وإذا به يلقانى بضحكة تسرى فى كل وجهه ويتقطع بسبب استرساله فيها كلامه. ولفيته يقول لى إنه علم اننى انتقلت من اليونان بلد الإله باكوس إله الخمر إلى أمريكا حيث يسرى قانون منع المسكرات. ثم يعقب على ذلك بقوله: «حاجة غريبة خالص بقى انته فيك صحة تتحمل الانقطاع عن الشرب!..

***

- الحكمة:

فى هذا الديوان آبيات مليئة بالحكمة نتيجة لتجاربه الخصبة العميقة فى الحياة وتأملاته الهادئة فى الوجود والناس والحياة وفى تلك الأبيات الشعرية صور مبتكرة جميلة ليس فيها تقليد أو سطحية أو مواعظ بل فيها تجديد وطرافة وابتكار أصيل، فمثلاً يصور اسرافه وعدم الاحتفاظ بالمال بين يديه فيقول:

المال بكفى ليس له — صبر فى أهون تصويرى
لا يبقى فى كفى إلا — ما بين شهيقى وزفيرى

ومن أجمل الصور قوله:

قالت الزهرة للورد أجبنى ... ما لهذا الشوك فى غصنك نامى؟

قال: هذا الشوك فى غصنى سلاحى ... فاستريحى واريحينى ونامى

وقد ضمن شاعرنا أحمد عبدالمجيد ديوانه «همسات» مقطوعات ثنائية جاوزت المائة والثلاثين مقطوعة كان يمكن أن تصدر فى ديوان منفرد، وقد أسماها: «أوراق الخريف» التى قال فى تقديمها:

«فلقد نفد صبرى فما أطيق نظماً أو نثراً، وأمسك خيالى المجنّح عن التحليق، يوم غدا لا يطير ولا يسير، وأعرضت عن مواكب الدنيا إذا هى استاذنت فى طرق بابى، وعزمت راغباً عن الكثير الغزير، راجيا قانعاً باليسير الأقل».

وهو فى هذا الديوان، حلّق فى عالم الحكمة والتأمل على عكس ما وصف به حالته النفسية ونفاد صبره يوم ان وضع هذه الثنائيات. فلقد عانى فترة طويلة من تقلّب العلل على بدنه النحيل حتى ارقدته طريح الوساد، جمع فيها الكثير من هذه الثنائيات الساخرة. اسمعه وهو يقول عن الأمراض:

أمضيت فى خدمة الأمراض أعواماً ... ما غاب عنى الضنى يوماً ولا ناما

وجئتها اليوم أرجوها وأسألها ... منحى معاشاً وتكريماً وإنعاما

أو يقول فى حوار بين عليل وطبيب:

سأل العليل طبيبه عن وعكة ... تنتابه فـأشـار بالمستشفى

ثم استدار لسؤاله: يا هلترى ... يشفى! أجاب نعم متى تتوفى

ويقول:

تعجلت الزمان فـراح يجرى ... وراح العمر يجرى وهو يدرى

وأسلمنى السباق إلى سقامى فكيف ألـوم أيامى ودهـرى

ومن أروع ما قاله فى الحكمة قوله:

أتعجل الأيام تسرع خطوها فإذا مضت عنى بكيت الماضى

وأحنّ للذكرى فيغضب حاضرى فأقول: لا تغضب فانك ماضى

***

ويقول شاعر الحب والشباب أحمد رامى عن ديوان «همسات» فى المقدمة النفيسة التى كتبها:[1]

«وشاعرنا أحمد عبدالمجيد لطيف العشرة، مرهف الحس، خافت النبرة، رقيق العاطفة. إذا قرأ علىّ شيئاً من شعره أحسست وقد قلبه فى حرارة إلقائه وفى ديوانه قرأت طائفة من الشعر بين قصيد ونشيد، ومقطعات غنائية تناول فيها خواطر جرت على قلمه فى كل صقع من الأصقاع التى زارها فى طوافه. قرأت شعراً بديعاً فى لفظ سهل وقافية رنانة وأسلوب واضح تسرى فيه روح رفيقة، ونفس رقيقة، وتتجاوب فى أصداء بعيدة لأنغام فريدة، فى لغة الطير أغرودة المكاء وهى فى لغة النور إشراقة الفجر وبهاء الغروب».

ب- أضواء على الدبلوماسية

أصدر أحمد عبدالمجيد كتاب «أضواء على الدبلوماسية» فى شهر ديسمبر ١٩٦٩

وفى هذا الكتاب ألقى المؤلف الضوء على ما رمى به الناس الدبلوماسية من غموض وتيه، فى إيجاز وإيضاح وشرح، واستناد إلى شواهد من التاريخ والأحداث عبر الزمن منذ أن قام مجتمع بشرى من شأنها جميعاً أن تجعل الرؤية واضحة، وبلوغ

(١) همسات/ ص٦.

المعرفة يسيراً لا عنت فيه ولا عناء.

إن مجال رسالة الدبلوماسية مترامى الأطراف، واسع الأفق، متعدد السبل والطرقات، فألقى المؤلف الضوء على بعض دروبه، والتعرف على ما هو رئيسى من هذه الدروب، فكان هذا الكتاب بمثابة موسوعة ميسرة عن الدبلوماسية يفيد منها المتخصصون وعامة المثقفين لما يمتاز به هذا الكتاب من وضوح وبساطة وأسلوب جميل مشرق سلس سهل خال من التعقيد والتكلف والجمود.

وقد كتب الأديب «يحيى حقى» مقالاً تحليلياً قيما عن هذا الكتاب الدسم قال فيه:[1]

«صدر أخيراً كتاب «أضواء على الدبلوماسية» للأستاذ أحمد عبدالمجيد وأحمد عبدالمجيد الذى عمل بالسلك الدبلوماسى ثلاثين سنة حتى ارتقى من أول درجات السلم إلى مرتبة السفير هو من ركب الدبلوماسيين الأدباء. انه شاعر رقيق له ديوانان أولهما «همسات» وثانيهما «أوراق الخريف» يتمثل فيهما الشعر، وهو يتخلص من الذوق الكلاسى إلى الذوق الحديث، وهذا النغم الشعرى الذى يخفق به قلبه هو الذى جعله أيضاً من مؤلفى نصوص الأغانى وكم دارت على ألسن الشعب - لا فى مصر وحدها بل فى العالم العربى كله - كلمات له ألفها لعبدالوهاب فتغنى بها مثل:

«كلنا نحب القمر» و«مريت على بيت الحبايب»، ولا أحب أن أنتقل إلى بقية الكلام دون أن أذكر أيضاً للأستاذ أحمد عبدالمجيد صفة تجعله فى المحل الأول فى أصدقائه - وهم كثر - بل تكاد تبلغ صداقتهم له بسببها حد العشق!..

صفة تسلكه فى هذا الرتل الذى هو زينة الحياة وبهجتها الممتد من البابلى والبشرى وحافظ إلى حسين الترزى ورامى وأم كلثوم، أعنى رتل أئمة الدعابة وفن التنكيت

(١) صحيفة المساء/ ٢٦ يناير ١٩٧٠

أرجو أن أقدم لك فى فرصة أخرى أمثلة من نكات أحمد عبدالمجيد التى يطلقها عفو الخاطر وليد اللحظة لا لبراعتها فى الفكاهة بل لأنها تمت إلى الأدب الرفيع أيضاً من حيث حسن الذوق وقوة الخيال وتمام العناق بين اللفظ والمعنى..

وهذا الكتاب «أضواء على الدبلوماسية».. يثبت للناس خلاف ما يظنه الناس من أن تطور السياسة والتقدم الهائل فى طرق المواصلات قد سحبا البساط من تحت أقدام العمل الدبلوماسى حتى ليبدو للأعين أنه أصبح ترفا لا مسوغ له «يثبت الكتاب أن العمل الدبلوماسى له أهميته وجدارته بالبقاء».

يقول: ووظيفة السفير لا تزال تحمل عبء جس النبض، وتهيئة الجو المناسب وإزالة العوائق والعقبات والإعداد والتمهيد لكل محادثة ذات خطر يقوم بها وزير خارجيته، وإلى جانب كل ذلك تحمله لكل صدمة عند وقوع نزاع بين بلده والبلد المعتمد لديه.

وبعد أن ذكر الكتاب سعى السفراء لتدعيم الروابط الاقتصادية والعلمية والثقافية بين بلدهم والبلاد الأخرى قال:

«لقد أصبحت دور السفارات فى عصرنا الحديث بمثابة الواجهة الخارجية التى تعرض فيها خير النماذج المشرفة للدولة من كل جانب».

وهكذا فإن أحمد عبدالمجيد، على خلاف مارك أنطوان - لم يشأ فى هذا الكتاب أن يقبر السلك الدبلوماسى بل ان ينفخ فى روحه، ولكنى لم أر مدافعاً فاقه فى التزام الاعتدال والتريث والاعتراف بالحقائق التى له والتى عليه، وقد وصل أحمد عبدالمجيد إلى خاتمة البحث بعد أن طاف بنا عبر التاريخ فيبدأ بتعريف الدبلوماسية ثم يشرح تطورها فى مختلف العصور ثم يتطور إلى الحرفة ذاتها فيشرح أدواتها ومصطلحاتها - ولكن هذا الجانب المنهجى الدراسى فى الكتاب لا يهمنى «لأنى أجد

مثيلاً له فى مراجع أخرى» قدر ما يهمنى الجانب الآخر فى الكتاب الذى جمع فيه أحمد عبدالمجيد خلاصة قراءاته المستفيضة عن تجارب سفراء عديدين وهم يصارعون مشاكل مناصبهم فى أدق الأوقات وأشدها ضغطا عليهم، تجارب سفيرى فرنسا فى إنجلترا وروما «وهما اخوان كامبون» قبل الحرب العالمية الأولى وتجارب سفيرى ألمانيا فى موسكو وانجلترا «كونت فيرنر فون دير شولز برج وهربرت فون ديركسن»، وكذلك سفيرى الولايات المتحدة فى لندن وباريس «مستر كندى ومستر بوليت» قبل الحرب العالمية الثانية، يضاف إلى ذلك هذه الصورة الحية الممتعة التى قدمها المؤلف لسكرتير وزارة الخارجية الفرنسية فيليب برتلو قبل الحرب العالمية الثانية، هذا هو الجانب النابض فى الكتاب، تقرأه، كأنك تقرأ قصة درامية تهتز بها تتضمنه من لحظات الصراع العنيف بين قوى جبارة، قوى مادية ومعنوية، فينبغى لكل عضو فى وزارة الخارجية عندنا أن يقرأ هذا الكتاب بل اننى واثق أن كل مثقف سيجد فيه فائدة ومتعة، وينتهى الكتاب بعرض ينصف سياستنا الخارجية كل الانصاف، قد شعرت باعتزاز كبير ببلدى وأنا أقرأه فقد أثبت المؤلف أن سياستنا الخارجية تعتمد على المثل العليا التى تهفو إليها الإنسانية، من الاعتراف لجميع الشعوب بحقها فى تقرير المصير، من مقاومتها لكل أنواع العدوان، من وقوفها ضد الاستعمار، حتى كأنك لتحسب أن لا مصلحة لنا إلا الدفاع عن هذه المبادئ والتمسك بها.

حقاً أن مكتبتنا لم تثرها كتب عديدة مؤلفة لا مترجمة عن الدبلوماسية، وتجارب سفرائنا العظماء ولابد أن نشيد هنا بأعمال أستاذنا أحمد فراج طايع الذى قدم لنا جوانب من تجاربه فى الأمم المتحدة وفى فلسطين، أما أحمد عبدالمجيد فلم يشأ فى كتابه أن يحدثنا عن شيء من تجاربه، لعله يختزنها لكتاب آخر نرجو ألا يغيب عنا، ولكنه لحسن الحظ لم ينس وهو يؤلف «أضواء على الدبلوماسية» حتى وهو يتحدث عن

الجانب الحر أنه أديب، صاحب أسلوب، فالتزم فى الكتاب كله رشاقة اللفظ والعبارة فهو أيضاً نص أدبى.. انظره كيف يعرف البروتوكول:

ومعنى البروتوكول أو المراسم فى عالمنا الحديث هو قدرتنا على فهمنا للحياة وكيفية استقبالنا لها والاحاطة بتفاصيلها ودقائقها والعناية بمعرفة ما يحيط بجوها من مظاهر الاستقبال والاجتماع والاحتفاء والتصرف الصحيح فى مختلف المناسبات، والعلم بما ينبغى أن يترك وما يتعين أن يكون، هو فى كلمة جامعة «فن الحياة».

جـ - لكل أغنية قصة»

صدر كتاب «لكل أغنية قصة» لأحمد عبدالمجيد فى ديسمبر عام ١٩٧٠م.

وهذا الكتاب النفيس يحكى قصة الغناء العربى منذ الجاهلية حتى العصر الحديث وقد تناول قصة الغناء فى بداوته وتطوره مع الزمن ثم عرض لقصة الغناء فى مصر فى عهد الموال والدور والتخت والتطريب ثم الغناء المسرحى فى مصر، ابتداءً من الشيخ سلامة حجازى..

ثم تناول بصورة موضوعية منصفة لدور موسيقار الشعب سيد درويش فى تطوير الموسيقى الشرقية وتلحين الأوبريت، ثم عقد فصلاً تحدث فيه عن دور أم كلثوم فى أداء الأغنية ورسالتها فى عالم الغناء كما عقد فصلاً تناول فيه دور الموسيقار محمد عبدالوهاب فى تطوير الأغنية ثم تكلم عن الفنون الشعبية «الفلوكلور» وظاهرة اهتمام كافة الدول بها، ثم ذكر ما اشتهر على المستوى العالمى من الموسيقى الغربية، واختتم هذا الكتاب النفيس بما نظمه من أغانى للموسيقار محمد عبدالوهاب فى الفترة من عام ١٩٢٥ حتى عام ١٩٣٠، وذكر بيتين من الشعر يلخصان فلسفته فى نظم الأغنية:

طوّفت ما طوّفت فى بحر الهوى ورجعت حرّان الجوانح صادى

وأحلت أنـاّت الحنين أغانيا هى فى خريف العمر من عوادى

ومن أرق تلك الأغانى العذبة الشجية «كلنا نحب القمر» التى يقول فى مطلعها:

كـلـنـا نـحـب الـقـمـر والـقـمـر بـيـحـب مـين؟

حـظـنـا مـنـه الـنـظـر والنظر راح يـرضى مين؟

***

كـل يـوم يـظـهـر عـزول تـفـتـنـه ويـغـير عليك

وان سـبـاه الـنـوح وطـال فيك أنينه يلومنى فيك

وأغنية «خايف أقول اللى فى قلبى»:

خايف أقـول الـلى فى قلبى تـتـقـل وتـعـنـد ويـايـه

ولـو داريـت عـنـك حبى تفضحنى عينى فى هوايه

وأغنية «مريت على بيت الحبايب»:

مـرّيـت عـلى بيت الحبايب مـن اشتياقى أنـاجـى أهله

مـدام مليك القلب غايب وفى التلاقى يبخل بوصله

****

وقـفـت لحـظـة هـنـيّـه مـن غـير عـزول أو رقيب

أنـعـش فـؤادى وعـنّـيـه بـجـوّ فـيـه الحـبـيـب

وأغنية «نسيم الربيع»:

نسيم الربيع ينعش فى قلبى الحنين ويزيد وجده

متيم صريع ولهان يناجى الضنين من طول بعده

وأغنية «بالليل يا روحى»:

بالليل يا روحى أرتّل بالأنين اسمك ... وبعين خيالى أصوّر ياضنين رسمك

وأشوف خيالك من بين دموع العين ... وأقول له مالك وفين جمالك فين

ومن ذلك أيضاً أغنية:

بالك مع مين يا شاغل بالى ... يا حبيب العين ارحم حالى

وأغنية «ما كانش عالبال»:

ما كانش عبالبال تشغل بالى ... يا روحى وتسهّرنى ليالى

ويذكر أحمد عبدالمجيد الدوافع التى جعلته يقوم بتأليف هذا الكتاب فيقول:[1]

«كانت لى من ملازمتى لمجالس الغناء فى مصر، والاختلاف إلى دور الأوبرا وحفلات الكونسير فى الخارج، ذخيرة تؤنسنى فيها أنا مقدم عليه من الكتابة عن شأن أحبه وأهواه.

ويّعرف أحمد عبدالمجيد الغناء تعريفاً جميلاً شاعرياً فيقول:

«الغناء هو المنطلق الذى يعبر به ناظمه وملحنه ومغنيه ومردده، عما يختلج فى نفسه من مشاعر وأحاسيس، وهو المتنفس الذى يجد طريقه سهلاً هيناً إلى الأسماع المترقبة له، لتحتفل به مع من صاغوه وتغنوا به وأدوه، ولتحتفى بهذا السحر الآسر، الذى يسمو ويسف، ويؤنس ويوحش، ويضحك ويبكى، كأنما اجتمعت له ما فى الجنة من نعيم، وما فى النار من عذاب وضنى».

ويرى أحمد عبدالمجيد ان الموسيقى تترجم عما بلغته أمه من الأمم، من تقدم ورقى، وانحدار وانحلال، أو تأخر وهمجية..

(١) لكل أغنية قصة/ ١٩٧٠/ المقدمة - مكتبة الأنجلو/ القاهرة.

وقد استقبل النقاد هذا الكتاب الفريد والأول من نوعه فى المكتبة العربية استقبالاً حسناً فكتب الشاعر صالح جودت مقالاً عن الكتاب قال فيه:

«يقول السفير الشاعر الفنان أحمد عبدالمجيد، صاحب الديوان الحالم «همسات إن الغناء هو المنطلق الذى يعبر به ناظمه وملحنه ومغنيه ومردده عما يختلج فى نفسه من مشاعر وأحاسيس، وهو المتنفس الذى يجد طريقه سهلاً هيناً إلى الأسماع المترقبة له، لتحتفل به مع من صاغوه وتغنوا به وأدوه، يسوق هذا التعريف الطريف للغناء فى كتابه الجديد الذى ظهر هذا الأسبوع بعنوان «لكل أغنية قصة».

وأحمد عبدالمجيد ليس غريباً على الأغنية.. بل هو رائد من روادها الأوائل الذين كانوا ارهاصاً للثورة الغنائية التى تفجرت بعده على يد رامى وتلاميذه. فلقد اتصل أحمد عبدالمجيد بعبدالوهاب قبل عودة رامى من باريس وخوضه ميدان الأغنية بل لعله اتصل به قبل أن تتوطد الصداقة الكبيرة بين عبدالوهاب وأمير الشعراء الذى نظم له روائعه الفصحى والدارجة.

وكتب الناقد الفنى الصحفى عبدالفتاح البارودى يقول:[1]

كم عدد الذين يعرفون اسم مؤلف أشهر أغانى عبدالوهاب القديمة؟!

ان هذا الشاعر الغنائى الرقيق الذى كتب «كلنا نحب القمر - خايف أقول اللى فى قلبى - مريت على بيت الحبايب» هو الفنان أحمد عبدالمجيد الذى اختفى عن الوسط الموسيقى منذ ٤١ عاماً ظهر هذا الأسبوع فى كتاب بعنوان «لكل أغنية قصة».

والغريب ان هذا العنوان لا ينطبق على محتويات كتابه هذا، الذى قدم فيه إضافية عن الأغانى فى حياة الشعوب وقصة الغناء العربى والغناء فى مصر والغناء المصرى والفنون الشعبية وغيرها، وفى الكتاب بحوث وتحقيقات واستطرادات ممتعة ومفيدة

(١) مجلة الكواكب/ ١٥ ديسمبر ١٩٧٠م.

والمهم أن المؤلف يمتاز بالأمانة العلمية التى حتمت عليه الاستناد إلى مراجع مختلفة وإلى آراء المتخصصين.

صاحب هذا الكتاب شاعر رقيق له فى ميدان الشعر الغنائى ذكر مجيد فى مطلع نهضته الحديثة. فقد غنى له الموسيقار محمد عبدالوهاب قطعاً مختارة، فى مستهل ظهوره على المسرح، لا يزال الشعب يرددها إلى الآن. وقد تناول فى كتابه جوانب الغناء منذ ان كان يصاحب نفساً فى قصب، أو نقراً على طبل، إلى أن أصبح صوتاً ساحراً يذوب رقة فى تيار بديع من عزف يصدر عن شتى الآلات الموسيقية. وكان مسك الختام تدوين ما أرسل وأطرف فى شبابه من أغاريد، فهو شاعر أحس فنظم وأرسل أبدع النغم، وكان فى أول عهده ينظم الأغانى، دعامة من دعائم الغناء.



الفصل الثانى :

ملامح شخصيته

عاشق الجمال

من أبرز ملامح شخصية شاعرنا أنه مفتون بالجمال فهو شاعر مرهف الحس رقيق الوجدان مشبوب العاطفة يتحرق ظمأ إلى الحب والجمال، اينما حل أو ارتحل وإذا قلت انه عاطفة متحركة، فأنا لا أعدو الحقيقة.. انه شاعر محب عاشق مفتون يحلق فى عوالم الحب والجمال..

أيهـــا الـــلائـــم دعـنـى	لـيـس يـرجـى لى مـتـاب
كـــلـــما أوصـــــدت بـابـا	لـــلـهـوى يـنـشـق بـاب
هــل رأيـتــم قـبـل قلبى	لـــلـردى يـسـعى المصـاب
يـتـبـع الـعـيـنـين عـــدوا	أيـــنـــما يـــبـــدو سراب
لـلـهـوى أسـلـمـت قيدى	لـسـت أخـشـى أو أهـاب

وشاعرنا مشبوب العاطفة ملتهب الحس انظره وهو يقول:[1]

ثغرى على شط الثغور فراشة	تحسو الرحيق من الشفاة وتلثم
تستاف أنفاس العبير من اللما	وتـرد للروح الحياة وتلهم

وشاعرنا يخاف الغد ويفرق منه رغم انه لا يبكى على ما فات من أيام.. انظره وهو يقول:

(١) همسات/ ص١٥٨

أنا ما بكيت على زمان فائت | لكننى أبكـى لمـا هـو آتى
فلقد نهلت من الشقاوة أنهرا | وأخاف أشرق فى محيط عاتى

وهو من الشعراء الذين يعيشون ليومهم أى انه شاعر أبيقورى يدين بمذهب اللذة. واتباع أبيقور - يقولون إن هذه الحياة مليئة بالآلام والشرور، فاستمتع بالحياة وتمتع بملذاتها. وهو فى ذلك مع من قال:

وتمتع بالصبح ما دمت فيه | ولا تخف أن يزول حتى يزولا

وهذا المذهب هو مذهب شاعر الرباعيات عمر الخيام..

ويعبر شاعرنا عن هذا المذهب الأبيقورى بقوله:

غافل الأيـام وانعم بالهوى | واخطف اللذات من كف القدر
واهتبلها لحظة تنعم بها | مثلها الدهر قليلا ما يذر

وهو أحياناً يشعر بالرهبة من الغد المجهول:

يـا أخـى الـراح | حـطـم الأقـداح
قـد دنـا يـا صـاح | مـغـرب الأفـراح

وهو يعيش ليومه خوفاً من الغد:

قـال لى الـسـاقـى تـرفّـق | بـشـبـاب طـوع أمـرك
فـغـدا يـعـصـيـك لمـا | يـعـبـث الـشـيـب بشعرك

وشاعرنا من عباد الجمال، فهو يستهين بالأهوال والصعاب فى سبيل الحب والجمال، حيث يقول:

زدنـى ألمـاً وازدد صـدّا | الـنـار يـؤجـجـهـا الـقـدح
وأنـا ما بين سراب الكأس | ومـلـمـسـه غـر مـرح

يقول فى حسية ظاهرة وصدق متوهج:

الطفل للنهد يصبو والشيخ بالنهد يصبو
وما رأيت ابن حوا إلا لنهدين يصبو

ولقد جمع شعر أحمد عبدالمجيد بين الحب والطبيعة، واتسم بالانطلاق الوجدانى والعاطفى..

فأنت تلمس مدى ما يتأثر به الشاعر مما يحيط به، إذا ما سرت معه فى جولاته فى باريس أو فى فيينا أو على ضفاف البسفور.

انه يحلق ويغرد ولا يترك أثراً أو منظراً لا يمسه بريشته الحانية..

يقول فى باريس:(١)

باريس يا أم الفنون شباب فنّك ما ذوى
هيهات يذوى الفن فيك وأنت آلهة الهوى

وعلى ضفاف البوسفور يقول:(٢)

يا للنجوم على الثرى منثورة فى الشاطئين من المنازل تبرق
النور فى جنباتها متوّهج كالجفن من حرق الغرام مؤرّق
ينساب فى الماء الضياء كأنه دمع على خد جرى يترقرق

وفى فيينا يقول:(٣)

قسما بحسنك يا فيينا والحسن معبود تجنّى

(١) همسات/ ص١١٧
(٢) همسات/ ص١١٦
(٣) همسات/ ص١٢٢

أنـــا لا أطـيـع الـقـلـب فى حـبـى ســـواك إذا تمنى

ومــن الجـنـايـة والتجنى أن يـضـيـع الحـسـن أمـنـا

أمــضى هـنـيـهـاتى لديك كـطـائـر حـــذر مُعنى

قلق الخـواطـر فهو صيدٌ لـلـزمـان ومـا أجـنـا

يحـسـو الـرحـيـق وعينه أبـــدا تحـــاذر كـل مغنى

وعاطفة شاعرنا نابضة بالحب والحرارة وفورة الحسن.

ومن أظهر ملامح شخصيته سماحة الروح، وعذوبة النفس وخفة الظل ويبدو ذلك فى ثنايا شعره العذب:[1]

أمضيت فى خدمة الأمراض أعواما ماغاب عنى الضنى يوماً ولا ناما

فجئتها اليوم أرجوها وأسألها منحى معاشا وتخليدا وإنعاما

ومن مظاهر خفة ظله وفكاهته الحلوة قوله:

شكوت إلى ثقيل الظل أمرى فأشفق أن أموت بفقد صبرى

وفـارقـنـى عـلى عـود قريب عسى فى بعده أجتر عمرى

ويقول فى خفة ظل عن الصيام:

الـصـوم أحـق بمقتدر لـيرى حـرمـان المفتقر

سـبـحـانـك يـا ربـىّ وأنـا بـين الاثـنـين عـلى السفر

وقوله:

شكا حجر الـفـرّان لله أمره فأنشأه الرحمن فى زىّ آدم

وأودع فيه الحـب والوجد فاكتوى ولا ذبعون الله من فرن آدم

(١) همسات/ ص١٤٤

ومن أجمل الأبيات الشعرية التى تتسم بالطرافة وعذوبة النفس هذين البيتين اللذين استخدم فيهما قول القرآن «إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر» بذكاء ووعى قوله:[1]

قالت شفتاى لشفتيك ... هيمان القلب متى يسكر؟

فأجابت يهنيك وصالى ... إنا أعطيناك الكوثر

ومن مظاهر خفة ظله:

يشرب الكأس فيصحو ... فإذا سار تعثر

قلت دع رجليك تحسو ... فعسى رأسك يكسر

وتبدو خفة ظله وعذوبة روحه مع ربات هواه - فهو فى احدى قصائده يعاتب محبوبته فى فكاهة حلوة وخفة ظل فيقول لها:[2]

إنى رأيت بعين ظنى أننىّ

ألقاك من بعد انتظارى فى غدى

فتسائلين النفس من ذاك الذى

يرنو إلىّ بنظرة المتعبّد

أين التقينا؟ أين كان لقاؤنا؟

وإذا عييت عن الجواب فاننّى

من كان يدعى ان نسيت بأحمد

كما أن من أبرز سمات شخصيته الوضوح والصدق فهو يصف كل عواطفه،

(١) همسات/ ص١٤٠

(٢) همسات/ ص٦٠

وأحاسيسه وتجاربه فى شعره بصراحة وصدق كأنه مسجل لنبضات قلبه ونوازع نفسه يوماً بيوم، وينعكس فى شعره ملامح مناصبه التى مارسها وتولاها.. فحينما كان يعمل فى ميدان «القضاء» استخدم فى شعره بعض مصطلحات عالم القضاء بوعى وطرافة!..

فهو فى هذا الشعر بمثابة قاض يحاكم ويستجوب ويحقق ويدين!!..

يقول شاعرنا:

إذا عجز الطبيب فلا تلمه
فليس أمامه فى الطب «نقض»
وفى «استئناف» بحثك عن بديل
لفحص ضناك تسلية «وعرض»

وينعكس عمله القضائى أيضاً فى دنيا الحب!..

فهو يعاتب محبوبته ويناجيها وكأنه قاض يحاكمها.. ويوجه إليها سيل الاتهامات التى تدمغها ثم فى نهاية الأمر يدينها فيقول لها:[1]

أنت التى عبثت «بأمنى»	وملأت بالأوهام دنىّ
كان الغرام ولم يزل	أنشودة والشعر فنى
أمضى أرتلها ولا أصغى	إلى همسات ظنى

ويقول بعد فراق محبوبته إنه كمن فقد أمه، وأصبح فى ضياع:

تململ القلب منذ تولّت	وغاض بشرى
فأىّ سحر تملّكته	وأى سحر بغير سرّ

(١) همسات: ص٦٠

ومثل قوله:

وكلت عنى طبيباً أمام قاضى المواجع وحكمه كان يقضى ألا أريم المضاجع

وشاعرنا الرقيق يتسم بالروح المصرى الأصيل، ومن يقرأ شعره يحس إحساساً قوياً انه يقرأ لشاعر قاهرى أصيل فإن ملامح الإنسان القاهرى الصميم تتمثل فى شعر أحمد عبدالمجيد بأجلى صورها وأعمقها. وهو من عشّاق ابن نباته الشاعر المصرى الرقيق فشاعرنا القاهرى يعشق النيل وفى غربته يشعر بالحنين، والشوق إلى لياليه وذكرياته على ضفافه الفيح:

حنينى إلى شطيك يا نيل حارف وشوقى إلى من فى حماك عميق

ولكن فى واديك يا نيل ظبية تساوى لديها سابح وغريق

وإلى جانب هذا الحنين نراه يلتزم بما يجرى على ألسنة القاهريين من رقة فى اللفظ وعذوبة فى الموسيقى وخفة فى السرد - فنراه يقول فى قصيدة عتاب:[1]

وأنا الذى أنشدت فيك قصائدى وأنا المغنىّ

وأنا الذى ملا الفضاء أغانيا وملأت عينى

أنظر إلى «ملأت عينى» ترى أنها قاهرية وتحمل بصمات القاهرى فى حديثه العذب الشجى عندما يقول: «انه يملأ العين وجماله يملا العين» بتخفيف الهمزة!..

وعندما يقول فى قصيدة «أين أنا»:[2]

أيـن أنـت الآن أو أيـن أنا يا هناء العين يا وحى المنى

انـنـى يـا أنـس أيـامـى هنا أحسب الأيـام قد عادت بنا

أنظر إلى «أنس أيامى» وإلى «أين أنت الآن أو أين أنا» فهذا حديث قاهرى

(١) همسات/ ص١٨

(٢) همسات/ ص٢٦

بموسيقاه ورنينه وجرسه وإيماءاته.. وكذلك عندما يقول:

أيـــن مـــن عـيـنـى حبيب		كـــان لى أهـــلاً وسـهـلاً

انظر إلى خفة «أهلاً وسهلاً» فى موضعها وفى رقتها وفى موسيقاها المرقصة. وفى قصيدة «تعال» ذخيرة كبيرة من روح شاعرنا القاهرة الصميمة، انظره وهو يقول:[1]

شـكـا فـــؤادى إلىّ أمـــره		وراح يشكو إلـيـك سرّه

دعـــاه داعـــى الهـــوى فلبىّ		وكـــم تحـاشـاه ألـــف مـــرّه

وراح بعد الـلـقـاء يهذى		وكـان يخفى الهـوى وسحره

وجـــاءه الـيـوم مـن إذا ما		دعـــاه للحب شـق بحره

تعال واسـق السلاف قلبى		تـعـال أو ردّ عـنـه حسرة

فلا شريكاً فى الحب أخشى		ولا رقـيـبـاً أخـــاف مكره

تـعـــال فـالـصـبر عـنـك مـرّ		تـعـــال فـالـصـبر مـا أمـــرّه

أنظر إلى تلك الألفاظ التى تتردد على لسان القاهرى الصميم مثل «شكا أمره» و«ألف مرة» و«تعال» و«حسرة» و«أخاف مكره» و«الصبر مرّ» و«ما أمرّه».

ويقول:

يامن سقانى الشهد من رضوانه وشجيت أذنى

كن كيف شئت من الهوى يا غافلا عن كل شأنى

بـــيـــنـــى وبـــيـــنـــك مـــوثـــق

ألا يـــغـــيـــب رضـــــاك عـــنّـــى

---

(١) همسات/ ص١١٢

أنظر إلى «سقانى الشهد» و«رضاك عنّى»..

ومثل قوله:

فقال وقلبك يا هلترى؟ أحب سواى؟ أما عربدا؟

أنظر إلى «يا هلترى»

وهكذا ترى روح القاهرى الصميم فى شعره، تتجلى فى صدق وعفوية. ويرجع ذلك إلى وضوح شخصيته وبساطتها وصدقها مما يضفى على شعره ميزة هامة هى: «الصدق الفنى». وكلما كان الشاعر أو الفنان صادقاً مع نفسه، انساب فنّه إلى قلبك واحتواك حتى لا تملك له دفعاً إلا أن تعيد ما قرأت أو ما قد رأيت أو ما قد سمعت، يستوى فى ذلك الشاعر والكاتب، أو المصور والنحات، أو الملحن والمغنّى.

الفصل الثالث:

الحب فى حياته

فلسفته فى الحب

نشأ شاعرنا محباً صبّاً يعشق الحسن، ويهفو للجمال، ويستلهم من الصدّ أضعاف ما يستلهمه من الوصل، وتنبع فلسفته فى الحب من أنه ينكر الحب الحسى ويرى أنه بداية النهاية لعاطفة الحب الصادقة النبيلة.

ويقول شاعرنا فى ذلك قولاً فريداً.. فهو يتساءل:

«لو شاء الله لخلق الناس جميعاً عشاقاً، ولكنه اصطفى منهم قلة هم العشاق» ويرى أن المرأة تفضل العاطفة التى فيها عزة وكرامة من الرجل:

«المرأة أياً كانت.. وفى جميع المجتمعات..

تفضل الرجل العزيز النفس مهما أظهرت عكس ذلك»[1].

ولكن ما فلسفة شاعرنا فى الحب؟

وهل شعره نتاج تجارب عاطفية عاناها ومر بها؟

يجيب شاعرنا على هذه الأسئلة بقوله:[2]

- لا أجد مفراً من الاعتراف بأن ما أنظمه من شعر أو أغانٍ إنما هو نتاج تمازج روحى بين من اتخذها موديلاً أو وحياً لشعرى وبين عواطفى ولا يلبث هذا

(١) مجلة الإذاعة/ ١٩ ديسمبر ١٩٥٩

(٢) من رسالة لى من الأستاذ أحمد عبدالمجيد/ ١١ يناير ١٩٧٠

التمازج أن يبعث فى نفسى أحاسيس علوية بعيدة عما يحسه الرجل نحو المرأة.

- فأنا فى نظرتى إلى المرأة أجد أنها أصل هذا الوجود وأنها أم كل هذه الأحياء التى تضطرب فى سعيها فى الحياة وأنها صاحبة أعظم رسالة وهدف للإبقاء على الحياة..
- ومن هذا التصور أجدنى مدفوعاً إلى تقديرها قبل حبها وألقانى سعيداً بها كلما ازداد شعورى من وحيها بقدرها عندى..
- وما أن ألمس منها هواناً لشأنها أو تبذلاً أو ضعفاً نحوى، حتى انتحل المعاذير لنفسى فى تركها بعد أن أكون قد رأيت فيها أنثى أخرى غير التى أمجدها وأكبرها.
- «كان هذا وما يزال شأنى فى تعلقى بالمرأة وأنا أميل إلى المعاناة فى حبها كما أميل إلى الكشف عما بها من جمال روحى لا يبين لكل عين بل يتعالى ولا يتكشف إلا لمن منحه الله دقة ورقة فى الذوق وقدرة على الكشف عن الجمال الروحى فى أعلى مراتبه».

فشاعرنا يرى أن المرأة أصل هذا الوجود..

حـــواء يــا أصـــل الــوجـود تــعـــطـــفـــى أنـــــا آدم

وشاعرنا طاهر عفيف يحب المرأة ليستلهم منها وحيه وإلهامه بعد أن يتعذب فى حبها شأنه شأن الرومانسيين:

فـــهـــواى عـــفّ طـاهــر وهـــــواك وحـــى مُـلـهـم

ويرى أن الشعر هو الخالد والجمال مجرد إلهام ووحى:

هبينى سبيل النظم فيك طالما سموت على سحر الخرائد بالشعر
فكل جمال يزدهى ثم ينتهى ونظمى فيك الشعر يبقى على الدهر

وأحمد عبدالمجيد شاعر عاشق مشرك فى الحب، فهو ينتقل من روض إلى روض ومن هوى إلى هوى!!.

ولم يشرك فى الحب بملهمتين فى وقت واحد. بل لقد كان كالمثال والمصور الذى يتخذ نموذجاً بشرياً ينقل عنه المفاتن الروحية التى لا تبين لعاشق الجسد، بل لعابد الروح، وكان إذا انتهى من نموذجه واستخرج منه كل مفاتن الروح ومحاسن الشخصية وشفافية الإلهام، تركه إلى غيره، لا غدراً ولا مللاً ولكن على تفاهم وتقدير من الملهم للمثال، وعلى حنان ورعاية من المصور لباعث الوحى.

وقد كان لذلك الشرك فى الحب أثر كبير فى إلهاب أحاسيسه وإضرام عواطفه، وكان لذلك أثر عميق فى أن شاعر الحب والجمال قد عرف الحب وسبر أغواره فأصبح لا يرضى بالحب العادى والمرأة الباردة الخامدة. بل هو يسعى إلى المرأة التى توحى إليه وتثير فيه معانى الالهام والصور الجديدة.

وشعره يكشف لنا عن نفسية مضيئة مشرقة، تفهم الحب فهماً دقيقاً، وتصوره تصويراً قل ان يتاح إلا لمحب عركه الحب، ولمس أعماقه، ومس شغاف قلبه!..

وقد مر شاعر الحب والجمال بعدة تجارب عاطفية خصبة صورها فى شعره بأمانة وصدق.. ومن أظهر خصائص شاعرنا العاشق أنه يعتز بذاته وكرامته ويضع كرامته قبل كل شىء فلم نره فى شعره خاضعاً متذللاً لربة هواه مما يجعله من أصدق الشعراء العشاق الذين يعرفون للحب مكانته وقداسته ومن أعفّهم نفساً صانت له كرامته، فهو يقول فى قصيدة «هيهات»:[1]

هيهات رجعة ما طوته يداك	من طيّع القلب الذى لبّاك
لبّاك لما نازعته إلى الهوى	عيناك وهى مطاعة عيناك

(١) همسات/ ص٨٢

ثم يقول:

تترددين! وقد قرأت خواطرى ... وسمعت همس القلب حين رآك
تترددين! وأين تغدو صبوتى ... وأنا الذى أيقظت فيك سناك
ونهلت من روحى وراقك منهلى ... فشدوت فى روض بلحن مناك
حتى إذا آنست طيب مودتى ... وعثار روحى فى شباك هواك
وتلهفّى ان صد طيفك فى الكرى ... وخفوق قلبى عند وقع خطاك
منّيتنى فـإذا الحيـاة هنية ... وهنيتنى فـإذا الهناء رضاك
ثم انثنيت تبدّين هناءتى ... ولكم أطـال هناءتى مرآك

ثم يقول فى اعتزاز بنفسه وذاته:

قد غرّك العطف المقيم بناظرى ... وترفّقى لمـا جفوت زهـاك
وظننت أنى أستبيح كرامتى ... وأصـون عهداً ذلّنى وهناك
عهدى على الألم الأبى قد انطوى ... لأصـون عـزّة ما طوته يداك

الفصل الرابع :

ملهمات شعره

الحب الأول..

كان الحب الأول فى حياته عام ١٩٢٧، أحب فى تلك الحقبة من حياته امرأة ناضجة الأنوثة اشتهرت بحب الشعر والانشاد والغناء.. كانت ممثلة ذائعة الصيت من أجمل من وقفن على خشبة المسارح فى مصر، وقد اشتهرت بعينيها الزرقاوين الصافيتين، وبأنها خير من مثلت دور «ليلى» فى مسرحية «مجنون ليلى» لشوقى كانت «زينب صدقى» شقراء ذهبية الشعر، أحبها أكثر من شاعر.. انها شمس الشعراء أحبها شاعر الرقة العاطفية ابراهيم ناجى، وشاعر الحب والوطنية طالح جودت كما أحبها أحمد راسم الذى نظم فيها الشعر باللغة الفرنسية وقد استوحى منها ناجى قصيدة يقول فيها:[١]

قربى عينك منى قربى	ظلليني واغمريني بصفاها
وأريني هدأة البحر إذا	انبسط البحر جلالاً وتناهى
وأريني لجة السحر التى	ضل فى أعماقها الفكر وتاها
وأراها تخبأ الخلد لمن	باع دنياه وبالروح اشتراها
نحن أرواح حيارى افترقت	ثم عادت فتلاقت فى شجاها
سوف ينسى القلب إلا ساعة	من رضاً فى وكرك الحانى قضاها

***

(١) ديوان وراء الغمام/ ١٩٣٤/ ص١٥٤

ومر شاعرنا مع «زينب صدقى» بتجربة عاطفية عنيفة علمته أن أعنف التجارب العاطفية هو هوى الغانيات..

وكان شاعرنا يغار عليها لأنها كانت بحكم عملها هدفاً لحب ومغازلات المعجبين والمحبين.

فاتهمت شاعرنا بالغلو فى الغيرة وطلبت منه أن يخفف من غلوائه.. وأمعنت فى الصد والهجران والدلال، لتذيق شاعرنا العاشق المفتون أهوال الهجر ومكاره الصدود!..

فكتب شاعرنا مصوراً تلك التجربة فقال:[1]

أعرضت زينب عن حبى لها	أم أراها ساءها منه السرف
كل ذنبى أننى ساءلتها	عن مكان القلب منها فى شغف
فهو قلبى عندها خلّفته	كنت من خوفى عليه فى لهف
بالرضى والدمع عينى شرقت	قدّر الصدّ شئونا ولطف
يوم قالت فى عتاب سرنّى	ان قلبى فى نعيم وترف
ان يكن عندك ذنبى سرفا	فاغفرى يا زينبى هذا السرف

ولقد كتب عند لقائها ورؤيته لجوانب منها شبيهه بجوانب فيه شعراً قال فيه:

ألقاك باسمة وقلبك باكى	وأنا الذى أبكاه ما أبكاك
وأنا الذى عانى الهوى وخبرته	وتحدثت لى بالأسى عيناك
وأساك لا يبدو لغير مكابد	وأنا الذى كابدت ما أضناك
وغدوت أشفق من تباريح النوى	ولكم تعجلتُ النوى لولاك

(١) همسات/ سرف الهوى/ ص٨٧

وطوّح بالشاعر عمله الدبلوماسى خارج مصر الذى أبعده عن هذا المورد العذب، وهو يحفظ له الاعزاز والاجلال فى أسمى مكان ويكنّ له من الاحترام أعزّه وأبقاه..

موصلية..

أمضى شاعرنا أحمد عبدالمجيد حوالى خمس سنوات بلبنان قنصلا عاماً من عام ١٩٤٣ حتى نهاية ١٩٤٧ كان كل ما حوله يدفع به إلى التغنى بما يراه من جمال فاتن آخاذ. وكان عمله، فى فترة كان لبنان يجاهد لنيل استقلاله، وتعمل مصر على أن تصل به إلى هذه الغاية، أقول كان عمله مع اخوانه يحول بينه وبين أن يتلّهى بغزل أو هوي، وكأنما كان يقول بينه وبين نفسه مع «محمود سامى البارودى»:

سواى بتحنان الأغاريد يطرب وغيرى باللذات يلهو ويلعب

ولكنه كان إذا خلا إلى نفسه بعد عمله وداعبه شيطان الشعر، رجع بذاكرته إلى سنوات خلت أمضاها فى لبنان مصطافاً عام ١٩٢٧. فى ذلك العام كان يطلب العلم فى كلية الحقوق بمصر. وعندما حل بلبنان التقى بموصلية كانت طالبة فى الجامعة الأمريكية ببيروت، كانت تهوى الرسم، وكان هو إلى جانب هوايته للشعر، يعشق الرسم وأهله ويتحدث عنه حديث الخبير. والتقى الشاعر بالرسّامة فى مصيف «بحمدون». لقد اتخذ منها شاعرنا موديلاً لشعره واتخذت هى من بعض أشعاره موديلاً لما ترسمه. وتبادلا فناً بفن.

أما الحب فقد مضى يرسم للعاشقين طريقاً وردياً ناضراً إذا جمع بينهما، كان الفن ثالثهما. فكانت تناقش شعره، وكان يناقش صورها. وما يزال كل من الفنانين يعتصر ما بزميله من المورد الذى يستقى منه فنه حتى كانت شفافيتهما تبدو لعينيهما واضحة جلية، تتحدث إذا سكتا، وتتحرك إذا سكتا وتغنى إذا أصغيا.. ونظم فيها شاعرنا

الكثير مما نشره فى ديوانه «همسات»، وكان مما نظمه فيها عند غيبتها عن عينيه فترة:

من موصلى للموصليّة ... فوعودها أبدا أبيّه
قلبى تعلقها وشطت ... والحياة غدت شقيّه
ناديتها فسمعت رجع الصوت عاد به إليّه ... نسيت شباب الحب يا لهفى وذكراه النديّه
أم شابت الذكرى لديها ... وهى فى قلبى صبيّه

وقال فى تلك الغيبة القصيرة:

مضيت إلى الأمس أطوى الليالى وأرنو إلى غاليات الذكر
فطالعنى كالصباح المنور وجهك من بين شتى الصور
وفى حاضرى كلما التقى بحسن أرى لك حسنا أغر
لئن ذاب رسمك فى خاطرى تراءيت لى فى ثنايا البصر

ولقد استمر هذا الغرام العنيف صيف عام ١٩٢٧ بين جبال لبنان الخضراء ومصايفه الزاهرة وقد صور لنا شاعر الحب والجمال ليلة حالمة جميلة تناجى فيها العاشقان فى جبل لبنان ببلدة تدعى «برمانا»..

يصور لنا شاعرنا فى لوحات جميلة نابضة بالحرارة والصدق والجمال قصة هذا اللقاء الحالم وسط سكون الليل الهامس وجمال الطبيعة الساحرة فيقول:[1]

انظرى الوادى طواه الغيم طيّا ... فتعالى يا منى نفسى إليّا
ندفع الغيم بحبّينا سّويا ... ونرى الكون بعينينا نديّا
فاتن الأضواء وضّاح المحيا ... ها هى الفتنة حولى تتهيّا

(١) همسات/ ص٧٣ - ٧٥

ويقول:

رقرقت عينى وأخفيت وجيبى ... عند قرب الشمس من أفق المغيب

واحتواها اليّم كالماضى القريب ... قربى قلبك من قلبى الخضيب

يا سناء لاح فى إثر الغروب ... أنت يا دنياى شمس لا تغيبى

ثم يصور - قرب بزوغ الفجر الذى سيشق أستار ظلام الليل الذى يضم بين أعطافه العاشقين ويجزع لهذا البزوغ:

ضّمنا ليل تهادى للزوال ... يا لقلبى ان مضى عنّى ويا لى

كم تهادينا أفانين الوصال ... وانتشت من صفونا بنت الدوالى

آه من عطفيك يا أنس الليالى ... يا رعاك الله من ذل السؤال

ثم يصور سعادة اللقاء ونشوة الحب وحلاوة النجوى:

اسمعى همس المنى فى خاطرينا ... وانظرى صدق الهوى فى ناظرينا

بارك الحب هوانا فانتشينا ... نستقى والوصل دان فارتوينا

هذه الليلة منه والينا ... رضى الحب عليها وعلينا

ثم نراه يفزع عندما يحين الفراق وما أقساه من مبدّد لهناءة العاشقين فنجده وقد تمنى لو طال اللقاء وطالت سعادة النجوى والوصال، ويتمنى لو طال هذا الليل وكأنه يهمس لنفسه «ليت هذا الليل لا يطلع فجره»..

فيصوره لحظة الفراق المضنية ومرارتها وإشفاقه من هذا النوى فيقول:

عندما حان النوى ... اشتد عناقى

وسرت فى الجو ... انفاس اشتياقى

وبدت سهمة ... حزن فى المآقى

أيهـــا الـــســـاقـــى مـضى	عـــهـــد الـــتـــلاقـــى
وانـــــطـــــوى لـيـلى	وهـــذا الـــشـــوق بـاقـى
يـــا لـــروحـــى فى	غـــد ممـــا تـــلاقـــى
أيـــــن أنـــــت	الـــيـــوم يـــا لـيـلاي
أيـــن الـــعـــهـــد مـن	تـــلـــك الـــعـــشـــيـــه
آه لو عادت بنا أو عدت ياليلاى	فـــالـــذكـــرى نـــدّيـــه

***

أقول إن شاعرنا وهو فى لبنان ما بين عام ١٩٤٣، وعام ١٩٤٧ رأى أن يجمع ما كان قد نظمه فى سنواته الباكرة، وما مر على صفحة عاطفته من صور مشبوبة بالهوى، ثرية بالتجربة الوجدانية وراح يعيش فى ضبابيات تلك السنوات منذ عام ١٩٢٧ حينها التقى بموصليته حتى عام ١٩٣٤ بعد أن طاف باليونان وفرنسا وأمريكا..

وكان قد نظم فى تلك السنوات الكثير مما احتواه ديوانه واشتملت عليه أغانيه وكانت فرصة أمدته بها طبيعة لبنان وجمالها وسكونها وتنوعها ان هبطت الوادى أو ارتقيت الجبل أو سبحت فى البحر أو انزلقت على الثلوج، ورأى أن يسجل فى هذه الفترة ما نظمه فى معاناته ووجدانياته ونظراته وفلسفاته وسخرياته مما يرى:

جمع الضعف بين شيخ وطفل، وكذا الصمت بين موت ونوم، وبدا الكون فى الغروب مثيلاً لشروق شاهدته من يوم..

ويقول لى شاعرنا إن هذه الفترة كانت بالنسبة له كالواحة التى يلتقط عنها الرحل أنفاسهم استعداداً لرحيل أشق ومزارات نائية.

فتاة الجبل..

وهذه تجربة حب أخرى مر بها فى لبنان مع ملهمة أخرى استوحى من ليلة لقاء بها قصيدة عذبة يقول فيها:[1]

تسألينى كيف أصبحت ... وفى عينى الجواب؟
اقرئى فيها سطور السهد ... من ماضى العذاب
وانظرى منها إلى قلبي ... لعل القلب ذاب
واسأليه اليوم عني ... نحن فى البلوى صحاب
كلما حذّرته من يوم ... صدٍ واغتراب
قال هذا الشأن شأني ... أجره لى والعقاب
انما عشقى فنون ... ليس يحويها كتاب

ثم يقول عن محبوبته:

يا رعى الله محيا ... ضاء من بين السحاب
مالئا آفاق روحى ... بالأمانىِّ العذاب
يوم أقبلتِ وفى عيني ... وعينيك الجواب
يا تُرى يا مبعث ... الوحى أمانيك كِذاب
فالمنى شيّعتها من قبل ... أن تُمسى سراب

ثم يسترسل مع أحاسيسه ليقول:

يا رعى الله ظلاما ... قد طوانا فى حجاب

---

(١) مجلة الأديب/ ٩ يونيه ١٩٤٦

وانـتـحـيـنـا وحـديـثـى آهـة الـشـوق المـذاب
وانـصرفـنـا عـن شـئـونٍ تـتـهـاداهـا الـصـحـاب
نبتغى مـن لمـس أيـديـنـا عـنـاقـاً أو عـتـاب

***

من عيون النرجس النعسان نـمـشـى بـاضـطـراب
خـشـيـة الـواشـين مـذ كـانـت وشـايـاهـم ضباب
والهـوى الـغـالى شمـوع نـفـتـديهـا بـالـرقـاب
دار شـمـع الحـب يبقى فى ضـيـاء والتهاب

***

مـا لقلبينا لـفـرط الحـب نـاءا بـالـرغـاب
مـا لـعـيـنـيـنـا لـفـرط الحـب تهمى كالسحاب
مـا لأيـديـنـا أمـانـيـهـا تـنـاءت بـارتـيـاب
آه لـو نـامـت عـيـونُ وتهـاديـنـا رغـاب

***

بـادلـيـنـى بـالهـوى من قبل أن يمضى الشباب
وصـلـى مـا بـيـنـنـا فـالـوصـل ضـمٌّ واقـتـراب

ومن وحى ليلة غرام هامسة مع فتاة الجبل، سجل همسات روحه وخفقات قلبه ونجوى روحيهما وهما يهيمان فى دنيا الحب والوصل والخيال:

من ليالى الخلد كانت ليلتى ودفيق الأنـس كانت خمرتى

فـــانـــتـــشـــت روحـــــى وطـــــابـــــت صـــوبـــتـــى

يا هنائى عندما وافى الحبيب ناشراً فى الجو صفواً لا يغيب

مـــن صـــبـــاه الـــغـــضّ فى ظـــــل رطـــيـــب

يـــا لـــذكـــرى لـيـلـتـى تـــلـــك الـــتـــى

ثم يهمس لحبيبته لتظل بجانبه ليهيما فى بحار الحب والنجوى:

يا حبيبى ملء عينينا رضى لا نبالى مقبلا أو ما مضى

يـــــا حـــبـــيـــبـــى هـــكـــذا شـــاء الـقـضـا

فتعال اليوم فى ظلّ القمر نقطف الأزهار من كفّ القدر

مـــثـــلـــهـــا الـــدهـــر قـــلـــيـــلا مـــا يـــذر

يـــا لـــذكـــرى لـيـلـتـى تـــلـــك الـــتـــى

***

ويود لو ظلت الأيام ترعى حبهما الغض الحالم:

صبّ فى أذنى أحاديث الهوى ان قلبى منك صاد ما ارتوى

يـــا حـــبـــيـــبـــى إنـــنـــى أخـــشـــى الـــنـــوى

ها هى الأيـــام يوماً جمعتنا ما عليها لو بتحنان رعتنا

وبـــكـــأس مـــن أمـــان اتـــرعـــتـــنـــا

يـــا لـــذكـــرى لـيـلـتـى تـــلـــك الـــتـــى

***

ويدعوها أن تنتهب من كأس اللذات، قبل أن يحرمهما الدهر الضنين منه:

هات من ثغرك شهداً لا يمل ... انـما لحن الهـوى رجـع القبل
فـــتــــعـــال الـــيـــوم ... يـــا مـــــلء المـــقـــل
نحتسى الاقداح من دهرضنين ... طالما ضقنا به عبر السنين
ولـــــكـــــم أقـــصى ... شراعـــــا عـــن سـفـين
يـــا لـــذكـــرى لـيـلـتـى ... تـــلـــك الـــتـــى

وملهمته هى أمله ومهوى قلبه وعمره كله:

يا حبيبى عشت وحدى مغرماً ... افتدى بالعمر طيفاً ملهما
وانـــقـــضى عـــمـــرى ... ومـــا زال الـظـمـا
يا حبيب أنت فى عمرى ربيع ... أنت لى العمر الذى كاد يضيع
كـــن كـــمـا تهـــوى ... وحـــســبـــى أن أطـيـع
يـــا لـــذكـــرى لـيـلـتـى ... تـــلـــك الـــتـــى

***

ويود لو شاركه الليل فرحته ونشوته مع حبيبة القلب ومهوى الفؤاد:

غنّنا يـا ليل واسـمـع لحننا ... وارونا يا كأس واشهد أنسنا
ســوف يــغــدو الـصـفـو ... ذكـــــــرى بـــعـــدنـــا
والليالى آه من غدر الليالى ... عندما تغدو بقلب لا يبالى
وتـــــرى وجـــــدى ... ولا تـــرحـــم حـــالى
يـــا لـــذكـــرى لـيـلـتـى ... تـــلـــك الـــتـــى

***

وكل ما فى الكون حول المحبين الهائمين إلهام ونشوة وجمال:

ضمنّا ليل وفىّ أم صباح　　　وسقتنى الراح خمرا أم مراح
واستبانى الوجد　　　أم قلبى استراح
لست أدرى غير أنى مغرم　　　كل ما فى الكون حولى ملهم
وأنا عين　　　وأذن وفم
يا لذكرى ليلتى　　　تلك التى

***

ويهمس لمحبوبته بألا تدعه مرة أخرى للفرقة وعذاب الوجد والحنين

يا رفيق العود يا طيف الوسن　　　بالذى صاغك من لحن أغن
وكسا لحظك　　　سحر من فنن
لا تدعنى لتباريح الجوى　　　بعد أن أحييت منى ما انطوى
يا حبيبى لا　　　تبعنى للنوى
يا لذكرى ليلتى　　　تلك التى

***

ويظل يهيم معها فى بحار الحب والنجوى والخيال المجنح الهامس:

ليلنا صبح وشمس وبدور　　　تنتشى فيه عيون وثغور
ويغنى فيه　　　قلب وشعور
المنى بين يدينا تتثنى　　　والهوى غيران مما نتمنى
وغدت روحك　　　من روحى أدنى

يــا لــــذكـــرى لـيـلـتـى   تــــلـــــك الـــتــــى

***

وتظل تعاوده ذكرى تلك الليلة الهامسة الحالمة المفعمة بالحب والنجوى واللذاذات:

يا لذكرى ليلتى تلك التى   أشعلت وجدى وأدمت مهجتى

فـــمـــتـــى تحـــظـــى   بـــاخــــرى صـــبــوتـــى

يا شـذى الأزهـــار ظلها ولما   لا تدعنى فى ظنونى هائما

كــــن رحــــيــــماً   وبـــقــلـــبـــى ارحمـــــا

يــا لــــذكـــرى لـيـلـتـى   تــــلـــــك الـــتــــى

مجرى العبير

التقى شاعرنا وهو على ظهر باخرة تعبر به مضيق البوسفور بتركيا بفتاة ناهدة حسناء خمرية وكان يجلس فى مواجهتها، فاسترعى نظره منظر غريب وطريف ومقابلة أعجب. كان يرى هضبتين متقابلتين على الشطين وماء البوسفور يجرى بينهما بسحره وعطره وسرعان ما ربط خياله بين هضبتى الشاطئين وبين نهدى الفتاة لناهدة التى كانت تجلس قبالته.

وصور هذا المنظر الطريف الجميل فى قصيدة «مجرى العبير» فقال:[1]

نـبـتـا عــلى غـصـن الأراك   وشــــابهــــا رمـــانــتـــين

وتـــرجـــرجـــا فى نـشــوة   مــفــتــونــة كــالمـوجــتــين

مـــاذا عـــلى ظـمـأ المـشــوق   لــو احــتــســى مــن منبعين

(١) همسات/ ص٢٠

نهـديـن حـار الـشـوق بينهما وحـارت كـل عين

ألـقـى الـقـمـيـص عليهما ظـلاّ فـغـابـا بـين بـين

حتى إذا انـفـرج القميص أطـلّ مجـرى الـشـاطـئـين

***

وعندما أجج هذا المنظر الفاتن مشاعره وأحاسيسه وهوى قلبه العاشق هتف يقول:

مـاذا عـلى يـد عـاشـق لـو أمـسـكـت بـالـتـوأمـين

وهـوى بـشـغـر ظـامـئ فـوق الـتـقـاء الضفتين

مجـرى الـعـبـير الـعـاطـر الأنـسـام مهوى الناظرين

مـن لى بـه فى صـبـوة قـد خـلّـفـت لى حسرتين

نـار تـأجّـج فى الحـشـا وهـواى مـغـلـول اليدين

***

نهـداك يـا سـمـراء ما أسـماهمـا مـن شـامخـين

نهـداك يـا سـمـراء ما أمـضـاهمـا مـن حـربـتـين

ان حـركـت يـد راغـب حـرق ورامـت لمستين

وثـبـا وردّا كـل شرّ محـدق بـالـغـالـيـين

وارتـدت الـكـف الـتـى نـالـت جـزاء طعنتين

وقـضى الـوفـاء عليهما أن يحـرسـا مـن كـل عين

غرام على شاطئ الحب

فى مغنى من مغانى الرمل بمدينة الإسكندرية تعرف شاعر الحب والجمال عام ١٩٣٢ على حسناء مثقفة ذكية فى الإسكندرية وأعجبه منها رقتها وأنوثتها وثقافتها الواسعة، كما شده إليها جمالها الخمرى وعيونها السود وشعرها الفاحم، وصوت له جرس حبيب وكانت الملهمة أديبة تتذوق الشعر وتنقد الأدب، وكانت مثقفة أتاحت لها التوغل فى دخيلة شعره الهامس الرقيق، وكان هو فى حاجة إلى هذا الموديل الذى ألهمه أجمل قصائد الحب والغزل والحنين. وحدث ان كان على وشك السفر بحكم عمله بالخارج.. وكانت هى فى وداعه وقد أحزنها الفراق وآلمها، وقد حاولت اخفاء حزنها الممعن لفراقه، فقال:[1]

يـــا حـــلـــوة الـتـــوديـــع	صـــمـــمـــتـــك هـــزّنـــى
وأنـــــا الـــــذى أبـكــاه	مــــــا أبــــكــــاك
أخـــفـــيـــت دمـــعـــا	مــثــلــما أخــفــيــتــه
وأنـــــا الـــــذى أفــنـــى	الـــــدمــــوع هــــواك
وطــــويــــت مـــــا بـيـن	الجـــوانــــح والحــشــــا
مــــثــــل الـــــذي	أخـفـيـتـه وشـجـاك
حـــتـــى الـــتـــقـــى دمـعـــى	ودمــــعــــك فى الــكـــرى
ولــــثــــمـــت فى ولــــه	المــــتـــــيــــم فــــاك
ورأيــــتــــنـــــى فى الحـــلـــم	بــــــيــــن مــــفــــاتــــن
مــــن صـفــو مـاضـيـنـا	ومــــــن ذكــــــراك

(١) همسات/ ص٢٤

ورآها ذات يوم تستحم فى مياه البحر فى الإسكندرية، فأحسّ بالغيرة من البحر الذى ينعم بوصالها ويستأثر بها دونه:

يا بحر انى من هواك ... غيران عذبه رضاك
تهواك ناعسة الجفون ... وتشتهيك فيا هناك
وتمدّ أسباب الوصال ... لها ويغريها صفاك
حتى إذا نزلت إليك ... ضممت يا لهفى ملاك
ومضيت تلثم ثغرها ... حينا وتجذبها يداك
وتضم خصرا لينّا ... لا تستنيم لمن نهاك
يا طيب ثغر حسنه ... يا بحر أوردنى الهلاك
يا طيب خصر لينه ... يا بحر أفقدنى هواك
وتعود تعبث بالخدود ... فليتنى بعض الشباك
ألقى بها فأصيدها ... وأحوز من سلبت نهاك

ومن الطريف أن هذه الملهمة كانت تستثير شاعرنا أحياناً بالصدود والهجران لتثير فى صدره الالهام وشياطين الشعر، ومعانى الحنين والشوق:[1]

يا لاهيا أيقظت ظنّى ... وملأت أكوابى ودنّى
وسقيتنى كأس الظنون ... وخمرها عبثت بأمنى
انى أعيذك أن تظن ... الحب غايته التجنى
ان كان ذاك هواك ... فاستمرئ هواك ولا تدعنى
وكما أردت وشئت كن ... فهواى موصول التمنى

(١) همسات/ ص١٨

ويقول لها معاتباً:

وأنــا الــذى أنـشـدت فيك ... قـصـائـدى وأنــا المغنى
وأنــا الــذى مـلأ الفضاء ... أغـانـيـا ومـلأت عينى
يـا ليتنى مـن بعض شأنك ... مـثـلـما أصـبـحـت شـأنـى

وكان شاعرنا إذا رحل عنها راح ينكر الأيام التى يقضيها وهو عنها بعيد يسترجع ذكريات حبهما الهنيئة وليالى تلاقيهما، وكان آنذاك فى اليونان، وأخذ يتساءل «أين أنا»:[1]

أيـن أنـت الآن أو أيـن أنا ... يا هناء العين يا وحى المنى
انـنـى يـا أنـس أيـامـى هنا ... أحسب الأيـام قد عادت بنا
حيث كنا ان عدمنا الأمن ... والأمـن عـزيـز فى الهـوى
نـتـمـنّـى مـزج روحـيـنـا ... كراحينا فلا نخشى النوى

***

حيث نلقى الليل فى الأفق حيا ... نسبق الليل إلى تلك الربى
بـين أفـراح تناهت طربا ... تبعث النشوة فى النهر النمير

***

كـم تـسـاجـلـنـا الحـنـان ... وتـنـاسـيـنـا الـزمـان
وتـغـنـيّـنـا أمـانـيـنـا ... إذا مـا الـبـعـد حـان
يا هناء العين يا وحى المنى ... انـنـى أنـكـرت أيـامـى هنا
أيـن أيامى ومـا أوحـت لنا ... أيـن أنـت الآن أو أيـن أنا؟

(١) همسات/ ص٢٦

على أن هذا الغرام انتهى نهاية محزنة دامية.. فقد اختطفها الموت وهى فى مقتبل العمر إثر نزيف حاد، وكانت صدمة العمر لشاعرنا وهكذا أُسدل الستار على تلك القصة العاطفية المحزنة!.

اليونانية الحسناء.. ولغة العيون!

فى عام ١٩٤٠ وأثناء اشتعال نار الحرب العالمية الثانية كان الظلام يلف القاهرة ويطبق عليها.

وكان شاعرنا يسهر كل ليلة مع صحبة فى حانة هادئة ساكنة بشارع ٢٦ يوليو «فؤاد سابقاً» لا يرتادها إلا زبائنها. واستلفتت نظره فتاة حسناء هيفاء بارعة الجمال قيل له إنها يونانية كانت تحضر لتسمر مع عائلتها كل مساء. ورأى فى عينيها كنزاً شعرياً موحيًا بالسحر والخيال.

وكان شاعرنا يجلس مع أصدقائه فى ركن بالقرب منها. وشدته إليها جاذبيتها ورقتها وعيون ذكية محدثة. والتقت عيونهما طويلاً واستمرت مناجاة العيون لأيام متتالية سعيدة دون إشارة أو حديث وسعد شاعرنا بلغة العيون بينه وبين الحسناء اليونانية دون أن يجرؤ على محادثتها مكتفياً بملمس الكأس دون شربها منها واستوحى قصيدة أذاب فيها قلبه وروحه ووجدانه. انه يطلب من ساقى الحانة أن يسقيه حتى يثمل فلا يرى أمامه سواها.. يقول فى قصيدة «ليتنى وعساها»[1]

اسقنى حتى ترانى	لا أرى شيئاً سواها
أو إذا ما شئت دعنى	لا أرى خمراً عداها
أين من راحى رضاب	بات للنفس مناها

(١) همسات/ ص٤٨ - ٤٩

إنهــــا خمـــرى وراحـــــى وهــــى لـلـعـين ضـيـاهـا
نــشــوة تـــسرى بقلبى كــلـــا لاح سـنـاهـا
آه يــا قـلـبـى حـنـانـيـك فــــا سـهــل ربــاهــا
آه لـــو فى الحـــب تلقى مــا عــرانــى قــد عــراهـا
روضــــة بــالحـــب تـزهـو يــا رعـــى الله جـنـاهـا
هــل أبيت العمر يــا قلبى تـــرانــــى وأراهــــا
وتـــرى فـــرط شـجـونـى مــن ولــوعــى فى هــواهـا
وأرى الحـــسن ينادينى ويــقــصـيـنـى جـفـاهـا
فـتـنـة لـلـنـاس ربّـــى قـد كـسـاهـا مـا كساها
آه لـــو بـالـنـفـس أقـضى سـاعـة أشـكـو جـواهـا
امــلأ الأقـــداح يـا ساقى ودع عـيـنـى تـراهـا
وهــى مــلء الـعـين نشوى وأنـــا أحـســو بهــاهـا
لـيـتـنـى خمـر أذابــت فيه مـــن فــيـهـا شــذاهـا
ليتنى كــأس تـقـبّـل كلّما أدنــــتــــه فــاهـــا
لـيـتـنـى فى الـلـيـل طيف ان سـجـا الـلـيـل رعـاهـا
قــد غـــدا مـنـهـا نصيبى لـيـتـنـى أوقـــد عـسـاهـا

واستمر الحال على هذا المنوال وشاعرنا راض بهذا الحب اليائس وقانع بلغة العيون ومناجاتها، ولكن الأيام أذاقته من ويلات النوى ما أذاقته. فقد احتجبت عن الحضور فجأة وافتقدها شاعرنا العاشق وظل يسأل عنها بلا جدوى وشعر بفراغ موحش وحزن عميق واشتاق لمناجاة العيون ولوجهها الصبوح الجميل الذى اعتاد

على اجتلاء محاسنه ومفاتنه كل ليلة. وناجاها بقصيدة يبثها فيها لوعته وأساه من غيابها عنه ويشرح هواجسه وكأنها أمامه أو من وراء ستار. وتمنى لو عادت ليالى المناجاة بالعيون فى تلك الأيام العصيبة الموحشة والحرب تلقى بظلها القاتم على مصر وعلى النفوس وتستل الأمن والطمأنينة.

قال شاعرنا فى قصيدة «دنيا» يناجى الحسناء المحتجبة:[1]

يا هاجرى دعنى أراك فالكون لم يشمل سواك

فلأنت دنيا يجتسى منها المفاتن من يراك

ولأنت كون قائم فيه السلامة والهلاك

فيه الصبا والحسن والوصل المعلق بالشراك

فيه الرضى والصفو والخير المؤمل فى صفاك

فلئن أبيت علىّ أن ألقاك لم أعدم رؤاك

والعين ان جاوزتها فالحلم يعرض لى جفاك

والروض يلقانى فألقى فى أزاهره لماك

والنجم فى لألائه وسناه لا يعدو سناك

أو أن تجهّم لى الزمان وضنَّ ذكرنى جفاك

والخير فى دنياى يا دنياى من غالى رضاك

ثم يدعوها لأن تعود ليراها فيرى جمال الحسن وسطوة الجمال ممثلة فيها:

أنا يا حبيبى عاشق أستاف فى الدنيا شذاك

فلئن صبوت إلى الجمال ففى الجمال أرى أخاك

(١) همسات/ ص٥٢ – ٥٣

ولئن نهلت الحسن من | دنياى لا يغنى غناك
انى سألتك بالعيون السود | مذ كنّ الشّباك
أن ترحم الخفّاق فى | صدرى ودع عينى تراك

ثم يتساءل عن السر فى احتجابها فيقول:

حجبوك عنى يا حبيبى أم | هوى غيرى دعاك
حجبوك لما أيقنوا | من صبوة ملكت نهاك
لهفى عليك وقد تكون | على فراش من ضناك
يا ليت بى فوق الهوى | هذا الضنى مما عراك

نجوى.. الحب الكبير

فى خريف العمر أحب شاعرنا فتاة فاتنة الشخصية رائعة الروح حباً عنيفاً مبرحاً.. كان ذلك فى سنواته الخمس الأخيرة.

وقد ألهمه هذا الحب عشرات من قصائد الحب والغزل والوصال والحنين والهجر والدلال والسأم والملال..

استلهم منها قصيدة بعنوان «نجوى» يقول فيها:

هل يرى من أحبه | أنه كل ما أرى
هل درى من أحبه | أنه الكون والورى
فهو للعين ماثل وحيه | فى الثريا وفى الثرى

وقصيدة سر المنديل استوحاها من موقف ظريف:

أسر لى منديلها | قصتها فى أذنى

وقـــال لى أنـــى أنـا   وحـدى الـذى تسمعنى

كانت هذه الفتاة تمتاز بالذكاء واللباقة واللماحية والكبرياء - كانت ترى الكون حولها قد خلق لتعبث به وتلهو بما فيه من بشر وصور وتشتط فى هذا حتى لتظن أنها قد سدرت فى غيّها، ولن تعود إلى سابق عهدها بالمقاييس والحدود والقيود.

أحب شاعرنا فيها ترفعها فى الدنايا وعنادها الذى ينطق باستقلال شخصيتها. كما راعه منها تلك القدرة التى لا تجدها إلا فى نفر قليل من بنات حواء على التشكل والتنوّع بين ساعة وساعة أو بين طرفة عين وانتباهتها، كأنها قد صيغت من شخصيات عدة وملامح متباينة ومفاتن لا تحصى..

وكان من بين ما قاله فيها فى هذا الشأن:

إذا غضبت لم يبق فى قلبها رضى   فإن رضيت لم يبق فى قلبها حقد

****

كان حبه لها كما أخبرنى، ضرباً من رياضة الروح على تحمل ما لا قبل لها على تحمله أو طاقة بها على فقده. وكان يرجوها كأنها الجنة والنار - خاطبها يوماً بقوله:

كم أضل الغرام خطوى فما   أعرف يوماً إلى السواء سبيلا

نصب التيّه من حواليك سدّا   لا شبيها لليله أو مثيلا

انـت عرّفته الطريق لسدّ   الطريق القويم ميلا فميلا

وأنـا منك تائه فى البوادى   سال وعيى على الطريق مسيلا

***

وفى قصيدة بعنوان: همّ وهمّ.. يقول وهو يصور حال أساه فى اللقاء الذى يشتهيه المحبون:

كـلـما عـــزّ لـقـائـى بالتى عزت الدنيا بها عند اللقاء
لـفـنّـى هـــمّ محـيـط قـاتـم وذوى ما كان من نامى الرجاء
فـإذا الدنيا شـجـون كلها وإذا قلبى وحيد فى فضاء
وإذا بالعين يخبو ضووّها وإذا بالفكر يعروه التواء
آه لو درى الـذى يسعدنى لأتـانـى بفيض مـن وفـاء
وأعـانـنى عـلى دفـع الأسـى كلما ران عـلى نفسى عناء
غـير أنـى إن دنـا موعدها يستبينى الظن من فرط الشقاء
فـلـقـد تـأتـى بهـم قـائـم تشتكى منه فيا طول البلاء
ولقد تنسى الـذى يذكرها بعد ذكر الله صبحا ومساء
فـإذا أوفـت بـوعـدى، ربما لا يشاء الحظ لى طول البقاء
هكذا أحيا بهـمّ فى النوى وبهـمّـين إذا حـان اللقاء

***

وفى يوم، كان يشكو ضعفا وألما يعاوده فى الحين بعد الحين فراحت تتودد إليه حانية، وتسأله عن مصابه فاستلهم من ذلك قوله:

تـسـألـيـنـى مـا مـصـابـى! لـيـس غـير الحـب مـا بى
انــــه فى الـلـيـل هــمّ وهــو فى صبحى عـذابـى
غـــير انـــى فى نـعـيـم مـن ســؤال عـن مصابى
قـد وشـى بـالحـب عطف جـاءنـى يـطـرق بـابـى
لهـفـة طـلّـت مـن العينين كـالـسـحـر المـذاب

وسؤال فى حواشيه حنان لا يحابى
انه الصدق الذى يضوى كبرق أو شهاب
ناشرا كالفجر أضواءً نفت كل ارتيابى
اننى أصبحت أهوى من منى الدنيا عذابى
فهو باب لسؤال منك يصغى لجوابى
تسألينى عن مصابى! ليس غير الحب ما بى

وفى قصيدة بعنوان «هواجس» يقول لها فيها:

تغنّى بما أنشدت فيك فانه لخير أنيس فى ابتعاد وفى قرب
تغنّى به تلقين نبضى مرددا لترديدك المرنان للشاعر الصبّ
وما كان هذا الشعر إلا خميلة بروضك يسقيها يسير من الحب
وان كان ما أجنيه قد قلّ قدره فذاك نصيبى من ربيعك بل حسبى

ويقول لها مناجيا فى قصيدة بعنوان «خلق أفكارى»:

روحى ترفّ على عينيك زائدة عنها العيون التى من خلق أفكارى
تذودها عنك حتى لا أرى أحدا غيرى يصون صباباتى وأثمارى
يابنت شعرى وأحلامى وماصنعت عرائس الفن منها خير أشعارى

كما استوحى منها قصيدة غزلية رقيقة بعنوان «رغائب» يقول فيها:[1]

شتى الرغائب فى هواك تحدق وتمد أسباب الوداد وتسبق
ومن العجائب وهى فى صبواتها تقسو عليك يدى وقلبى يشفق

(١) همسات/ ص٤٧

وهوى عيونى وهى فى تسبيحها ترجو نوالك وهى باسمك تنطق
سكرت شفاهى فوق ثغر عاطر فأظلها ظلم يضوع ويعبق
وصبت إلى أرج النهود رغائب يغرى بها مجرى العبير ويغدق
وهفت إلى الصوت الحبيب مسامع نشوى يدغدغها هوى وتشوّق
يا من لها الشوق المقيم بناظرى وبخاطرى انى بعهدك موثق
وإذا تناهى الحب وامتلك النهى سيّان أسبح فى الهوى وأغرق

***

وقد ضرب لنا شاعرنا العاشق أروع أمثلة للتضحية وأسمى معانى البذل حين افترق عنها وهو يكتم وجده بين جوانحه فى سبيل سعادتها وهنائها بعد حب عنيف طاهر سام استمر عشر سنوات كاملة، فى سنواته الأخيرة «١٩٧٠ - ١٩٨٠».

وقد استوحى شاعرنا من قصة هذا الحب الكبير فى حياته عشرات القصائد ضمنها ديوان بعنوان «نجوى» مازال مخطوطاً للآن ولدى بعض قصائده.

ومن أرق شعره من نتاج تلك التجربة العاطفية الخصبة قصيدة «سماح»:[1]

ارفعى الظن عن الخل الأمين واسعفينى من تباريح الحنين
لم أزل كالعهد فى دنيا الهوى غير أن الشك يودى باليقين
ارفعى ما بيننا من حجب وانثرى البسمات كالدر الثمين
واقبلى كالشمس فى رأد الضحى وهى تسبى فى الأصيل الناظرين
ليس لى من مطمع فيك سوى صفحك الغالى عن القلب الأمين
وسماح النفس فى عيد الندى كضياء البدر يهدى التائهين

(١) أحمد عبدالمجيد/ ديوان نجوى/ مخطوط

فـإذا الدنيا سنا فى ناظرى   وإذا أنـعـمـهـا عــز مبين

***

ومن أطرف الصور الشعرية عند شاعرنا قوله انه «إمام العاشقين»:

قسما، ما الحـب إلا ما أرى   من خدين يتفانى فى خدين

لو بنى أهل الهوى جامعهم   فأنا وحـدى إمـام العاشقين

وقصيدة «ترددين»[1]:

تــترددين! وفى الـعـيـون   ضراعـتـى وصـدى رجائى

تــترددين! وفى الأضـالـع   خـافـق بـــادى الــوفـاء

لا تـنـكـرى ألم الـذبـيـح   وظـامـئـا يـسـعـى لمـاء

فـإذا عييت عـن اكتشاف   مـواجـعـى وأســى عنائى

فسلى صباحك عـن هـواى   يجـبـك فى وهـــج الـضـيـاء

وسـلى مسائك عـن هـواى   تجـبـك أنــــداء المــســاء

***

وقصيدة «استبدى» يعلن زهده فيها بعد أن أذاقته صنوف الدلال:

لم يـعـد ثـغـرك شـهـدى   لا ولـــن يـبـعـث وجـدى

لم يـعـد طيفك يـزرى بى   ويـســتــعــذب سـهـدى

لم يـعـد صـوتـك يـسرى   فى دمـــى يجـــذب ردّى

لم يـعـد قـــدّك يـغـرى   أو يـعـد قـــدّك قـيـدى

(١) ديوان نجوى/ مخطوط

لم يـعـد لحـظـك يـوحـى — لى عـلى قـرب وبـعـد
لم تـعـودى غـير ذكـرى — هـى فى جـزر ومـد
لـن يـبـالى الـيـوم قلبى — فـاعـتـدى أو فاستبدى
غـير أنّـى رغـم أنّـى — قلت مـا قـد قـلـت، أبـدى
أنـنـى مـازلـت أهـدى — لهـواك المـر شـهـدى

***

وقد ظل أحمد عبدالمجيد يحمل لهذه المرأة أجمل مشاعر الحب والوفاء وأنبلها، وكان يشكو لى فى أحاديثه ورسائله ضنها عليه برسائلها وهى فى ديار الغربة بعيداً عن مصر..

وأستطيع أن أقول إنه رحل عن هذه الدنيا وهو حزين يحمل لها فى قلبه أسمى مشاعر الحب والوفاء. ولكنه لم يجن منها سوى اللوعة والشجن وعذاب الحرمان!.

الفصل الخامس:

شاعر الحب والجمال

شاعر الغزل..

يعد أحمد عبدالمجيد من بين أرق وأقدر شعراء الغزل فى شعرنا العربى المعاصر، لما يشيع فى شعره من صدق وأصالة.. وشعره الغزلى شعر هامس رقيق عذب تطالعك فيه روعة التصوير ورقة الكلمات وعذوبة الموسيقى وهو شاعر قلق.. ترك الجمال الذى فى متناول يده إلى الجمال البعيد الذاهب فى أغوار الضباب..

رفض الشىء اليسير إلى الشىء العسير..

من ذلك قوله:[1]

إذا عزنى أمر سعيت لنيله ... فإن جاءنى عفواً دعوت له غيرى

لقد مربى ركب من الدهر حافل ... فما راعنى فقرى ولا هزّنى يسرى

ويبين لك قلقه عندما تسمعه وهو يناجى نفسه بقوله:

أنا أشتهى ما لا أرى ... وأرى الذى لا أشتهى

وكذاك أطماع الحياة ... بداية لا تنتهى

وهو محب محبوب قد وسع قلبه كل حب وكل عاطفة..

لقد طاب لشاعر الحب والجمال، أحمد عبدالمجيد أن يؤرخ هواه ويقص بلاءه فى

(١) همسات/ ص١٣٥

الحب فى صور شعرية مبدعة..

وأشعاره تفصح عن سرائره الوجدانية أوضح افصاح وأجمله

ومن أبرز خصائص عاطفة شاعرنا الصدق، فهو صادق فى شعره غاية الصدق[1]

ملكت خواطرى فنسيت أمسى ... وأنكر حاضرى ان غبت عنى

وأنظم فيك من دمعى عقودا ... ومن شعرى أغاريد التمنّى

وفيك تطيب ألحانى وتسمو ... فأنت قصيدتى وأنا المغنّى

فإن أعرضت سال اللحن يبكى ... وان أرضيت قلبى طاب لحنى

تعالى واخطرى فى خفق قلبى ... تعالى وامرحى فى جفن عينى

تعالى أنت من دنياى همىّ ... وأنت قصيدتى وأنا المغنّى

وشاعر الحب والجمال يعتز بذاتيته وبفنه فهو من عباد الجمال، يخلق لمحبوبته شمائل تميزها عندما يشاء عن سائر بنات حواء من خلق فنه وابتكار خياله.. انظر وهو يناجى محبوبته التى خلق منها تمثالاً جميلاً يحوى كل معانى الفتنة والسمو والسحر وفى مناجاته تحذير من أن يرى كل ما بها انما هو من خلق فنه وعينه وظنه.. فهو يقول لها:[2]

ما أنت إلا خلق عينى ... وظلال حسنك صنع ظنى

وجمال روحك من صنيع ... توهمى وخيال فنى

وليان غصنك صورة ... أنشأت فتنتها بعينى

ورنين صوتك ما جرى ... فى مسمعى إلا بأذنى

وقّعته وشدوته ... نغما أحببه لأذنى

وتعلّة الفنان أوهام تلاحقه وتضنى ... هذى جناية ماصنعت فليته يرتدعنى

(١) همسات/ ص٣٧/ همسات ظنى

(٢) همسات/ ٦٣/ بنت أوهامى

وشاعرنا العاشق المفتون مر بتجارب خصبة عميقة فى الحب والعشق وهو يخاف الهجر، ولكنه يفتقده إذا غاب ويرى أنه يلهمه رغم ما فيه من ألم ولوعة وأسى:

يا نجيّ وسائلى أين شعرى — كيف ولّى وكان ملء السماء
لا تسلنى فالهجر كان نصيبى — وهو وحى للشاعر الغنّاء

ولشاعرنا صولات وجولات فى ميدان الحب، وقد أتاحت له كل هذه التجارب أن يتعرف على سرائر المرأة وتلونها وأن يسبر أغوار الحب فهو ينكر على ربة هواه أن تخدعه وأن تجعل منه تسلية لها:

تتودين إلىّ أم أنا حالم — وتجربين هواى خوف خداعى
لكأن قلبى فى يديك بضاعة — ليس الهوى يا طفلتى بمتاع

وشاعرنا معتز بكرامته اعتزازاً قوياً لا يرتضى الذل والمهانة فى ميدان العاطفة:

على شفتى من شفتيك جمر — وفى كفىّ من كفيّك عطر
وفى عينيك لى نهى وأمر — فمن طرق الهوى أين المفرّ

ويرى أنه قد سجل نتاج تجاربه الخصبة فى الحب والعشق فى شعره وأغانيه. وانه أرضى بذلك فنّه:

طوّفت ما طوّفت فى دنيا الهوى — وسلكت فى حبل الغناء شبابيا
وبعثت فى الآفاق أنّات الجوى — ونظمت من خفق الفؤاد أغانيا

الفصل السادس:

الشاعر الرومانسى

التيار الرومانسى

كان المذهب الرومانسى أدب تحرر وثورة وانطلاق.. أدب انفعال ونشوة وتحرر من سلطان العقل وتعقيداته المنطقية المقننة إلى حرية الوجدان والقلب بنشوته وحرارة انفعالاته. فالرومانسية انطلاق من زوايا القصور الارستقراطية ومن شوارع المدينة وأزقتها إلى صدر الطبيعة الرحب بكل جمالها وسحرها هى ثورة على العرف المألوف فى الأساليب والموضوعات الكلاسيكية إلى آفاق رحبة لا تحدها حدود.

وقد نادت الرومانسية بأن الشعر تعبير عن الذات الشاعرة وبخاصة عن آلام الشاعر وشكواه من قيود الحياة الاجتماعية ولهفته إلى الانطلاق والتحليق.

وقد انتشرت الرومانسية فى مصر بعد الحرب العالمية الأولى وسط ظروف اجتماعية وثقافية وسياسية قاسية.

وقد غلب هذا التيار العاطفى على جيل ما بعد الحرب العالمية الأولى الهارب من واقع الحياة والمحلق فى عالم الخيال.

والأديب الرومانسى عاطفى المزاج، سريع التأثر، معتد بذاته وحريته الفردية وهو متطلع إلى المستقبل دائماً يريد أن يسبق الزمن وأن يهرب من الواقع إلى مستقبل أفضل، فيجنح إلى الخيال فى أسلوبه وموضوعاته وفنه.

وتعتبر جماعة أبوللو من أظهر الأمثلة لهذا التيار العاطفى الغنائى.

ومن أبرز أمثلة التيار الرومانسى الغنائى فى مصر:

(أحمد رامى - على محمود طه - إبراهيم ناجى - أحمد فتحى - صالح جودت - أحمد عبدالمجيد - محمد عبدالمعطى الهمشرى)

الشاعر الرومانسى

ينتمى شاعرنا إلى المدرسة الرومانسية التى يحلو لعشاقها التغنى الحزين الذى يدغدغ حواس المستمع، ويحمله إلى دنيا من شجن لطيف ولحن أليف، دون أن يبتعث فيه أسى أو يدفع به إلى الاشفاق على الشاعر الأسوان.

أى أن الشاعر الرومانسى يستعذب الشجن، ويحلق فى جو المعاناة، ويتغنى بالألم فى كبرياء وعزة، وفى رقة وعذوبة، وكأنما هو يحكى قصة طائر جريح يداوى بنفسه جراحه، ويشدو لروحه بما يروّح عن نفسه..

فإن أطرب من حوله فذلك ما لم يسع إليه، وان أشقى نفسه فذلك هو غايته ومبتغاه، حتى تنصهر روحه بالألم لتصدر عنها أعذب الألحان.

وإذا كان جل ديوان «همسات» من الشعر الرومانسى. إلا أن من أرق ما نستشهد به على ما أوردنا قول الشاعر:[1]

وأجمل مرّ فى الحياة رغيبة	تعزّ منالا لا تذل مع البذل
وانى لأستبقى هواك لأننى	رأيت نصيب الصدّ أدنى من الوصل

وكذلك يقول:

ياما أحيلى اللحظ فى بسماته	وأحب منه اللحظ فى الهمسات
جودى علّى ببسمة نشوانة	أو همسة خداعة النغمات

(١) همسات/ ص١٦٠

ويقول فى قصيدة «موكب الذكرى»:[1]

يا حبيبى أننى حطمت راحى	أنت من دنياى أفراحى وراحى
مادرى غيرى بشجوى أو نواحى	عزّنى الآسى فأخفيت جراحى

وفى قصيدة «بداية» يقول ما مفاده إن ما جمعه على من أحبها، إنما هو الأسى المشترك:

ألقاك باسمة وقلبك باكى	وأنا الذى أبكاه ما أبكاك
وأنا الذى عانى الهوى وخبرته	فتحدّثت لى بالأسى عيناك

وعندما يؤذنه النوى بوشك افتراق وارتحال عمن يحب، نرى الشاعر وقد هزّه هذا الموقف الأليم على المحبين، يحشد كل ما لديه من لهفة واشتياق، استعداداً لبعد قد يطول أمده، وكأنما يجمع الزاد لغده ويرجو المعاد إلى ما كان فيه من هناء المحبة، إن كتب الله للشتيتين اللقاء:

يقول فى ذلك:

عـنـدمـا حـان الـنـوى	أشـتـد عـنـاقـى
وسرت فى الجـو	أنـفـاس اشـتـيـاقـى
وبـدت سـهـمـة حـزن	فى المـآقـى
أيهـا الـسـاقـى مـضى	عـهـد الـتـلاقـى
وانـطـوى لـيـلى وهـذا	الـشـوق بـاقـى
يـا لـروحـى فى غـد	ممـا تـلاقـى

وفى طبيعة أحمد عبدالمجيد خصائص الرومانسيين، فهو مرهف الاحساس رقيق المشاعر، سريع التأثر، وهو نزاع إلى الحرية، محب للطبيعة، يستوحيها إلهامه ويصف

(١) همسات/ ص١٦٠

من خلالها مشاعره، وهو أيضاً خيالى فى أساليبه وتصوراته وأحلامه، وفى أحاديثه التى لا يسطرها على الورق.

وأظهر خصائص شعره وأبين موضوعاته: الحب والطبيعة والعاطفة والخيال والحوار.

شاعر الحب العذرى

والحب الرومانسى لا ينشد اللذة الحسية أو المتعة الجسدية، فهو يقنع بعبادة روائع الحسن وبدائع الجمال.

والحب العذرى حبّ خالص من شوائب الدنس والشاعر العذرى يتعالى إلى الأفكار السامية والمقاصد الرفيعة النبيلة.

ويرى الدكتور زكى مبارك أن الحب العذرى معركة عنيفة تقع فى ميدانين مختلفين - يقول زكى مبارك:[1]

«الحب العذرى لا يقوم على الزهد المطلق فى المتعة الحسية، وإنما يقوم على أساس الصراع بين روحين يغالبان مطامع الأفئدة، ومطالب الحواس..

الحب العذرى هو معركة عنيفة تقع فى ميدانين:

الأول: ميدان الصرع بين الشاعر وهواه،

الثانى: ميدان القتال بين الشاعر ومن يهواه، وهو فى الميدان الثانى لا يطارد فريسة تنال بأيسر الجهد، وإنما يطارد ظبية عصماء لا تنال إلا باقتحام الأهوال فوق قمم الجبال. والحب العذرى حين نتصوره هذا التصور لا يكون إلا رياضة أخلاقية».

ولقد صور أحمد عبدالمجيد عاطفة الحب تصويراً شعرياً جميلاً محص فيه تلك العاطفة النبيلة وشرّحها تشريحاً وجدانياً رائعاً موفقاً. ومجموع ما سجله من خفقات

(١) زكى مبارك/ العشاق الثلاثة/ ١٩٤٤/ ص٢٤

قلبه وهمسات روحه يلقى الأضواء على نفسية هذا العاشق العذرى الذى يحلق فى الأجواء العالية.

ولقد أحب شاعر الحب والجمال فى كل أطواره حباً عفيفاً سامياً وكان يلتمس فى هذا الحب ينبوع الشعر وصفاء الروح وسجل نتاج تجاربه فى شعره الذى قبسه من إلهام حبه ووحى عذابه وبلائه فى العشق!

ويؤمن شاعرنا بالحب العذرى إيماناً قوياً راسخاً ويعتقد بأن الجنس إذا ما دخل الحب كان ذلك نهاية لتلك العاطفة النبيلة السامية. كما يرى أن الحب عطاء لا أخذ.

يقول عن تلك العاطفة:[1]

«الحب هبة من الله لا يمنحها إلا لقلة من البشر.. الحب هو فى يقينى عطاء لا أخذ ورجاء فيها لا يطمع فيه الجنس. فإن الرغبة إذا تمت وتحققت انتهى الحب وذوت نشوته».

وشاعرنا العاشق يصنع لمحبوبته تمثالاً خيالياً يتمثل فيه كل معانى الجمال والرقة والطهر ويجعله محراباً له. على أنه إذا لمس إعراضاً من هواه أو تحولا وشكا فى تلك الملهمة التى اختصها بعفة غرامه، فإنه يقسو على ذلك التمثال الذى يكون قد أنشأه وأقام له محراباً فى قلبه يرتل فيه ما يكون قد ألهمه به من مفاتن اللفظ ورائق المعنى، ثم يمضى فى عتاب مع هذا التمثال، فيقول فى خطابه لصاحبة التمثال:[2]

مـا أنــت إلا خـلـق عينى	وظـلال حسنك صنع ظنى
وجمــال روحــك مـن صنيع	تــوهمــى وخـيـــال فنى
ولـــيــان غـصـنـك صـــورة	أنــشــأت فتنتها بعينى
ورنـــين صـوتـك مــا جـرى	فى مـسـمـعـى إلا بــأذنـى

(١) قال لى الأستاذ أحمد عبدالمجيد هذا التعريف فى ١٩/ ١/ ١٩٧٠م

(٢) همسات/ ص٩٣

وقــعــتــه وشــدوتــه نــغــا أحــبّــبــه لأذنــى

وشاعر الحب العذرى يرى فى قربه من محبوبته نعيماً وهناء وإشراقا ويبسم أمامه كل شىء فى الوجود..

يصور أحمد عبدالمجيد عواطفه الحارة ازاء تلك اللحظات المشرقة فيقول:[1]

أنـا يا حبيبى فى النعيم إذا لـقـيـت هـــواك زاهـــر

أنـــا فى النعيم إذا لقيت بجانبى مـاضـيـك حـاضر

فــترى بـعـين الــود قلبى فى الهـــوى بــالــود زاخــر

وأرى بعين هـواى حسنك بــالهــوى والــوجــد آمـر

وأرى جمال الكون يا دنياى فـــيـــها هـــــان آسر

يـا ليت ذاك الأمـس طال ولا رأيـــت لـــه أواخـــر

وهكذا، فشاعرنا محب عاشق ينظر للحب كمعنى مقدس سام، ويظل سادنا ينشد له أجمل ألحانه وأرقها ويعيش فى دنيا من الحب العذرى تتسم بالجمال والطهر والقداسة والسمو الروحى النبيل.

وهذا هو شأن الشعراء الصادقين دائماً، والعذريين بوجه خاص..

(١) همسات/ ص٩٣

الحوار فى شعره

فن الحوار الشعرى

إن الحوار فى الشعر العربى موضوع يستأهل دراسة خاصة.. وإذا كان قد ورد فى شعر المتقدمين فى مناسبات محدودة معدودة إلا أنه فى الشعر العربى المعاصر وفى شعر بعض شعرائنا الغزليين وفى شعر شاعرنا الذى نترجم له، ظاهرة جديرة بالتسجيل.

ويتجلى فن الحوار الشعرى بأجمل صورة واعذبها عند التيار الرومانسى الغنائى فى مصر.

ومن الشعراء الذين أجادوا هذا الفن الشعرى الفريد والعذب: على محمود طه، وإبراهيم ناجى، وأحمد فتحى، وصالح جودت فضلاً عن اكتمال هذا الفن ونضجه عند أحمد عبدالمجيد.

نجد فن الحوار الشعرى عند شاعر الجندول على محمود طه بصورة فنية رائعة فى مثل هذه القصيدة:[1]

تسائلنى: وهل أحببت مثلى؟	وكم معشوقة لك أو خليله؟
فقلت لها وقد همت بكأسى	إلى شفتّى راحتها النحيله
نسيت، وما أرى أحببت يوما	كحبّك، لا، ولم أعرف مثيله
فقلت لى: جوابك لم يدع لى	إلى اظهار ما تخفيه حيله
وفى عينيك أسرار حيارى	تكذب ما تحاول أن تقوله

(١) على محمود طه/ الشوق العائد/ سؤال وجواب

فقلت: أجل، عرفت هوى الغوانى   لكلّ غاية، ولها وسيله
خبرت غرامهنّ قلى ووصلا   كثير الوعد لم يدرك قليله
قلوب قاسيات قنّعتها   وجوه شاعريات نبيله

ثم يقول:

فقالت: كيف تضعف؟ قلت: ويحى   وكيف أطاع «شمشون» «دليله»؟
فقالت: ما حياتك؟ قلت: حلم   من الأشواق أوثر أن أطيله
حياتى قصة بدأت بكأس لها   غنيت، وامرأة جميله!!

وقد أجاد إبراهيم ناجى فى فن الحوار الداخلى فى قصيدته الرائعة «العودة» إذ أجرى حواراً داخلياً بينه وبين قلبه فى صورة شعرية عذبة حية جعل فيها قلبه إنساناً يتكلم ويفهم وأنطق الدمع.. والماضى الجريح يقول ناجى:[1]

رفرف القلب بجنبى كالذبيح   وأنا أهتف يا قلب اتئد
فيجيب الدمع والماضى الجريح   لم عدنا؟ ليت أنّا لم نعد
لم عدنا أو لم نطو الغرام   وفرغنا من حنين وألم
ورضينا بسكون وسلام   وانتهينا لفراغ كالعدم
وعلى بابك ألقى جعبتى   كغريب آب من وادى المحن
فيك كف الله عنى غربتى   ورسا رحلى على أرض الوطن

ونجد هذا الفن عند شاعر الكرنك، أحمد فتحى فى مثل قوله من قصيدة «ذكريات صيف»[2]

(١) وراء الغمام/ ١٩٣٤/ العودة
(٢) الأهرام/ ٢٠ يونيه ١٩٦٠م

سـعـيـت إلى الـنـيـل أشـــكـــولـــه
غـــرام الـــفـــؤاد وأهـــوالـــه
ورن هـتـاف الـربـى: مـــا لـــه؟
تـــرى غـــير الـعـشـق أحـــوالـــه؟
فـهـل روّع الـوجـد آمـــالـــه؟
وهـــل حـطـم الـصـيـف تمـــثـــالـــه؟

وعند صالح جودت خبرة طيبة من فن الحوار الشعرى فى دواوينه الخمسة التى أصدرها..

فى ديوان «حكاية قلب» نجد مثالاً لمثل هذا الفن فى قصيدة «دين جديد» فى حوار بينه وبين فتاة:[1]

فقالت: أما تخشى عذاب جهنم؟ فقلت: دعينى فالمآب ظنون
دعينى، فإن العمر يوم وليلة وان عـذابـى بـعـده ليهون
وما الدين عند الله إلا محبة فصدك إلحاد ووصلك دين!!

****

والحوار وتر جديد فى قيثارة الشعر العربى يستحق أن يتزايد الاهتمام به..

والحوار عدة الشاعر الذى يتعرض للرواية الشعرية والدراما الشعرية.

ومن المزايا التى يجب أن تتوفر لدى شاعر الرواية الشعرية، الاحاطة الشاملة بفن الحديث وبراعة الانتقال مع استعمال السؤال والتعجب والاستدراك والدعابة والسخرية.

ويتعيّن أن يكون الشاعر الذى يتعرض لهذا الضرب من الشعر على إلمام واسع

(١) صالح جودت/ حكاية قلب/ ص١٣٢

وقدرة لا تخمد بالوزن الموسيقى لكل موقف فى الرواية الشعرية. حيث تختلف أجواء المواقف وحيث يتعين اختيار موسيقى ووزن خاص لكل موقف.

وهو علم لا يدرس، ولكنه ملكة وذوق ورهافة فى الحس لا يدركها كل شاعر ولكنها من نعم الله على بعض من اصطفاهم لهذا الفن من الشعر وهذا الضرب من ضروب النظم..

وفى أسلوب الحوار طلاوة ورقة ونعومة وذكاء لا يتمتع بها جميعاً إلا نفر قليل من الناس، تطرب لأعمالهم الأذهان والآذان، لما يجده الناس فيها يسمعون أو يقرأون فى شعرهم من احساس رهيف وعاطفة جياشة.

الحوار فى شعر أحمد عبدالمجيد

وقد أجاد شاعرنا الرومانسى الكبير استخدام فن الحوار فى شعره بصورة غاية فى العذوبة والطرافة والفن.

وأرى أن شاعرنا يتميز بوصف المواقف العاطفية، وابتكار الصور الجميلة الطريفة وإجادة فن الحوار مما يمكنه من كتابة الدراما الشعرية لأنه يجيد استخدام فن الحوار فى شعره، وله ولزملائه منبع ثرى أصيل مسرحيات شوقى الخالدة: «مجنون ليلى» و«مصرع كليوباترا» و«قمبيز» ولكن ماذا نجد من فن الحوار الشعرى عند شاعرنا؟ فى ديوان همسات ذخيرة طيبة وكبيرة من الحوار نجدها فى أكثر صفحات الديوان.

من ذلك ما جاء فى قصيدة من الشاطئ:[1]

يا بحر إنى من هواك ... غيران عذّبه رضاك

تهواك ناعسة الجفون ... وتشتهيك فيا هناك

(1) همسات/ ص١٢

وتمـــدّ أسـبــاب الــوصــال ... لهـــا ويــغـــريهـــا صـفــاك
حـتـى اذا نــزلــت إلـيـك ... ضـمـمـت يــا لهـفـى مـلاك
ومـضـيــت تـلـثـم ثغرها ... حـيـنـا وتجـذبهـــا يـــداك
وتـــضـــم خـــــصرًا لـيـنـا ... لا تـسـتـنـيـم لمـــن نهـــاك
يـــا طـيـــب ثـغــر حسنه ... يــا بـحــر أوردنـــــى الهـلاك

وانظر إلى قصيدة «ميعاد»:[1]

ضممتها وحنين الشوق يسألها ... عن موعد مقبل للظامئ الصادى
وعن لقاء على عيد يطالعنا ... بالبشر والسعد فى إشراقه الهادى
فأطرقت ثم قالت وهى هامسة ... وهمسها الحلو أغرى سمع حسّادى
ان التقينا رأينا العيد ثالثنا ... لا نرتضى عنه إلا عوده الغادى
فان أبى الدهر أو عزّ اللقاء فما ... أحرى بذى الوجد أن يصبو لميعاد
وللصبابة عندى اليوم مأثرة ... تحيل يوم اللقا تاجا لأعيادى

وفى قصيدة «كيف أنسى؟» يتجلى فن الحوار الشعري عند أحمد عبدالمجيد فى هذا العتاب الهامس يقول:[2]

قالت ستنسانى إذا طال المدى ... وتـــروح غير مقيد بتوددى
وكما نسيت على الزمان كواعبا ... تنسى هواى وما الهوى بمخلّد
فاهنأ باقبال الزمان وطيبه ... واشرب على طلل العهود وعربد
قلت اسمعى عصف الهوى فى خافقى ... أو إن أردت كما عهدتك فاعتدى

(١) همسات/ ص١٧
(٢) همسات/ ص٣٥

شرف الهوى فى أن يدوم وفاؤه		وهوى الفؤاد على الدوام مقيّدى
وهواك بين جوانحى متجدد		قسما بحق شبابك المتجدد
لا تسألينى كيف أبقى ذاكرا		فأنا الأمين على غرام مسعدى
لا تسألينى كيف أبقى صابرا		فأنا الذى بضياء روحك اهتدى
أنا إن نسيت فكيف أنسى ثغرها		أيضل ظمآن سبيل المورد
أنا إن نسيت فكيف أنسى شعرها		من مطلقى من شعرها المتمرد
أنا إن نسيت فكيف أنسى نهدها		ياما أجلّك فوق صدر عسجدى
أنا إن نسيت فكيف أنسى خصرها		ما فى الغصون كخصرها المتأوّد
يا ظبية البيد اتقى شرر الهوى		فالحب يجزى أين كان المعتدى

ومن أروع أمثلة فن الحوار الشعرى وأطرفها وأعذبها ما جاء فى قصيدة «قلت وقالت»[1]

قالت رويدك واستمع		لأننى قلبى من جواه
قلت استمعت فلم أجد		حباً ولا قلباً حواه
قالت عهدتك شاعراً		والشِعر صورة من رواه
أترى لو أنى قلت شعراً		ناب عنى ما احتواه
قلت انظمى فالشعر مكذوب		كما اصطلح الرواه
قالت أما صدّقتنى		لتريح قلبك من ضناه
قلت استراح ومات من		فرط الذى صنع القساه
قالت وحقّ هواك أنت		وحيد قلبى فى هواه

(١) همسات/ ص٦٨

قلت الوحيد مدلل ... وينال فى الدنيا مناه

قالت بحق مدامعى ... ودموع أجفانى عصاه

قلت الدموع سلاح من ... يدمى ولا تجنى يداه

قالت متى تصفو وتصدقنى ... الحديث بلا اشتباه

قلت الهوى زهر ... وهذا الشك فى حبى نداه

لكن شكّى فاض حتى ... كاد يغرقنى مداه

والظن فى دنيا الهوى ... بدء يقرّب منتهاه

جودى قليلا بالنوى ... فنواك أصدق من سواه

فلعلّنى إن غبت قلبى ... لا يلين لمن جفاه

وهواك مقسوم أكابد ... منتهاه كمبتداه

وانظر إلى قصيدة «سؤال وجواب» فى هذه القصيدة نرى الشاعر يرتفع إلى الذروة فى فن الحوار، مثل قوله:[1]

فقال وقلبك يا هلترى؟ ... أحب سواى؟ أما عربدا؟

فقلت نعم وأنا صادق ... أحبّ خيالك مسترشدا

فضلّ السبيل إليك وما ... قصدت الخيال قليل النّدى

فقال ولحظى أما يشتهى ... أليس يفوق سهام العدا؟

فقلت: رمانى وإنى محب ... ويا ليته بالعدو ابتدا

فقال: أراك خصيب الخيال! ... وكم من خيال تولّى سدى

فقلت وكيف علمت المآل ... أجاب: لأنى أنا المبتدا

(١) همسات/ ص٩٧-٩٨

فقال: وثغرى أما تشتهيه؟ فقد سئمت نفسى السجّد!

تعال فقد حان حين القطاف وقد آن للصبر أن يحمدا

فأدنيت ثغرى من ثغره ولم أدر كيف انتهى أو بدا

وكان الوصال على طيبه كعمر الورود ورجع الصدى

ومن أطرف وثبات شاعرنا فى فن الحوار قوله:[1]

قالت شفتاى لشفتيك هيمان القلب متى يسكر؟

فأجابت يهنيك وصالى إنا اعطيناك الكوثر



(١) همسات/ص١٤٠

الفصل السابع :

شاعرية أحمد عبدالمجيد

الأسلوب

من أظهر سمات شعر أحمد عبدالمجيد الموسيقى الهامسة ورقة الأسلوب وإشراق الديباجة والصورة الشعرية المبتكرة واحتوائه على قدر كبير من الضوء واللون.. بالإضافة إلى اللفظة الحية النابضة. وإذا التفتنا إلى أسلوب شاعرنا ونظرنا إليه نجده انعكاسا لنفسية شاعرنا المحبة للجمال وروحه المشرق.

فالأسلوب كما يقول الكاتب الفرنسى «بوفون» هو نفس صاحبه.

انظر إلى رقته وجمال ألفاظه وطرافة صوره الشعرية فى تلك القصيدة الرائعة العذبة بعنوان «من وحى المعادى» استلهمها من وحى لقائه مع محبوبته فى ربى «المعادى» تحت ظلال ليل ساحر فاتن حيث النجوم والهلال والنيل يجرى متئدا ساحرا يلفه السحر والغموض، يرسم لنا شاعرنا لوحة ساحرة لذلك الجو الساحر الجميل الفاتن، وهو يلتقى بمحبوبته فى تلك القصدية الهامسة الرقيقة.. فيقول:[1]

يا نديم الليل فى ظل الربى   غنّ فالدنيا ربيع وشباب
والهلال الصبّ ريّان الصبا   هائما يختال فى وشى السحاب
يا حبيبى دع عيونى   تحتسى ماضى رضاك

(١) همسات/ ص٣٠

يـا حـبـيـبـى دع ظنونى	تجـتــلى زاهــــى صـفــاك
حـولـنـا لـيـل ونـيـل ساهر	يا حبيبى تحت أقدام المعادى
اننى فى الحب طير شاعر يا حبيبى	فى الـــربـــى أمــضى أنـــادى
يــــــا حـــبـــيـــبـــى	صبّ فى أذنى أناشيد الهوى
	قبل أن يمضى بنا هذا الشباب
يــــــا حـــبـــيـــبـــى	منيتى ظمأى وقلبى ما ارتوى
	من جناك الحلو يا نبع السراب
لا تـدعـنـى يـا حبيبى	بعد أن أسـعـدت روحـى
كـــل مـــا حـــولى حبيبى	راحـــم يــأســو جـروحـى
صبّ من عينيك فى عينى الحنان	يا حبيبى وامزج الروح براحى
أنت لى عون على غدر الزمان	يا حبيبى انت راحى ومراحى
يــــــا حـــبـــيـــبـــى	غنّ لى وابعث أناشيد الهوى
	تطرب الدنيا بأحلام الشباب
يــــــا حـــبـــيـــبـــى	منيتى ظمأى وقلبى ما ارتوى
	من جناك الحلو يا نبع السراب

والشعر أول ما يكون فهو عاطفة وقد فسر أحد نقاد الأدب الإنجليزى كلمة عاطفة بمعنى الألم أى قبول النفس قبولاً حاراً للانفعالات..

فماذا نجد عند شاعرنا؟

إن شاعرنا يعطى لكل كلمة مدلولاً خصباً عميقاً يعكس انفعالاته العميقة وعواطفه الحارة.!

لذا، جاء أسلوبه الموسيقى الرقيق الهامس انعكاساً لسجاحة روحه واشراق نفسه. فالأسلوب حقيقة هو نفسه أو هو الرجل نفسه كما قال بوفون..

انظر إلى رقته وطراقة صوره الشعرية فى ذلك التصوير البديع وهو يناجى محبوبته فى شعر مفعم بالحزن والعاطفة الجياشة والحرارة عندما يقول:[1]

أذكـــــــــــــرى	عندما أمضى إلى دانى الرحيل
	أمــسـيــاتــى الحــالمــات
وانـــــــشـــــــري	ذكرياتى فى أويقات الأصيل
	والـعـشـايـا الـزاهـرات
واذكرينى كلما غرّد طير فهو قلبى	وهـــو بـــاق هـــا هـنـا
وارحمينى عندما يخطر فى بالك حبى	أيـــنـــما كـــنـــت أنـــا
يـــا رعـــى الله زمـــانـا	راقـــنـــا مـــنـه الأمـــان
يـــا رعـــى الله مـكـانـا	طـــاب لى فـيـه الـزمـان
أذكـــــــــــــرى	أىّ كأس من يديك الحانية
	قـد بـدا لي الـشـك فيه
واعــــــــــــــذرى	عاشقاً أشقته دنيا جانيه
	فـــرأى فى الـنـور تيه
واســـعــــديـــنـــى	ان بعثت الطيف يوماً فى الكرى
	حـامـلاً صـافى الـوداد
وارحـــمـــيـــنـــى	من غـرام باع قلبى واشترى

(١) همسات/ ص٧٠

فى التدانى والبعاد

هات من فيك الرضى	هاته من شفتيك
انما الحب قضى	أن ألبّى ناظريك

والحقيقة ان رقة ألفاظه وحلاوة كلماته والموسيقى الهامسة قد زادت شعره قوة وأصالة وجمالا، وأعتقد أن الشعر إذا خلا من الموسيقى لا يسمى شعراً ومن هذا المنطلق أستطيع أن أقول إن شعر أحمد عبدالمجيد بما يتسم به من الرقة العاطفية والصدق الفنى والجمال فى الصورة والمضمون يعد شعراً موسيقياً يمكن لأى ملحن أن يلحن أى قصيدة فى ديوانه. ويبدو فوق ذلك ثرياً بالرقة والنعومة وصدق الإحساس والموسيقى الحالمة التى تترك فى أذنيك بقايا من رنينها، وجرسها، وهو لذلك يتمتع بنموذج من أعذب النماذج الجيدة الأصيلة فى شعرنا العربى المعاصر، وكما قال له الأستاذ يحيى حقى، «انك تعد[1] جسراً يربط القديم الكلاسى بالجديد فى مضمونه وألفاظه ومعانيه السهلة الواضحة.

وقد تكون بداية لشعر جديد يحتفظ بالروى والوزن وموسيقى الشعر القديم ويتخلص من قوالب الشعر القديم ولزومياته».

خصائص فنّه الشعرى

يذكر الناقد الكبير «ريتشاردز» أن الشعر الجيد يتميز بما يلى:[2]

- الكأس التى يقدم فيها الشعر.
- طريقة الأداء.
- قيمة الإحساس أو الشعور.

(١) فى حديث بين الشاعر أحمد عبدالمجيد والكاتب الكبير يحيى حقى فى ديسمبر ١٩٧٠

(٢) مجلة أبوللو/ مارس ١٩٣٣م

فلنفصل رأى ريتشاردز ونطبقه على شعر أحمد عبدالمجيد.. فماذا نرى؟

حين يريد شاعرنا مثلاً أن يتحدث عن «لغة العيون»، والعيون لغة، يصور ذلك فى بيتين فيقول:

حدثتنى عيناك بالأمس همسا ليت ذاك الحديث من شفتيك

بالسحر الحديث من فمك العذب وهمسى يصب فى أذنيك

فشاعرنا عبّر تعبيراً قوياً عن المعنى الذى يريده وهو «همس العيون» فى إيجاز وابتكار أصيل..

أما طريقة الأداء، فإن شاعرنا متين البناء متماسك جيد الأداء.. فحين يناجى شاعرنا ربة هواه يورد لنا صوراً جميلة مبتكرة تعكس انفعالاته وعواطفه النابضة بالحرارة والصدق كما تتسم بجودة التعبير وأصالته.

فهو مثلاً يصور لنا تجربة عاطفية مر بها.. ويصور ليالى سهاده وحنينه إلى ربة هواه، وكيف يشقى ويعانى من أهوال الصدود ومصاعب الهجر ثم ينادى محبوبته لتعود إلى حماه ليعودا كما كانا عاشقين سعيدين وما أسعد العشاق:[1]

أشرق البدر على الكون ونادى كل ألفين فهل أصغى المنادى

فوق صدر النيل حلو يتهادى وأنا فى الليل حلم يتهادى

يا حبيبى عادت الأوهام بالذكرى إلى ماضى العهود

وأنا فى ظل أيامى الخوالى لم أزل حتى تعود

ثم تأتى أهم خصيصة يتميز بها شعر أحمد عبدالمجيد، وهى الصدق الفنى فهو لا يقدم لنا فى شعره إلا ذوب نفسه وعصارة تجاربه فى «الحب والعشق والحياة».

فشعره انعكاس صادق وأمين لمشاعره وأحاسيسه وعواطفه الرقيقة المرهفة

(١) همسات/ ص١١١

الخصبة. ولذا جاء شعره نابضاً بالحرارة والصدق وروعة التصوير الفنى.

ومن أجمل الصور الشعرية التى أبدعها شاعر الحب والجمال تلك الصورة التى يعبر فيها شاعرنا عن عشقه لليل، بما يمثله هذا الليل لمحب وحيد يعيش على ذكريات حب تولى.

فنرى شاعرنا يناجى الليل ويتمنى أن يظل موصول السهر مع هذا الليل الساحر، عسى أن يجد فى ظلاله السلوى والنسيان:

إننى يا ليل طيف هائم ... فى ضياء الصبح أرجو مطلعك

إننى يا ليل فى ظل الضحى ... أنشد السلوى وأيامى معك

لم تعد لى منية أطلبها ... من منى الأحلام إلا موقعك

فى حشاياك أناجى أنجما ... هى سلواى وبدرا أبدعك

روعة الإمساء باتت سلوتى ... فاطونى بالله أو خذنى معك

إن هذه الصورة الشعرية الجميلة وغيرها إن دلت على شىء، فإنما تدل على أن مصورها شاعر فنان يوشى ألفاظه بوشى رائع جميل من الضوء والظل والعبير، فضلاً عن صوره المبتكرة وصدقه الفنى وشاعريته الخصبة المبدعة.

يقول الناقد الكبير «بندتو كروتشه» صاحب كتاب «فلسفة الجمال»، «إن الشاعر العظيم هو من اجتمعت فيه النزعتان: الكلاسيكية والرومانسية».

وأستطيع أن ألقّب شاعر الحب والجمال، أحمد عبدالمجيد، بـ«فيلسوف الجمال وحكيم الحب وعفيف الهوى»

ولقد صور شاعرنا مذهبه فى الشعر فقال:

شعرى شعورى وألحانى أروّيها ... من ذوب قلبى لا من فيض أسلافى

ما قل منه ثمين عز مطلبه ... مثل اللآلى إن قيست بأصداف

من ظرفاء العصر

كان أحمد عبدالمجيد أحد ظرفاء العصر الذين ملأوا حياتنا بهجة وفكاهة وظرفاً فى النصف الأول من القرن العشرين حيث مثل هو وحافظ إبراهيم و«محجوب ثابت» وعبدالعزيز البشرى ومحمد مصطفى حمام وحسين شفيق المصرى وكامل الشناوى ومحمد البابلى كوكبة من ظرفاء مصر الذين تركوا بصماتهم الباسمة على وجه الحياة، وجملوها بفكاهاتهم وطرائفهم ونوادرهم وملحهم الباقية.

وقد تجمعت للسفير الشاعر أحمد عبدالمجيد من أطراف العالم، سهوله وأعاليه، وحواضره وبواديه، مادة وفيرة من كل ما اتصل بالظرف، أو ألم به، أو طاف حوله وحول أهله من الماجنين وسمار لياليه، ومن اشتهر من الظرفاء فى العالمين العربى والغربى فضلاً عن أسماره وفكاهاته التى أهلته لأن يجمع خلاصة خبرته فى كتاب «رحلة مع الظرفاء» الذى أصدره عام ١٩٧٦.

ويعرف أحمد عبدالمجيد «النكتة» بقوله:

«النكتة كما فسرها علماء النفس والفلاسفة، إنما هى محاولة لإعادة التوازن داخل النفس المضطربة القلقة، التى هزتها أحداث زعزعتها عندما وقعت خارجه ونفذت إليها، فرأت تلك النفس أن تستعيد توازنها بالضحك أو افتعاله.

«والنكتة تتطلب من المتلقى لها، لماحية وقدرة على التصور والتخيل، فإذا ما افتقرت إلى هذا النوع من المتلقين والمستمعين، احترقت.. كما يقولون ولا تجد على

وجه مستمعها إلا مزيجاً من البلاهة وعدم الفهم ولولا خوفه من أن يتهم بالغباء لسأل جاره: ماذا يعنى الأخ؟

«كذلك تتطلب النكتة من راويها، حسن إلقاء، وخفة ظل، وبراعة عرض، مع اختيار مناسب، إلى جانب تمثيل للمواقف بالإشارة أو حركات الوجه، لتكمله صورة، ما يرويه مؤدى الفكاهة.

ويرى أن الإنسان الضاحك، على قدر استجابته للضحك، أو قدرته على إثارته، نراه سريع الاستجابة للبكاء إن دعا داعيه، أو حدث ما يحمله عليه، فهو مرهف الحس، كوتر الكمان.. ويقول شاعر لماح:

إذا أنا لم أضحك فقدت مشاعرى
وإن أنا لم أحزن فقدت شعورى

ويذكر أحمد عبدالمجيد أنه ليس أبعث على الضحك من المفارقة التى تعد أساس كل ضحك وفكاهة ونكتة.

والفكاهة والنكتة والظرف والمجون، أجهزة لا تستطيع كل يد أن تلعب بها أو تستخدمها، فإن لها طرائق خاصة وفلسفة خاصة وقدرة فى الاستعمال كقدرة الطبيب الجراح فى استعمال المبضع، توخياً من أن تجاوز ما هو مقصود منها إلى ما يجرح أو يسيء، ما دام القصد منها إضحاكاً يقتضيه المقام فى حدود، مرسومة، سادنها الذوق العام، والبعد عن الإيلام، والتوسل بها لنقد برئ يتطلب النصح والتوجيه والإشارة.

والفكاهة من قبل ومن بعد مثلها مثل ملح الطعام، قليله ضرورى ومرغوب، وكثيره، متلف وضار وقد شرح سيجموند فرويد النكتة بقوله: النكتة ضرب من القصد الشعورى، والعملى يلجأ إليها الإنسان ليعفى نفسه من الواجبات الثقيلة، ويتحلل من الحرج الذى يوقعه فيه الجد ولوازم العمل.

ونبى الفطرة محمد ﷺ يقول فى حديث، هو قبس من الذكر الحكيم: «روحوا عن النفوس ساعة بعد ساعة، فإن النفوس إذا كلت عميت».

ومن أوراقه المطوية كانت لأحمد عبدالمجيد مختارات من أدب الفكاهة تعكس صفاء نفسه، وخفة ظله، وسمو ذوقه الفنى، من بينها هذه الألوان.

من جميل ما روى من نوادر جرت بين سائل وبخيل هذه النادرة: فقد وقف بباب أحد الأغنياء سائل طلب شيئاً لله ولما سمعه رب الدار قال لتابعه:

- يا مرجان قل لعنبر يقول لجوهر، وجوهر يقول لياقوت، وياقوت يقول لألماس، وألماس يقول لفيروز، وفيروز يقول لدهب ودهب يقول لهذا السائل: يفتح الله عليك!

فسمعه السائل، فرفع يديه إلى السماء، وهو يردد: يا رب، قل لجبرائيل يقول لميكائيل، وميكائيل يقول لدردائيل، ودردائيل يقول لكيكائيل، وكيكائيل يقول لإسرافيل، وإسرائيل يقول لعزرائيل، أن يزو الليلة هذا الشحيح!.

ثم مضى فى سبيله وترك الشحيح مذعورا.

كانت ليلى العامرية صاحبة قيس بن الملوح تقول:

لم يكن المجنون فى حالة ... إلا وقد كنت كما كانا
لكنه باح بسر الهوى ... وإننى قد ذبت كتمانا

ومضت تقول وتشرح ما بها من جوى فى موضع آخر:

باح مجنون عامر بهواه

وكتمت الهوى فسمت بوجدى
فإذا كان فى القيامة نودى
«من قتيل الهوى»؟ تقدمت وحدى

وقال البهاء زهير فى جمال طول قوام الحسناء:

وهيفاء تحكى الرمح طولاً وقامة
لها مهجتى مبذولة وفؤادى
لقد عابها الواشى فقال طويلة
مقال حسود مظهر لعناد
فقلت له بُشرّت بالخير إنها
حياتى فإن طالت فذاك مرادى
وما عابها القد الطويل وإنه
لأول حسن للمليحة بادى
رأيت طويل الحصن يحمى جنوده
فأعددتها حصنا لحفظ ودادى

طلب هارون الرشيد من الشعراء أن يجيزوا قول جرير:

إن الذين غدوا بلبك غادروا
دمعاً بعينك ما يزال معينا

أى أن الدمع مضى مسترسلاً دون توقف فلم يصنع أحد شيئاً فى إجازة ما طلبه الرشيد، وعند ذاك خف أحد الأتباع إلى «عنان» وهى «قينة» شاعرة وعازفة ومحدثة حاضرة الذهن، فبعثت معه بهذه الأبيات:

هـيـجـت بـالـقـول الـذى قـد قـلـتـه
داءً بـقـلـبـى مـا يـزال كـمـيـنـا

قـد أيـنـعـت ثـمـراتـه فى روضـهـا
وسـقـين مـن مـاء الهـوى فـرويـنـا

كـذب الـذيـن تـقـولـوا يـا سـيـدى
إن الـقـلـوب إذا هـويـن هـويـنـا

ومما يروى من الهجاء المقذع قول الشاعر:

قـومٌ إذا صـفـع الـنِّـعـالُ قـفـاهـمو
شـكـت الـنـعـال بـأى ذنـب تُـصـفـع؟

وقد صور لنا السفير الشاعر أحمد عبدالمجيد مجالس الظرفاء فى مصر فى ذلك العصر بأسلوبه المشرق السلس فقال:[1]

«كانت مجالس الظرفاء تنتشر فى أنحاء عديدة فى القاهرة القديمة والحديثة، فكانت قبل العشرينات تنعقد فى مقاهى متعددة حول المقام الحسينى وفى دار المهدى بباب الخلق وفى قهوة المعلم بباب الخلق أيضاً وفى قهوة متاتيا بالعتبة الخضراء وفى بار أستراليا بشاعر عمادالدين، وفى منادر وصالونات لا حصر لها ولا عد.

ونحن نذكر ما سوف نرويه عن هذه المجالس على سبيل المثال فإن حصرها يحتاج إلى هيئة إحصاء وتعداد ومراقبة ومراجعة ومتابعة.

وكان الشيخ الشربتلى، نجم قهوة المعلم بباب الخلق. ويتخذ منها مكتباً يدير منه أعماله الصحفية، ففى استطاعته تقليد أى أسلوب أو قلم فى البلد. وعندما يجىء إليه

(١) أحمد عبدالمجيد «رحلة مع الظرفاء/ ص٢٢٥»

أصحاب الصحف - وكان أغلبهم من الأميين - كان يتفق معهم على تسعيرة تتنوع فئاتها تبعاً لنوع الكتابة والأسلوب.

فإن كان المطلوب مقالة على نمط كتابات اللواء وأسلوب المؤيد، فثمن الصفحة خمسة قروش.

وإذا كانت الكتابة المطلوبة تسلك مسلك أسلوب الشيخ محمد عبده والسيد توفيق البكرى، فالصفحة بعشرة قروش.

أما النوع الممتاز من كتابات ابن المقفع والجاحظ وبديع الزمان الهمذانى فالشيخ لا يسمح بأقل من خمسة عشر قرشاً، لأنها كتابة مخدومة ومنتقاة.

وكان إذا اشتكى أحد أصحاب الصحف من أن المنضدين للحروف ضجوا من صعوبة قراءة الحروف الصغيرة التى يكتب بها الشيخ الشربتلى، صرخ الرجل: «هى الخمسة قروش حتشترى ورق والاحبر والا أجر كتابة. احمدوا ربنا!».

وكان عثمان جلال بك، المستشار الشاعر الزجّال المسرحى، قد ألف مع شلّة من أقرانه، جماعة أطلق عليها اسم «جماعة الأنس» تجتمع فى مندرة دار تقع على ناصية حارة البرقوقية.

وكان يروى ذات يوم لروّاد المندرة، قصته مع ناظر مدرسة الطب فى أيامه.

فقد ذهب لمقابلة الناظر وكان يعرفه. ورحب به الناظر وسأله إذا كان يرغب فى إدخال «حافظ جلال» - الدكتور فيما بعد - المدرسة، فقال له عثمان بك: لا فسأله الناظر إذا كانت هناك خدمة أخرى أؤديها فأنا كلى استعداد. فقال عثمان بك: عايزك تدخل حافظ ابنى مستشفى المدرسة. فأجابه الناظر بأن حافظ فى صحة طيبة. فقال له عثمان بك أنا أعلم ذلك. ولكنى أريد أن يتمرن أولاً على المرضى ثم يرتقى إلى ممرض ثم رئيس ممرضين ثم يدخل مدرسة الطب ويسير متدرجاً من أول خطوة.. حتى يتخرج

دون أن يفوته شيء.. فانبرى أحد أعضاء الجماعة ليقول لهم إن قريباً له من أهل الريف جاء لزيارته فى القاهرة. ولما استقر به المقام راح يسأله عن أهل بيته وفى طليعتهم، ابنه الوحيد، فقال له صاحب الدار، الحمد لله دخل مدرسة الطب ودلوقت يشتغل طبيب أطفال، فقال له قريبه الطيب القلب: ليه يا شيخ ما كنت تخليه يكمِّل؟..

وكان بار الأنجلو وبار اللواء وقهوة ماتاتيا وحلوان صولت وقهوة دلبانى التى كانت تقوم بجوار سميراميس وكان يرتادها شوقى بك صيفاً، كلها كانت منتديات عامرة بالأدب الرفيع والفكاهة الراقية.

وكان الشيخ عبدالعزيز البشرى نجم الأنجلو. كما كان حافظ إبراهيم نجم بار اللواء، ومحجوب ثابت نجم حلوانى صولت. وفى قهوة ماتاتيا كان يجلس بها إمام العبد مع رهط من ألمع أصحاب النكتة.

وهذه القهوة شهدت جلسات جمال الدين الأفغانى وعبدالله النديم ومحمود سامى البارودى فى شبابهم.

وكان الشيخ البشرى يعجب كل الإعجاب بإمام العبد وبسرعة خاطره ونكتته الحاضرة دون فحش أو تجريح. ولكنه ابتلى ذات يوم بمتأدب كان اسمه محمود راح يقول لإمام العبد إن أجمل قصيدة للمتنبى هى قصيدة:

عيد بأية حال عدت يا عيد

وضحك ضحكة فهم منها أن المتأدب المذكور يقصد بيت القصيدة.

لا تشترى العبد إلا والعصا معه ... إن العبيد لأنجاس مناكيد

فقال له إمام على الفور. بل لعل بيت القصدة هو:

ما كنت أحسبنى أحيا إلى زمنٍ ... يسبُّنى فيه كلب وهو محمود

وكان يؤم دار حافظ إبراهيم فى حلوان رجل اسمه سليمان شوقى يزعم أنه توصل إلى اختراع مُرشّح للماء بوضع تركيبات فخارية فى زير يخرج منها الماء رائقاً صافياً.

وذات يوم كان يجلس مع الندوة دكتور بكير، وكان يستمع فى غيظ لشرح الرجل الذى علم أنه فى كل يوم على هذه الحال، فقال له: يا أخى ذنب الناس إيه لما تروّق الميّه وتعكّر دمُّهم..

وذات يوم كان البابلى يجلس فى ندوته الخاصة بالسيدة زينب عندما يصعب عليه نزول البلد للجلوس فى الأنجلو بسبب إضرابات جارية. فقد كانت المدارس مضربة وكذلك الترام والعربات والمحال العامة احتجاجاً على تصريحات كانت تصدر عن زعماء بريطانيين، تمس أمانى مصر فى الاستقلال، ومر بهم شحّات ألح كثيراً فى طلب السؤال فقال له البابلى: يا أخى اضرب لك يوم، إنت ما عندكش وطنية؟

وكنا نجلس فى مقهى رويال أمام شيكوريل ومعنا أحد أفراد عائلة ترك أصحاب المخابز الشهيرة باسمهم. ومر سائل وألح على الأخ ترك فى طلب حسنة فصرفه بحجة عدم وجود فكّة، ولكن السائل لم ينصرف، فقال حسين الترزى لإبراهيم ترك:

يا أخى اكتب له شيك برغيفين يصرفهم من المخبز.. وقمنا ذات مساء من قهوة رويال لسماع الفنان محمد عبدالوهاب فى تياترو برينتانيا وكانت وقتها تجرى فى عهد إسماعيل صدقى انتخابات نيابية على درجتين أى لابد من انتخابات ثلاثين مندوباً وينتخب من هؤلاء نائب الدائرة.

وفى التياترو كان عبدالوهاب يغنى لأول مرة موال: مسكين وحالى عدم من كتر هجرانك. وإذا الترزى يصرخ: كمان والنبى يا بنى يا محمد ده أنا مسكين ثلاثينى.

وفى قهوة نيس بميدان الإسماعيلية «التحرير حالياً» مكان عمارة بحرى كنت أجلس فى انتظار حسين الترزى ومعى صديق دكتور وعندما حضر حسين قدمته

للدكتور وراح حسين يشتكى من بعض أوجاع يحس بها، فقال له الدكتور أحسن شيء أنك تحللِّ البول علشان الدكتور المعالج يعرف بالضبط مرضك. وهات لى تقرير التحليل وأنا أكشف عليك.

وراح حسين يسأله: وكم يكلفنى تحليل البول؟

فقال له الدكتور: أظن جنيهاً أو اثنين!

فقال له حسين: طيب والبول من عندى ولا من عند الدكتور.. فى أحد الأيام حضر المعلم دبشة الجزار وجلس على مائدة قريبة منا.. وكنا نعرف أنه لا يقرأ ولا يكتب. وأردنا مداعبته. فكتبنا ورقة صغيرة ونادينا الجرسون وطلبنا منه تسليمها للمعلم دبشة. ونفَّذ الجرسون ما طلبنا.

وقد أسقط فى يد دبشة، ولكن لماحيته وذكاءه كانا أسرع من فرحتنا فيه، فقد استبقى الجرسون وراح يمصمص شفتيه متحسراً، ثم أخرج من جيبه قطعة فضية من فئة الخمسة قروش وطلب منه أن يسلمها لنا، كما لو كنا سألناه إحساناً..

ومن نوادر دبشة أنه كان يمتلك دكان جزارة بشارع التحرير الحالى وكانت صغيرة إلى حد ملفت للنظر.

وذات يوم وقف أمام القاضى لاتهامه بمخالفه التسعيرة. وكان رئيس الجلسة بالمحكمة الجزئية، أمضى سنوات عديدة بالمحاكم الجزئية مفضلاً تخطيه، على ألا يغادر بالقاهرة. ولما نودى على القضية تقدم دبشة، فسأله القاضى، ألست أنت صاحب الدكانة؟

وراح يشير بيديه إشارة يفهم منها أن الدكان فى حجم الكف، وعلى الفور قال له دبشة: أيوه يا سعادة البيه الدكانة الجزئية..

وذات يوم مرَّ حسين الترزى على رامى بدار الكتب - وهى ندوة عامرة بالأدب الرفيع والفكاهة الذكية - وعندما حان ميعاد الانصراف قال رامى لحسين: بختك من السما. احنا عندنا النهاردة ملوخية بالأرانب وتعال بنا نمشى واخترقا ميدان باب الخلق وهما فى طريقهما إلى بركة الفيل. ومرا على محلات كثيرة من محال بيع الطرشى. وكان رامى يقول لحسين: يا سلام لو كان معانا سلطنية كنا أخذنا معانا من هنا، دى البرطمانات شكلها يشهى فما بال الطرشى. فقال حسين لرامى والا يا سيدى لو كان معانا ترموس كنا أخذنا فيه طرشى علشان يفضل حرَّاق ٤٨ ساعة.

وفى ندوة دار الكتب، كان يجتمع أحمد رامى وأحمد الزين وأحمد محفوظ ويحضر لزيارتهم أحياناً محمد الهيهاوى وكنت من بين المترددين على الندوة لزيارة رامى أو لاستعادة كتاب.

وحضرت مرة حديثاً فى الندوة يتناول طريقة أداء الأغانى وأسلوب كل مغنى. ولم يكن أحمد رامى من الراضين عن النعومة فى الغناء وترديد النواح والبكاء فى موضع الترفيه. وسمعته يقول إنه بدأ فى قصيدة ينعى فيها على هذه الفئة كل هذا النواح وأن مطلعها هو:

أنائح أنت أم مُغَنِّى! سلبت عزم الرجال مِّنى

وكان محل صولت الحلوانى، المكان المفضل لشوقى بك. وكان جلساؤه فيه، الدكتور محجوب ثابت والشيخ عنارة والشيخ الجديلى والشيخ الجزيرى وأحمد محفوظ وكثير من أهل الفضل والأدب وكبار رجال الصحافة الذين كانوا يسعون وراء الجديد من أخبار الندوة وخاصة شعر شوقى فى محجوب ثابت. وقد أملى فى صولت قصيدة «براغيث محجوب» وقصيدة «مكسوينى» التى يداعب فيها أمير الشعراء صديقه محجوب قائلاً له:[1]

(١) كان للدكتور محجوب حصان مشهور سماه «مكسوينى» وقد استبدل به سيارة، فنظم شوقى هذه

أدنيا الخيل يا «مكسى» كدنيا الناس غداره؟
لقد بدلك الدهر من الإقبال إدباره
فصبراً يا فتى الخيل فنفى الحر صباره
أحق أن «محجوباً» سلا عنك بفخاره؟
وباع الأبلق الحر «بأوفرلاند» نعاره؟
ولم يعرف له الفضل ولا قدر مقداره
ولا والله ما كلفت «محجوبا» ولا «باره»
فلا البرسيم تدريه ولا تعرف نوّاره
فإن الحظ جوال وإن الأرض دواره!

وكان الشيخ عبدالعزيز البشرى لا يغادر الأنجلو إلا بعد أن ينتصف الليل. وذات ليلة تأخر عن موعده ولم يشأ أن يذهب إلى دار أولاده فى الزيتون، وفضل أن يبيت عند شقيقته فى السيدة زينب.

وكان فى عصر ذلك اليوم قد اشترى وهو جالس فى الأنجلو، قفص فراخ يحتوى على خمس عشرة دجاجة، وأدخل خدم المقهى القفص فى مخزن المهملات لحين قيام الشيخ.

وعندما استعد للذهاب. وضعوا له القفص بجوار سائق العربة المعتاد توصيل الشيخ إما إلى محطة الزيتون أو إلى السيدة زينب تبعاً لإشارة الشيخ وسارت بهما العربة إلى السيدة زينب.

وعند وصول الركب إلى دار السيدة شقيقة الشيخ البشرى حمل السائق القفص إلى المنزل واحتفظت السيدة بالفراخ فى السطوح واعتنت بها وبأكلها ونظافتها كل العناية.

القصيدة «سنة ١٩٢٤» يداعب الدكتور ويعزى حصانه.

وبعد شهرين من هذه الزيارة، كانت التعليمات لدى السائق أن يذهب إلى السيدة. فمضى بالشيخ إلى دار شقيقته.

وفى الصبح تنسَّم الشيخ روائح ذكية منبعثة من بيض يُقلى بزبدة طيبة وسأل وهو يتناول إفطاره عن كل هذا الخير - وكان البيض كثيراً أمامهم - فقالت له:

فضلة خيرك، الفراخ فراخك والبيض منهم. وإذا كنت عايزهم أجمعهم لك، بس تدفع مصاريف الأكل اللى قدمته لهم، وهى حسبة ثلاثة جنيهات.. فصرخ وهو يقول: بقى يا عالم أدفع قسط بناتى «الساكر كير»، ثلاثة جنيهات فى الشهر وادفع للفراخ زيهم.. ليه؟ رايحين يكاكوا فرنساوى.

وعندما دُعى الشيخ البشرى لقضاء أيام فى عزبة الشريعى باشا بالمنيا، تأخر عن العودة فى الموعد المضروب، وفكر أعضاء الشلة فى إرسال برقية تتعجَّل عودته وتركوا لحفنى بك محمود صياغة البرقية، وكانت على هذه الصورة الشفرية:

«كشكار دايم ولا علامة مقطوعة..»

حتى لا يفهمها إلا الشيخ وحده، باعتبارها من لهجات شمال الأنجلو.. ومن اللغات المندثرة..

وكانت تعنى، أن العز الموقت الذى تنعم فيه، مصيره إلى نهاية ومن الخير لك أن تعود لما هو دائم..

وفى عصر أحد الأيام، حاول البشرى أن يقطع شارع شريف أمام الأنجلو، ولكن السيارات، كانت وكأنها مسبحة، متوالية، متصلة فوقف إلى حين انفراج.

وكانت تقف إلى جواره سيارة إسعاف كانت تؤدى خدمة فى المنطقة فقال سائقها للشيخ البشرى، الذى يترقب فى خوف: ما تفوت يا سيدنا الشيخ!

فقال له الشيخ: بس مش عايزين نتعبكم..

وكنت أجلس مع دكتور إبراهيم ناجى فى مطعم سيسبل بميدان التوفيقية ننتظر رامى. وراح ناجى يحكى لى عن قصته مع مريض كان على خصاصة وعوز، فأعطاه ناجى بعد الكشف وكتابة الروشتة مبلغ جنيه لمساعدته.

وبعد شهور لقى ناجى زوجة المريض فسألها عن صحته فقالت له الله يعوض عليك يا دكتور. إحنا جبنا بالجنيه بتاعك حكيم كويِّس وكان فى ايده الشفا والحمد لله..

فقلت له، إنى كان بينى وبين صديق كريم، دكتور عيون ذكى ونابه، ولكن كانت تشغله عن فنه شئون عديدة وسعيدة.. فرويت مرة عنه، أنه كان يفحص عين مريض وأطال فى الفحص وتململ المريض وقال للدكتور، بتعمل إيه يا دكتور، قال له بفحص عينك يا أخى، فأجاب المريض:

دى العين القزاز يا دكتور.

وفى مصيف زحلة بجبل لبنان، فى صيف عام ١٩٢٧، نظم شوقى قصيدة «يا جارة الوادى»، اسم القصيدة فى ديوان شوقى «آية الزمان»، ليرد بها شاكراً لبلدية زحلة تفضلها بمنحه قطعة أرض فى أجمل بقعة بالمصيف بنى عليها شوقى قصراً يحل به كل صيف.

وكانت البلدية قد أقامت فى هذه المناسبة حفلاً كبيراً دعت إليه الكثيرين من أدباء وشعراء وكتاب العرب ممن كانوا يصطافون فى لبنان فى ذلك المصيف، احتفاء بشوقى بك وتكريماً له.

وبعد أن أعلن مدير البلدية قرار البلدية، قام الأستاذ الكبير بصوته الأخاذ، الأديب الكاتب فكرى أباظة ليلقى القصيدة الخالدة. ولم تكن «يا جارة الوادى» المعروفة إلا مقدمتها الغزلية. ولكن القصيدة الأصلية تزيد على خمسين بيتاً.

وكان الموسيقار محمد عبدالوهاب قد لحن هذا الجزء المعروف، وقام بغنائه فى هذا الحفل الكبير، حيث استقبله جمهور المستمعين استقبالاً تمناه الفاتحون..

وكانت ليلة.. تمنينا أن يقف الصباح فلا يقربها، إلى أن انبلج نور الفجر، وانطوت ليلة العمر، التى ما يزال أرجها يعبق ويملأ الذاكرة بشذاها ويفيض على الفكر بريَّاها. وحتى يومنا هذا، ما تزال هذه القصيدة «يا جارة الوادى» تغنَّى بصوت عبدالوهاب فى منتديات نهر البردونى الذى يشق وادى زحلة وتنتشر على ضفافه مطاعم ومشارب وأماكن لهو تسطع أنوارها.

وتبدو حول البردونى الذى لا يزيد عرضه على أربعة أمتار، كما لو كانت سواراً من ماس.

وأصبحت يا جارة الوادى رمزاً على وادى زحلة، ونالها من الشهرة الخالدة، مثل ما نال أغنية «على جسر أفنيون» «Sur Ie d'Avignon» التى ظلت منذ القرن الرابع عشر تتردد حتى اليوم على لسان كل صبى وصبية فى جميع أنحاء فرنسا.

وفى صباح هذه الليلة الهنيئة، كان المصريون من نزلاء فندق قدرى يجتمعون، وكلهم أصدقاء، فى تراس الفندق انتظاراً لصحف القاهرة فى لهفة وقلق.

وكان شوقى بك يجلس معنا أحياناً، مستمعاً كعادته، أو معلقاً بقول حكيم لا يطول أكثر من حسو الطير من جدول رقراق.

كانت الصحف قد نشرت هذا الصباح، توصُّل مدام «كورى» لاكتشاف عنصر الراديوم الذى يُمثل مرحلة من مراحل الاختراعات والتطور العلمى السريع، وسلسلة من فتوحات العلم النظرى والتطبيقى.

وكنت من حسن طالعى أجلس إلى جوار الشاعر الخالد حيث كنت أطلعه على الخبر المثير فى صحف الصباح المحلية، ورأيته يبتهج لهذا النصر العلمى ثم يهمس لى

بصوت خفيض، «إن السيدة التى تصلح لعمل الرجال، لا تصلح للرجال».

وكان يعنى أن عملها سوف يشغلها عن مهام بيتها، ولكن، لقد أثبتت المرأة بجدارة وبكل صدق وإخلاص فى عصرنا الذى نعيشه، إنها فى كل ميدان تطرقه تبلغ فيه غايتها بنجاح وتوفيق وصدق وأمانة. وبينما نحن جلوس، إذ بصبى يحمل أعداداً من قصيدة «آية الزمان» طبعتها بصورة عاجلة صحيفة محلية فى زحلة وراح هذا الصبى - وفى جبل لبنان مثل أمريكا يشتغل الصبية فى عطلة المدرسة ببيع الصحف - راح الصبى يلح علينا فى شراء بضاعته من «آية الزمان» واشترينا جميعاً منه فيما عدا شوقى بك، راح الصبى يلح على شوقى بك ليشترى نسخة وهو يأبى أن يجيبه إلى طلبه، بمكر حسن ليرى النتيجة، وإذا بصديق من الجالسين، وهو لبنانى، يقول للصبى: يا أعمى القلب، هايدا شوقى بك بنفسه بعظمه بلحمه، كيف تبيع له القصيدة وهو ناظمها؟

فقال الصبى: بابا، باعرف إنه شوقى بك أمير الشعرا لكن بلكى بينساها.. على أن هذه المجالس، كانت تطوى فى جوانحها وبين ثناياها ملامح كثيرة من ملامح الجامعات التى لا تقيد طلابها بمواعيد للحضور أو الانصراف لا تحملهم على الاستماع إلى ما لا يحبون إلا وقتما يشاءون. فالكل فيها ينتسب والكل فيها مستفيد، منذ أن كانت كالبحر المنفتح على كافة التيارات، وليست كالبركة التى أسن ماؤها من افتقارها طوال ركودها إلى تيارات جارية متجددة.

وكانت المحاولات التى تدور فى الصحف وفى النوادى وعلى منابر الجمعيات، تطرح للبحث فى هذه المجالس.

فكانت مبارزات الدكتور زكى مبارك التى حمل فيها على كلٍّ من الشيخ عبدالعزيز البشرى وأحمد أمين بلا داع يدعو إليها.

وقد توصل مجتهد.. من المجتمعين إلى سر الهجوم بقوله: إن الدكتور فى غير

حاجة لشهرة، ولكنه بهجومه المدبر يضمن ألا يتصدى له أى قلم بعد أن عرفوا مرارة هجومه. والمفلس يغلب السلطان، وهو يعتمد على أنه فى حال ليس من بعده ما هو أسوأ منه.

وإيه يأخذ الريح من البلاط..

وكان أحمد عبدالمجيد أحد فرسان الشعر الحلمنتيشى الذى يعتمد على المزج بين الفصحى والعامية بأسلوب يقوم على المفارقة المفجرة للسخرة لفظياً ومعنوياً.

وكان من أبرز شعراء هذا اللون حسين شفيق المصرى فكتب المشعلقات معارضة للمعلقات وكتب المشهورات وغير ذلك من ألوان الشعر الحلمنتيشى وقد تناول أحمد عبدالمجيد هذا اللون أيضاً فعارض بعض القصائد الشهيرة بأسلوبه الساخر الفكه مثل قصيدة نزار قبانى الشهيرة:

متى ستعرف كم	أهواك يا أملا
أبيع من أجله	الدنيا وأشريها

فكتب يعارضها على نفس الوزن والقافية:

متى ستعرف كم	أهواك «يا حنفى»
يا من نشلت	دموعى من مآقيها
ياما رهنت	مصاغاً كنت تنفقه
على فضائح	تنشرها وتطويها

ومن هذا اللون كانت له قصيدة على وزن قصيدة نزار قبانى «رسالة من تحت الماء» لكنها فقدت - للأسف - منى.

ومن قصائده العاطفية الطريفة التى حشد فيها الصور الطريفة، والتعبيرات

المستملحة قصيدة «هكذا أحب» التى جاءت على شكل موشح والتى فيها:

أحـبـبـت حـتـى لم يـعـد فى   الـنـاس يهـوى مـن يحب

وعـشـقـت حـتـى لم يعد   فى الـكـون بعدى أى حب

وبعد، فقد كان أحمد عبدالمجيد أحد ظرفاء العصر، حيث تروى عنه النوادر المستملحة، والطرائف الضاحكة، وكان بارعاً فى المفارقات و«القافية» فى الحديث، ولم يكتف بذلك بل كان شاعراً ظريفاً استطاع أن يقدم لنا نماذج طريفة من الشعر الحلمنتيشى، ومن الشعر الفكاهى الذى يجعله أحد أبرز أساطين الفكاهة فى النصف الأول من القرن العشرين.



أغاريد الحب والوداع

فى سنواته العشر الأخيرة «١٩٧٠-١٩٨٠» عاش أحمد عبدالمجيد «كالوتر المشدود» يضنيه الجمال، ويعذبه الحرمان وتضحكه البسمة واللمحة، وكأنه يعشق لأول مرة وكأنه قد نسى كل ما مر به من غراميات وقصص حب تراوحت فيها أنغام الوصال والهجر واللقاء والحنين والفراق والغضب والرضا، وعاش تجربة حبه الكبير والأخيرة مع تلك الملهمة المثقفة الجميلة «سلوى» والتى جمعت فى قصة حبه لها مشاعر المحب والأب والصديق فأحالت حياته أتونا من مشاعر الرضا والغضب والغيرة والسهاد والحنين والتمرد!

لقد جاءه هذا الحب فى خريف العمر بعد أن جاوز السبعين، وكان يعانى فى تلك الحقبة من معاناة الوحدة، فلا ولد يؤنسه، ولا عمل يشغله سوى القراءة والكتابة ولا صديق مخلص يخفف عنه العناء إلا فيما ندر، فجاءت هذه العاطفة وكله أمل أن تملأ حياته بالبهجة والرضا والسعادة، لكنه عانى فى هذا الحب من العذاب والحرمان، وكان يردد دائماً لى أن بعض الأدباء يظنون أن أقوى حب وأبقاه وأمتعه هو الحب المحروم، ذلك الحب الصامت اليائس المستوحش الذى يرسل أروع الصرخات وأعذب الأنغام لكن ليتهم يعلمون مدى عذاب مثل ذلك المحب وضناه، وتقلبه على نيران الغيرة والسهاد والحنين والحرمان! وكنت أنظر إليه فى تلك الحقبة وكأنه طائر جريح يغنى طول حياته بمفرده، وإن كان يعزينا دائماً أنه ليس وحده الذى يتعذب، بل كانت ضريبة حب العظماء دائماً هكذا، فهم لا يحبون بالجسد قدر ما يحبون بالقلب،

فقد استطاع أحمد عبدالمجيد فى حبه المحروم أن يتغلب على الأنانية، وحاول أن يقهر الغيرة، وأن يسمو بمشاعر الوجدان والروح، فقد تفوق على الغيرة فى حبه النقى للسيدة «سلوى» الذى كان يعلم حق العلم أنها تحب زوجها وتخلص له، فلم يتبرم بها ولم يسخط عليها بل قدر فيها سمو أخلاقها ونبل طباعها وكان سعيداً برؤيتها مطمئنة وسعيدة فى صحبة سواه فكان أحمد عبدالمجيد مثله مثل عظماء العشاق الذين عبر عنهم الكاتب إبراهيم المصرى، فكانوا مضرب المثل فى الحب الصحيح: الحب المنزه عن الأنانية والغيرة، الحب القائم على إسعاد الحبيب، الحب النابع من الروح لا من الجسد فقط، الصادر عن الرغبة العميقة، فى الولاء المطلق والتضحية المطلقة وقد بدأ هذا الحب عام ١٩٧٦ بعد صدور كتابه «رحلة مع الظرفاء» حيث بادرت تلك الملهمة الأديبة المثقفة بالاتصال به تليفونياً لتهنئته بكتابه الجديد ومن هنا بدأت شرارة ذلك الحب وقد مر هذا الحب السامى العفيف من شاعرنا المحب وملهمته بأطوار عديدة من القرب والبعد والوصال والهجر والثقة والشك، والاقتراب والبعاد، ومن العذاب والحرمان رصدته رسائله لى فى تلك الحقبة كما سجلته قصائده العاطفية التى قصرها خلال تلك السنوات من خريف عمره على ذلك الحب الرائع النادر.

يقول فى أحد رسائله لى «إننى إذا التقيت بمن أهواها شردت عنى كل ملكات السمع والبصر والكلام، فلا أرى منها شيئاً، ولا أسمع فيها حديثاً، ولا أجرى معها كلاماً أو أبثها لوعة تحرق كبدى، ولا يسعنى إلا أن أقول وأنا منصرف عنها:

وإنـى لينسينى لقاؤك كلما   لقيتك يوماً أن أبثك مابيا

وكان أحياناً يعانى من صدودها وشكوكها فى مراميه، فكان لا يريد إلا العاطفة السامية، والحب العفيف، فكان فى حبه مثل حب الشاعر العاشق جميل لملهمته بثينة:

وإنى لأرضى من بثينة بالذى   لو أبصره الواشى لقرّت بلابله

بلا.. وبأن لا أستطيع.. وبالمنى وبالأمل المرجو قد خاب آمله
وبالنظرة العجلى وبالحول تنقضى أواخـــره لا نلتقى وأوائلـه

وكت يقول لى حول معاناته من شكوكها: «ليس فى استطاعة أى رجل أن يقنع أى امرأة، بأنه لا يطمح منها فى شىء، وربما كانت جناية بعض الرجال قد امتد أثرها إلى قلب كل امرأة، فيذهب البرىء بجريرة المذنب».

وقد تجرد شاعرنا المحب من مشاعر الغيرة التى كان يرى أنها نوع من شعور المالك على أرضه أو عقاره، وهذا الشعور بالملكية يولد فى نفس الغيور تصوراً حسياً وشهوياً حاداً لكن شاعرنا ارتفع بحبه عن هذه الغيرة وكان يقول لى:

لا مكان عندى للغيرة، فقد غدوت كالناظر للقمر الذى يشركنى إليه كل بصر، وهو يسطع على القصر والكوخ، ويراه ويسعد بضيائه الغنى والفقير، فأنا أراها مثلما يراها غيرى، والسعيد والشقى سواء فى الاستمتاع بهذا الفيض الباهر من الخالق القدير».

ورغم معاناته فى حبه مما كان يراه. تلوناً وتبدلاً فى أطوار ملهمته، إلا أنه كان يسلم بهذه الأطوار العجيبة باعتبارها قضاء وقدراً، كتب فى أحد خواطره يقول:[1]

قال لى قلبى ذات مساء: «إنها تضن عليك بدقائق معدودات، هى كل ما تأمل أن يصيبك من رؤيتها وإذا حادثتك، جنح حديثها إلى الهمس والخفوت، وإذا جادت عليك بنظرة ما اعترى بصرها شرود وغموض، يحجبان عنك ما كنت تطمع فى أن تراه طى عينيها من خفى السرائر، فقلت لقلبى: «عجيب منك يا لائمى أن تكون قاتلى، وتسألنى كيف رضيت أن أكون قتيلاً، فلم يكن لى من حيلة فهذا قدرك، وهذا قدرى».

وعندما أحب أحمد عبدالمجيد فى خريف عمره تلك الملهمة الحسناء المثقفة، أحس أن كل شىء حوله يتبدل، وأن الصلة قد انقطعت بينه وبين ماضيه، وأنه قد بدأ

(١) من أوراقه المخطوطة المطوية/ عام١٩٧٩

يولد من جديد على حياة لا عهد له بها، فاتخذ كل شيء حوله شكلاً رائعاً جميلاً يبهره ويفتنه، مثل الأشياء والأشخاص، والأضواء والألوان، والمشاعر والأخيلة، حتى أنوثة المرأة وسحرها لا يفتنه لأنه ينظر إلى ملهمته كقديسة، فقد كتب إلىّ يقول:[1]

«تختفى أمام عينى أنوثتها، حتى لو نثرتها من حولى نثراً، ولا تبدو لى منها إلا عفة الحركة، وطهارة اللسان ونقاء السيرة والسريرة، حتى قلت فى ذلك مترجماً عن مشاعرى، ومنساقاً وراء صدق أحاسيسى:

تـدللـت فـلـم أغـر ... كـلا ولم ولـن ولا

كـأنهـا مـن طـهـرهـا ... أطـهـر مـن أن تخجلا

وذات يوم رأيتها وقد خلعت عنها ثوب الجلال، ونضت عنها غلالة الحشمة الأصيلة، وكانت بما كانت تأتيه من دلال مجلوب، تعبث بشخص بعينه، لم يكن ليتأثر بما كانت تصنع، وكانت تظن أنها بهذا السلاح الأنثوى الفريد، تصيب منه مقتلاً، ولكن سهمها طاش وأصابنى وحدى، وسرعان ما أفقت من وقعه الأليم ما دمت عالماً بما تقصد، فهى قديسة لا تعبث»!

ومن خواطره الذاتية التى كتبها من وحى ملهمته الحسناء:

«لم يطل مكوثها إلى جوارى إلا ثوان، رغم غيبتى عنها شهوراً طوالاً، ومضت تلك الثوانى الغالية المجنحة دون أن تترك من الأثر إلا مثلما تتركه الفراشة على براعم الأزهار».

وكان يرى أن الحب يسمو فوق كل المشاعر:

«الحب يطفو فوق كل عاطفة ويسمو فوق كل المشاعر ولا يخفى على أى عين بصيرة والمحب الصادق يستمر فى هواه كما يستمر طلوع الصباح كل صباح، دون أن تسأم منه النفوس وقديماً قال عاشق فيمن أحب:

(١) من رسائل الشاعر للمؤلف/ يناير ١٩٧٨

أهى شىء لا تسأم العين منه   أم له فى كل ساعة تجديد؟

وكان يرى أن حبه لها هو حب خالد باق حتى نهاية العمر:[1]

«بحثت عن نفسى فى دارى فلم أجدها، وبحثت عنها عند صحبى فلم ألقها، وسألت عنها الرائح والغادى، فما دلنى أحد ممن سألت:

وكان علىّ أن أقصد من تعلقت بها روحى وقلبى فوجدتها عندها هائمة طائفة حولها، حول من آثرتها من دون العالمين، وهى عنها لاهية تنظر ولا ترى وتسمع ولا تدرك، كما كانت نفسى فى شغل عنى، وكأنها لا تعرفنى.

«ولما أردت أن أصحبها وأنا منصرف، قالت لى نفسى، أذهب وحدك، إننى هنا باقية، إلى أن تنتهى أيامى فى هذا الوجود».

ويصف معاناته فى حبها، وعذابه من هجرها:

«إن خيالها لا يغيب عنى فى صحو أو فى منام، وفى تأمل أو فى غفوة. وفى قيام أو قعود، ولست أدرى إلى أين المفر منه وكيف أنسى الذى لا شىء ينسيه؟

وكان يرى أن حبه لها لا يكفيه، وأنه لا يعنيه فى الدنيا قارئ أو قارئة لما يكتبه من شعر ونثر إلاها، وسيظل يحبها ما دام فى عروقه نبض الحياة، حيث قال فى رسالة لى عام ١٩٧٩:[2]

«أنت تعلم أنى حفى بكل مطرب من القول، جالب للسرور، وإذا بى أرانى كمن أصابه زكام أفقده لذة التلذذ، وانعدم عنده مذاق كل شىء حتى النظم والكتابة، والقول والقراءة، افتقدتها جميعاً، فما أطيق نظماً أو نثراً، وأمسك خيالى عن التحليق، منذ أن غدا لا يطير ولا يسير، وأعرضت عن مواكب الدنيا إذ هى استأذنت فى طرق بابى.

(١) من أوراقه المطوية.

(٢) من رسائله إلى المؤلف/ ١٩٧٩

وعزفت راغباً عن الكثير، راضياً قانعاً باليسير الأقل، وحسبى من الحياة قارئة واحدة، أبثها ما يجيش به فكرى، إنها قارئتى الأديبة الللماحة الوحيدة، التى اكتفيت بها من دون سائر البشر ولست أطمع منها فى أكثر من أن تشرّف قلمى بقراءة ما يسطر، وتكرّم فكرى بما يترجم به عما أحسه نحوها من حنان نابع من قلب أب كليم، لم يبق فى نبضاته إلا ترديد اسمها وكأنه الترتيل، فقد حرم الذرية وحرمته هى الحنان!

وليتنى أقوى على أن أعفيها من هذا الذى أطمع فيه، ولن يسعفنى فى هذا الموقف، إلا أن تخمد حركة يدى عندما يخمد فىّ كل ما يبعث على الوجود، وما أعظم المتنبى فى موقف مماثل عندما قال:

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا   وحسب المنايا أن يكنّ الأمانيا

وكان يرى أن حبها يساوى الحياة كلها ويجعل للحياة مذاقاً ومعنى إذا ما تجاوبت روحه مع روحها:

«يقولون إن الحياة لا تساوى شيئاً ولكن لا يوجد شىء يساوى الحياة»

«وأنا أقول إن الحب لا يساوى شيئاً إذا كان من طرف يحترق، وطرف آخر يسعد بما يرى ولكنه إذا لقى استجابة عفة طاهرة، وتعاطفاً فكرياً يسمو فوق كل هوى وغاية، واستقبالاً رحيماً واسياً، ووداعاً حنوناً مشفقاً، فإنه يساوى الحياة كلها، وكل ما بعد الحياة».

وقد ألهمه هذا الحب العديد من أغاريد الحب والجمال، تتماوج فيها ألوان قوس قزح، وأنغام السيمفونية بكل ما فى هذا الحب من رضا وخصام ولقاء وهجر، وعذاب وحنين.

يناجى شاعرنا ملهمته، فيخاطب عينيها قائلاً:[1]

(١) من ديوان نجوى/ مخطوط

خلع الشباب عليك … أزهى ثوبه
ونثر الربيع عليك … حلو شبابه
فجمعت أزهار … الصبا وربيعه
وكساك خفة … ظله وإهابه
وأنا سلكت … إليك أخطر مفرق
ورضيته … بعقابه وثوابه
ما حيلتى وهواك … نفاذ الجوى
أرضى به … وبناره وعذابه
يا من لها فى … القلب أكرم موضع
ما أهنأ القلب … الذى يزهو به
ومكان خطوك … حيث أنت مقدس
أرتاده ما دمت … فى محرابه
من أجل لحظيك … اللذين تآمرا
أو ما كفاه … القلب من أحبابه
أفديك إن … أشقيتنى أوزدتنى
ألماً فذاك … جزاء فاقد قلبه
إنى تركت … القلب عندك يجتنى
من فضل عطفك … أو قليل نصيبه
صونيه عند … وفائه وولائه
فهو الوفى … وإن أطاح بربه

وفى اللقاء الأول بها وجد فى عينيها السحر والكبرياء والإلهام الذى افتقده طويلا فقال:[1]

وزائرة ردت على ... الروح روحها
فآبت إلى نفسى ... البشاشة والبشر
وأيقظت الأفراح ... منى بعد غفوة
وفى القلب هم ... ضاق من همِّه الصدر
تطارحنى صفو ... الحديث كأنها
حمامة أيك طاب ... من شجوها الفكر
كأن المعانى في ... رشاقة لفظها
جواهر يزهو ... من مفاتنها الثغر
فيرتد عنها الطرف ... يخشى مغبة
فكم نظرة ... أودى بصاحبها الهجر

ثم يصف كيف شده إليها شموخ كبريائها وذكاء قلبها الذى أفصح عنه سحر عينيها النجلاوين:

يلوح لى ذكاء القلب ... من نور عينيها
يصاحبه كبر ... يتيه به الكبر
وساعات سعدى ... فى حياتى قليلة
وبين يديك الدهر ... والقدر والغمر
لدن زرتنى لم ... يقرب النوم مضجعى

(١) من ديوان نجوى/ قصيدة قفانبك/ مخطوط

ولم يدر راق كيف قيدني السحر

وأسلم أمري إن ألح بي الجوى

وأبعث طيفي منذ أن شقَّه الدهر

تمنيت لو قد كان في القلب موضع

لسهميك كيلا يستبد به الغير

قفانبك يا قلبي وعيني فما جرى

على غيرها دمعي ولا همني العمر

وفي القلب حاجات وفي النفس مثلها

وفي العقل نهي ضاق من أمره الصبر

وتصبح آماله في الدنو منها غاية المنى، وأن يسعد بحبها حتى يرى أن لمس النجوم أقرب له من وصالها:

أرى النجم أدنى لي إذا رمت لمسهُ

ودون مغانيها على قربها عسر

فياطيفُ زرها حيث تلقى جمالها

هو القمر المد الذي ما له جزر

فرفقاً إذا ما جاءك الطيف زائراً

بقلبي، فقلبي صار من بعدكم طير

وفي لحظة حزن وأسى يوجه إليها عتاب المحب المعذب الشقي بحبه لملهمته الذي يرجو حنانه ووصلها:[1]

---

(١) من ديوان نجوى/ مخطوط

إذا كنتُ مظلوماً
فكن أنت ظالمى

إذا كان فى الحالين
لابد من ظلمى

فقد كنت أرجو
فى رحابك موضعاً

ألوذ به من هم
لليلى ومن يومى

لدن كان ليلى
أسود الحظ حالكاً

ومذ كان يومى
فى جحيم من الهم

فألقيت نفسى
فى جوارك مبعداً

وألفيت قلبى بعد
جورك فى سقم

وكنت إذا طافت
بنفسى رغيبة

تباعد ما بينى
وبين الذى أرمى

وألقاك تبغى
إن تمنيت بغية

وكل الذى أبنيه
ينهار بالهدم

وكنت، وما زلت
الذى كنت، ظالما

سماؤك مهما طال
بى الهم لا تهمى

حنانيك يا من كنت
بل أنت لم تزل

طلابى الذى أضحى
سراباً من الوهم

وكنت على قرب
المزارات قاسياً

وصرت قصيا
قاصى البر واليم

فإن كنتُ مظلوماً
فكن أنت ظالمى

ولا تخش بأساً من
عتابى ومن لومى

ولا يجد وحياً إلا وحيها، ولا يناجى طيفاً إلا طيفها الذى يسعد روحه، ويبهج قلبه:[1]

أنا فى انتظارك ... منذ كان رجاء

فكأنك السراء ... والضراء

أنا منذ ساعة ... مولدى مترقب

للقاء وجهك ... والمنى أهواء

حتى أطل ... مهند متوثب[2]

من جفن عينك ... بارق وضاء

ولقد رآنى ... واستراح لنظرتى

إن العظائم ... كفؤها العظماء

والسيف يأبى ... أن ينازل هيِّناً

مستضعفاً لكن ... له أكفاء

والله، منذ خلق ... العيون فواتكاً

كانت ضحايا ... فتكها الشعراء

ثم يرى أن قلبه لبى نداء سحرها، لأنها أنس الحياة وخمر السعادة والإلهام رغم عذابه فى حبها:

لباك قلبى ... عندما أيقظته

وسرى إليك ... وفى الهوى إسراء

لما رآك ... خريدة مختالة

---

(١) ديوان نجوى «مخطوط»/ قصيدة «وحيى»

(٢) المهند: هو السيف

أدنـــــــاه مـنـك | تـعـفـف وذكـــــاء
أنــــــت الحــيـــاة | وأنــــت مجــلى أنــسـهـا
والخـــمـــر والأقـــداح | والـــنــــدمـــاء
فـــأتـــيـــت بــابــك | شـــاعـــراً أتـــلـــو الــذى
ألهـــمـــتـــنـيــه وفى | الــعـــيـــون دعـــاء
وتـقـابـلـت نـظـراتـنـا | فى نـــشـــوة
ولـــكـــم تـغـنـت | أعـــين خـــرســاء
كـنـا إذا خـفـنـا | الحـــواســـد نـلـتـقـى
فى نـــظـــرة حـــارت | لهـــا الـــعـــرفــاء
فـيـهـا الحـــنـين وفى | الحـــنـــين رســـائـــل
عـــصــمـاء، يـعـجـز | دونهـــا الــبـلـغـاء
والـشـعـر آيـــة حـبـنـا | الــكـــبرى، وهـــل
بـعـد الـقـريـض | فـصـاحـــة وجـــلاء
ولأنـــت وحـــيـى مـنـذ | أن عـــرف الهـــوى
قـــلـــبى وحـــن | لـعـشـقـه الـرحمـاء
ورنــــين صــوتــك | وقـــعـــه فى مـسـمـعـى
شـــدو الــبـلابـل | فى الــربـى، وغـنـاء
يـــا بهـــجـة الـقـلـب | أخـــطـــرى فى أعـيـنـى
فـــلأنـــت فى لحـظـى | ســـنـــا وضــيـــاء

ويتخيل أن نظرات الحب والنجوى بينهما تتكلم بلغة الحنين والحب، فملهمته

هى بهجة القلب والروح والفؤاد: ويجعل من طيف المحبوب معبده المقدس الذى يرتل فيه نجواه وأغاريد رغم صدودها ودلالها[1].

شاركتنى فيك العيون وقلبى	لم يشاركه فى الهموم عداى
أى هم أشد من أن أعيش	مشوقاً على فراش ضناى
وأرى حولك العيون عطاشا	يتقاسمن فى ازدحام دواى
ضاع لحظى بين العيون وأمسى	يشتهى الطيف حين عز مناى
وأنا الصادق الوداد إذا حال	محب عن الوداد خلاى
كل حسن يفنى فتمضى معانيه	كأن لم يكن طلاب سواى
غير أنى أرى لحسنك معنى	خالداً، ما غاص فى مرآى
كلما عب فى جمالك لحظى	ظل روحى معطشا ولهاى[2]
ويرى فيك ما يراه اشتياقى	حيث يشقى معذباً برضاى
أنت فى معبدى نشيد وجرس	علوى اللحون يروى أساى
أنا إن غرت لا أغار على حبك	إلا من لهفتى وهواى
حسبك اليوم غيرتى من عيونى	لهف نفسى فكيف من أعداى
آه لو أعلم المخبأ من أمرى	وأدرى النصيب أو منتهاى
إننى إن قدرتُ، عشت قرير العين	أمضى على هدى من نهاى
غير أنى فى حيرة والذى يبقى لك	الحب حيرتى وجواى
وسواء لدىّ عَيْشى سعيداً	أو شقياً، ما دمت أنت هواى

(١) من ديوان «نجوى شاعر» قصيدة خلود.

(٢) لهاى: اللهاة أى الحلق.

ويظل يعانى من هذا الحب الذى أخذ من عينيه النوم وأبعد عن قلبه الطمأنينة، وحول نهاره ليلاً وليله نهاراً، فكتب يشكو عذابه وضناه:[1]

كم أضـل الطريق خطوتى	فلم أعرف يوماً إلى السواء سبيلا
إن بـدا لى أنـى أمنت لنور	وتلمست منه ضـوءاً نحيلا
نصب التيه من حواليك سداً	لا شبيهاً لليله أو مثيلا
لا يبالى إن جاز غايته القصوى	فـكـان المـضـل والتضليلا
أنت عرفته الطريق إلى سد	طريقى إليك ميلاً فميلا
فأنا منك تائه فى البوادى	سال وعيى على الطريق مسيلا
كلما رمتُ فى رحابك ضوءاً	كنت أنت الظلام والمجهولا
وكأنى فيها ابتغيت وأرجو	مستحيل أو أطلب المستحيلا

أغاريد الرحيل

كانت السنوات الخمس الأخيرة فى حياة أحمد عبدالمجيد «١٩٧٥-١٩٨٠» فترة معاناة وضنى تقلب فيها على أتون من القلق والشك والسهاد، بسبب هذا الحب المحروم اليائس الذى جاءه فى خريف العمر، والذى كان ينشد فيه السلوى وتعويض ما فاته من الاستمتاع بالأبوة التى حرم منها كان يعيش هو والسيدة زوجته بشقته بشارع قصر العينى، وأذكر أنه قال لى ذات مرة والمرارة تغمر صوته:

«يبدو أن الله قد عاقبنى على أننى بطرت على الأولاد، فلم أرزق بولد يؤنس حياتى فى سنوات عمرى الأخيرة»!.

وعندما دخل الحب حياته عام ١٩٧٦ نشد فى هذه العاطفة الحب الروحى،

(١) من ديوان نجوى «مخطوط»/ قصيدة ضليل

والأبوة لها، لكن تقلب أطوار الحبيبة، وإحساسه بأنها لم تفهم عاطفته الأبوية الفهم الصحيح، وغيرته التى كانت تستبد به بسبب طبيعة عمل الملهمة التى كانت تجعلها تتعامل مع العديد من الشخصيات كل ذلك أثر فى نفسيته وجعل أعصابه مشدودة، فى تلك الحقبة، وأذكر أننى تعرضت منه لإحدى تلك الانفلاتات العصبية فى فترة معاناته وإن كان قد اعتذر فيها بعد عن ذلك.

وكان كثير الشكوى والأسى على ما يعانيه من تقلب أطوار ملهمته بجمالها الشامخ الرصين فكتب يقول لى فى إحدى رسائله:(١)

«كلما عانيت من حب من أحببت، وصادفنى منها ما كنت على ثقة من أنى ملاقيه، أعود من لقائها وأنا مهيض الجناح، كسير الخاطر، شارد الفكر، متجدد الأمل فى لقاء قد يكون أكثر حظاً، كالمقامر الذى يتمنى كسباً بعد كل خسارة، ثم أرانى أبحر فى تيار كلمة عميقة رقيقة مفادها: «أزكى الورود أكثرها شوكاً»!

وكتب يستجديها الوصال والحنان:

ليلاى.. ليتك ليلة	تسقينني خمر الرضاب
يا من سعدت بقربها	وأضر بى لمع السراب
لا تعذلينى إننى	شيخ تمرس بالعذاب
يشكوك ما صنع المشيب	به وما صنع الشباب

وعندما أضنته تلك العاطفة وعذبت قلبه المفتون انفرد يحاور قلبه وقد أرقه هذا الحب وسهده فى هذا الحوار الصريح الملئ بالشجن والأسى:(٢)

(١) من رسائل الشاعر للمؤلف/ نوفمبر ١٩٧٩

(٢) من أوراقه المطوية/ ١٩٧٩

هو: أما كفى يا قلب ما تلاقى.. تعال معى نعود من حيث كنا نعيش، على ذكريات غدت طيوفاً وأشباحاً، تؤنسنا حينا، وتؤرقنا أحياناً، ولكنها لم تكن بعد أن تولى زمانها، وخمدت نارها، تحرق بلظاها حشاشتى، وتأسر فكرى، وتسلب الكرى من عينى[1].

قلبه: يا صاحبى.. أنا لا أنكر أننى أتعبتك معى، وحمّلتك فوق ما تطيق. ولكن، ألا تثق فى أن قدرى هو قدرك وأن مآلى هو ذات مآلك فى اللوح المسطور، حكايتنا مدونة بأمر علىًّ قدير، نعيشها سطراً سطراً لا مفر من حكمها جملة وتفصيلاً.. كل حركة نأتيها وكل كلمة نحكيها، وكل قصة نرويها. وكل نظرة نتلقاها ممن همنا فى هواها، راضية كانت أو غافلة مرحبة كانت أو ساهمة، جميعها فى أم الكتاب قدر مسطور محتوم، فمن أين المفر وإلى أين المصير؟

هو: لا أنكر أحكام القدر.. ولا أنكر ما هو مسطور لنا أن نلاقيه، ولكننى أخشى عليك وعلىّ من توالى وتعدد ألوان هذا العذاب.

لم نعد يوماً من ملاقاتها إلا خفيضى الجناح، كسيرى الخاطر، زائغى النظرات من بعد حنو المواسى على اللهيف العفيف.

ولم يكن ذلك شأنك مع من هويت أو تعلقت من قبل قل حتى انفصم العقد بحكم ما كان مسطوراً ومدوناً.

ولست أعنى أنك كنت أسعد حالاً، لكنك كنت أقل شقاءً، وكنت أنا الآسى، والمواسى، ولست أنسى فى موقفنا هذا كلاماً عظيماً، مفاده: إذا عظم المطلوب قل المساعد، وهكذا فلن تجد غيرى من يمد لك يداً، لا ممن هويت إذا هويت، ولا ممن

(١) من أوراقه المطوية/ ١٩٧٩

يرى ما أنت فيه من بلاء، إن شكوت لصديق، لا يسعفك إلا بقوله:

صار جَدّاً ما لهوت به		رُبّ جد جره لعب

قلبه: إننا نلف وندور من حيث بدأنا وصرنا كقارب فى بحر صاخب هائج فقد ربانه مجدافه، وتحطمت دفته، فاختل توازنه وراح يترنح ويدور يمنة ثم يسرة وهو لا يلوى على شىء، وقد افتقد المعين فأعياه نداء النجاة، بعد أن أوغل القارب وصاحبه فى ذلك البحر الطامى، الذى لا يرى له شاطئاً، ولا يبصر منارة تهديه، إن استطاع التقدم إلى بعيد أو قريب والموج لا يرحم الغريق!

وإنى لأعجب من أمرك وأنت الحكيم الأريب، أم تدرك، أم أنك تتجاهل، أن الغيد من النساء لهن لسعات النحل وشهده الشهى.

هو: نعم يا قلبى.. ما رأيتك مثل اليوم بليغاً فصيحاً ولكن هيهات أن تجدى فصاحة أو بلاغة فيما نحن فيه من عناء ونصب.

أنا مدرك لكل هذا وفوق هذا، ولا حيلة لنا فيما قسم وقدر إلا بالصبر، وإن كنت من المؤمنين بأن الصبر كلمة عسيرة النفاذ، عديمة الجدوى، غير مشمولة بالتحقيق:

ما أضيع الصبر فى جرح أداريه		أريد أنسى الذى لا شىء ينسيه

وأنت يا قلبى، تفتحت مذ رأيتها، تفتح الزهرة لأنداء الصباح الصافية النقية، وكان ذلك أمراً مقسوماً ومقضياً ومصيبتى معك يا قلبى فى هواها، أنها سرت فى دمى، وجرت فى مسمعى، وتسللت إلى كل مشاعرى، فما رأيت زهرة إلا تصورتها، ولا غصناً إلا تمثلت تثنيها، ولا نغماً حلواً أغناً إلا شاقنى الحديث إليها، ولا نسيماً معطراً، إلا تنسمت فيه ذكراها ولم يسعنى إلا أن أقول لخيالها، يوم أن تسلل منها وزارنى فى فجر ليل طويل أمضيته ساهراً:

أيهـا الساكن عينى ودمـى   أين فى الدنيا مكان لست فيه؟!

القلب: ما دمت عالماً ببدايتنا ونهايتنا، ففيم تساؤلك ونصحك عما نصنع؟ وفيم رجاؤك فيمن لا رجاء من وراء ما ترجوه؟ دعنا نمضى فيما قسم لنا ولا مهرب مما خطه القدر؟ وإذا فزنا بلقاء، نعمنا فيه بنظرة أو لفتة، أو همسة، أو بسمة، إن هبط عليها جود أو لمست شغاف قلبها رحمة، فذلك فضل كبير، بعد عسر عسير، يمدنا بما يضمن لنا من العيش فسحة تمتعنا بما فيها من نشوة، وهناء نصطنعه، ما دام قد عز ما نتمناه، وحل بنا ما لا حيلة لنا فى قضائه:

وكيف أهرب ممن عاش فى بصرى   فأينما التفتت عينى تلاقيه

وبعد أن أضنى الوجد أحمد عبدالمجيد، وعذبه الهوى، ولم يجد الصديق الذى يواسى قلبه المضنى، وأصبح يشعر كأنه ملاح فقد قاربه المجداف وسط بحر صاخب هائج لا يرحم لم يجد أمامه إلا أن يوجه ابتهالاته إلى الله فى ساعات صفو روحى، بكل ما جبل عليه من إيمان وقناعة ورضا بالمقسوم:[1]

يــا إلهــى أنــت تــدرى   مــن وراء الـغـيـب أمـرى

فــاسـتـوى عـنـدك سرى   واسـتـوى عـنـدك جهرى

إن أكــن أذنـبـت حسبى   أنــنــى أعــلــم ذنـبـى

وإلى ســاحــك أمـضى   والــرضــا يـغـمـر قلبى

يـسـبـق الـعـفـو سـؤالى   ورجــائــى وابـتـهـالى

إن عــفــو الله بــاب   واســع الــرحـمـة عـالى

كـن شفيعى يـا رسـول الله   يــا نــعـم الـشـفـيـع

---

(١) من ديوان «نجوى» مخطوط/ قصيدة «ابتهال»

نحن من عز الشفاعة　　منك فى حصن منيع
كيف أعصى من هدانى　　خير شعرى ورعانى
كيف أعصى من حبانى　　كل ما ندّى لسانى
إننى يا رب إنسان　　وما كنت ملاكا
أنا من طين وإبليس　　ملاك وعصاكا
فى حنايا الصدر قلبى　　ساجد يعبد ربى
نبضه ذكر وتسبيح　　وتكفير لذنبى

وكان أحمد عبدالمجيد برغم سماحة نفسه، وعمق إيمانه وقناعته بقدره، يشعر أن سوء الحظ يلاحقه كما لاحق من قبله ابن الرومى وعبدالحميد الديب، فقد عاش ما عاش أكثر من ثلاثين عاماً كدبلوماسى فى شتى البقاع والأصقاع ولم يكسب مالاً من وراء ذلك، بل كان يبيع من أملاكه ليظهر بالمظهر اللائق بوظيفته الدبلوماسية.

وعاش حياته بلا ذرية لم ينجب وعذبته وحدته وافتقاده للحنان فى سنواته الأخيرة.

ورغم عطائه فى مجال الأغنية باءت كل محاولاته فى سنواته الأخيرة أن يتغنى بكلماته أحد كبار المطربين بعد أن تغنى الموسيقار محمد عبدالوهاب بأروع أغاريده فى العشرينيات بل كتب قصيدة رائعة لأم كلثوم لتغنيها لكن لم يتحقق أمله.

وقد أخرج على المعاش وهو مندوب مصر بجامعة الدول العربية فى مطلع عام ١٩٦١ وهو فى أوج عطائه وحيويته قبل موعد إحالته للمعاش بخمس سنوات لأنه كتب مذكرة سياسية للسلطات يبدى فيها وجهة نظره بصراحة فى السلبيات التى تعترض نجاح الوحدة العربية.

وعاش سنواته الأخيرة منذ ذلك الحين فى الظل لا يجد منبراً ينشر فيه خواطره

وأشعاره، ولا يجد من يغنى كلماته الرائعة إلا بضع أغنيات غناها محمد عبدالمطلب «السبت فات» وعادل مأمون «ميعاد» التى يقول مطلعها:

كل ما بتخلف ميعاد قلبى متلهف عليه
كل ما يهون البعاد اللى خد قلبى عليه

حتى عندما أحب لم يجد فى هذا الحب الرى الذى افتقده، والحنان الذى يبحث عنه بل تعذب طويلاً وتقلب على نيران الصدود والحرمان والغيرة وأفانين حواء فى التقلب والمراوغة.

وكان آخر لقاء صحفى قبل رحيله بيوم واحد أجرته معه الكاتبة الصحفية سلوى العنانى ونشر الحوار بعد رحيله.

وقد كتبت تقول وهى تغالب مشاعر الحزن والأسى لرحيله المفاجئ:[1]

«حادثته تليفونياً قبل وفاته بيوم واحد لأستكمل بعض المعلومات فى الحديث الذى كنت قد أجريته معه.. وأحسست الأسى فى كلمات شاعر الهمسات وذكر لى كيف أغفلت المذيعة اسمه وهى تقدم أغنية «كلنا نحب القمر» أثناء احتفالات عيد الفن الأخيرة وقال لى: الناس دائماً نسيانى.

حاولت أن أخفف من آلام الرجل الذى تعودناه رقيقاً كشعاع شمس الصباح، يملأ الحياة حوله دفئاً ونوراً لم يترك وراءه فى الحياة من يحملون اسمه ولكنه ترك بسمة حب واضحة فى قلب كل من عرفه من أصدقاء أو أبناء أو محبين.

عرفت اسمه أول ما عرفته من خلال أحلى ما غنى محمد عبدالوهاب «كلنا نحب القمر.. والقمر بيحب مين» و«خايف أقول اللى فى قلبى» و«مريت على بيت الحبايب»

(١) الأهرام/ ١٧ أكتوبر ١٩٨٠

و«حسدونى وباين فى عنيهم» و«مين عذبك بتخلصه منى» و«بالك مع مين» ولم أكن أعرف أن أحمد عبدالمجيد صاحب هذه الأغنيات الرقيقة هو نفسه أحمد عبدالمجيد صاحب ديوان همسات وهو فى نفس الوقت السفير أحمد عبدالمجيد الذى تنقل بين مختلف قارات العالم سفيراً لمصر ثم مندوباً دائماً لمصر فى الجامعة العربية حتى عام ٦١ حيث ترك العمل الحكومى وعاد إلى هوايته القديمة.. الكتابة والشعر.

وعبر رحلة السنوات الخمس والسبعين.. قدم أحمد عبدالمجيد للمكتبة العربية ثمانية عشر كتاباً بين مؤلف ومترجم تتنوع موضوعاتها بين دواوين الشعر والقصص والمسرحيات المترجمة والدراسات الدبلوماسية وأبحاث فى تفسير الأحلام.

وحديث صاحب «رحلة مع الظرفاء» ابتسامة طويلة.. وثقافة رفيعة.. وصمته تأمل عميق وفكر أصيل، قال لى:

«كان لقائى بعبدالوهاب صدفة. عن طريق أحد أصدقائى فى نادى الموسيقى الشرقى سنة ١٩٢٥. ولم أكن أتصور أن هذا الكلام قابل للتلحين. فقد كنت طالباً فى الحقوق وقتها. وكنت أسجل يومياتى وخواطرى فى كلام منظوم لمجرد التسلية وفى هذا اللقاء الأول أخذ عبدالوهاب منى «خايف أقول اللى فى قلبى» و«كلنا نحب القمر» وبعدها قدمت مجموعة أغان. وغنى عبدالوهاب منها حوالى عشرين مع مجموعة أخرى لمطربين آخرين أشهرها أغنية عبدالمطلب «السبت فات والحد فات» ولم يمنعنى من الاستمرار فى كتابة الأغانى إلا عملى فى النيابة.. فقد تصورت إنى أقف فى المحكمة أستجوب المتهم فيرد «خايف أقول اللى فى قلبى». كنت قد واصلت كتابتى للشعر الفصيح الذى بدأت معه منذ سن مبكرة جداً.

وأمنيتك التى لم تتحقق عبر رحلة هذه السنين؟

- كانت واحدة من أعز أمنياتى أن تشدو أم كلثوم بأغنية من كلماتى.. ورغم أنى

كنت من أصدقائها إلا أن الله لم يشأ أن يحقق لى هذه الأمنية ورحلت أم كلثوم ورحل معها آخر أمل لى فى تحقيق هذا الحلم.

ما رأيك فى مستوى كلمات الأغنية العربية الحديثة خاصة وأنك كنت رئيساً للجنة النصوص فى إذاعة القاهرة لفترة غير قصيرة؟

- لا ينكر أحد أن هناك عدداً كبيراً من المؤلفين الشباب الذين يضيفون كل يوم أثراً مضيئاً من الكلمات الرقيقة منهم: صلاح جاهين. والابنودى ومجدى نجيب. ومأمون الشناوى وغيرهم. إلا أن هناك عشرات المدعين الذين استطاعوا التسلل إلى الميدان وأشاعوا بين الجمهور حالة فقدان الذوق فظهر مجموعة من الذين استغلوا حب الناس لكل ما هو غريب وخفيف فقالوا

«أى كلام» فزادوا من انخفاض مستوى المستمع وأذكر أنى تقدمت «من باب المرح» باقتراح للإذاعة وقت أن كنت رئيساً للجنة النصوص بها لصرف «بدل عدوى» لأعضاء اللجنة حماية مما كان يصلنا من سطور يسميها أصحابها شعراً غنائياً وهو كلام لا يمت للشعر بصلة، فهو بلا وزن ولا قافية ولا موسيقى وليس به حتى ماء الشعر.

أنت صاحب مجموعة من أحلى وأرق وأعف أغانى الحب.. فأنت الذى قلت:

فأصون قلبى ذل سؤلك ... أن أراك فلا أراك
هذا نصيبى من هواك ... وصنع ما نسجت يداك

وأنت القائل:

وأدينى شايف بعينى ... كل اللى شايفه بعينه
والنسمة بينى وبينه ... تنقل لى شوقى لعينه

- الحب دفعات ربانية.. وهو علاقة قدسية والله هو الذى يدفع الإنسان إلى الحب.. هذا إذا كان حباً طاهراً.. وهناك قصة خيالية من الأدب اليونانى القديم تقول إن زيوس رب الأرباب خلق الناس أنصافا.. وراح كل نصف يبحث عن نصفه الآخر إلى أن يلتقيا.

وقد يكون هذا اللقاء زواجاً أو حباً أو عشقاً.. وربما لقاءً فكرياً..

كيف تلقيت خبر هبوط الإنسان على سطح القمر وأنت القائل يوماً..

كلنا نحب القمر   والقمر يحب مين

حظنا منه النظر   والنظر راح يرضى مين

- فى الحقيقة كانت صدمة لى.. فقد خيبت الأقمار الصناعية والصواريخ أحلام الشعراء وحطمت خيالاتهم.. ولكننى لا أظن أن أحداً سيحاول أن يكتشف بديلاً لهذا المعلق فى فضاء الكون يلهمه شاعريته وخياله.. ربنا يعوض علينا.. رغم هذا.. وبعد انقطاع ٤٠ عاماً عن كتابة الأغنية.. عدت أكتب من جديد وغنت لى عفاف راضى أغنية للقمر.

لى ملاحظة.. هى أن الطابع الدبلوماسى يغلب على اجاباتك ويبدو أنك حريص على صداقة الجميع و«خايف تقول اللى فى قلبك»؟

- طبعاً صداقة الجميع مهمة بالنسبة لى.. ولكن لا تنسى أن المهنة أحياناً لها حكمها.. وأحياناً أجدنى «خايف أقول اللى فى قلبى».

فالدبلوماسى غير الفنان.. الدبلوماسى يتحدث باسم حكومته ويحرص على ألا يغضب منه أحد، أما الفنان فهو يعبر عن نفسه وأفكاره الذاتية بكلماته الخاصة بعيداً عن أى قيد.. حتى قيود الزمان والمكان.. بل وقيود الواقع التى كثيراً ما يحطمها محلقاً

فى عالمه الخاص.. وطبعاً لا وجه للمقارنة بين القيود الدبلوماسية وحرية الفنان.. ولكن الحمد لله.. أثرت الدبلوماسية على علاقاتى الشخصية ولم تؤثر على روح الفنان فى داخلى.. فأنا مازلت صادقاً فى عواطفى وكلماتى.

كان من الصعب أن أنهى حوارى مع صاحب أجمل كلمات الحب وكان سؤالى الأخير..

ما هى أحب أغانيك.. وبلغة الإذاعة «تحب تسمع إيه»؟

خايف أقول.. بصوت فيروز.. ولا تتصورى سعادتى وهى تشدو بها أثناء وجودها فى القاهرة

ولم تلتفت إليه الإذاعة ولا التليفزيون بإجراء حوارات معه، وعندما فكرت الإذاعة فى تسجيل برنامج عن مشوار حياته ليذاع فى البرنامج العام رحل عن الحياة فى نفس اليوم الذى ذهبت إليه مُعِدة البرنامج فى بيته، ولذلك قصة عجيبة تصور تصاريف القدر أدع الصحفية سلوى جمجوم التى كانت تعد هذا البرنامج ترويه تحت عنوان «لقاء لم يتم» قالت فيه:[1]

«مين عذبك» «بالك مع مين يا شاغل بالى» «كلنا نحب القمر» «خايف أقول اللى فى قلبى» وحوالى عشر أغانٍ أخرى من أجمل أغانى الموسيقار عبدالوهاب القديمة، كلما سمعناها مع اختلاف أجيالنا كلمنا ازددنا حباً لها، وشعرنا بأصالة الفن مجتمعة فى الكلمة والموسيقى والغناء، وللأسف ان الإذاعة كثيراً ما تتغاضى عن اسم المؤلف الذى هو فى الحقيقة بكلماته العظيمة مصدر الإلهام للموسيقى وربما لأنى من جيل لم يعاصر هذه الأغانى فى بدايتها، فقد عرفت بالصدفة أن هذه الأغانى العظيمة

(١) مجلة الكواكب/ ١٨ أكتوبر ١٩٨٠/ سلوى جمجوم/ لقاء لم يتم

لعبدالوهاب من تأليف فنان عظيم هو الشاعر أحمد عبدالمجيد.

ومع شوق عظيم للقائه كى أقدمه للقارئ كشاعر من أعظم مؤلفى الأغانى وفى محاولة لعمل تحقيق صحفى معه اتصلت به فى التاسعة صباحاً ودار الحديث التالى:

- أحمد بك عبدالمجيد موجود؟

- أيوه أنا أحمد عبدالمجيد.

- أنا «.....» وأريد أن أجرى معك حواراً عن الأغنية المصرية بجميع تفاصيلها. كذلك أريد أن أستعرض مراحل كفاحك كى أستفيد منها فى برنامج مشوار حياتى الذى أقوم بإعداده للإذاعة؟!

شىء عظيم والله يا ست سلوى ولكن مواعيدكم وحشة بتقولوا حتيجوا وما بيحصلش فأجيبه لأول مرة حتعرف صحفية مواعيدها زى الساعة، يوافقك الساعة السادسة مساء اليوم لأنى مضطرة أسافر العريش؟

- وهو كذلك أنا فى انتظارك.

وشعرت فى نبراته بالعتاب الشديد للصحفيين والإذاعيين وكان أول وأخر ما سمعت من الشاعر أحمد عبدالمجيد.

ففى نفس اليوم وفى الساعة السادسة تقابلت أنا وزميلى المصور على باب شقته، وخرجت سيدة فاضلة تتشح بالسواد وأبلغتنى بالخبر المفجع فلقد أخلف هو ميعادى وذهب لمن لا يستطيع أن يخلف ميعاده.

لأول مرة فى حياتى الصحفية أمر بهذه المحنة وتماسكت وأتممت اللقاء مع زوجة الراحل العظيم ومن بين كلماتها أدركت أهمية دورها فى إحساسه بالجمال والخير. وفى الوجود. وبإيمان شديد أحضرت لى أوراقه وفيها آخر ما كتبه استعداداً للقائى وكانت

هذه المفاجأة ففى وريقات صغيرة كتب ملخصاً لمشوار حياته أنقلها حرفياً وبأسلوبه.

«وفقاً لمثل إنجليزى مشهور «النشاط يبدأ بعد الستين» فأمنيتى أن أحقق ما حالت الوظيفة دون تحقيقه وقت أن كنت أعمل بالنيابة العامة أو بالسلك الدبلوماسى فقد كنت أصبو إلى صياغة الأغنية كما سبق ذلك - وكنت أهفو إلى جمع ذكرياتى فى كتاب، وكنت أرنو إلى أن أكتب فى كل اهتماماتى بدءاً بالسلك الدبلوماسى الذى كان يطغى على كل شيء عدا كتب «أضواء على الدبلوماسية» وسندباد دبلوماسى وقناصل الدول وأبحاث عن مشاكل سياسية عالمية كمشكلة برلين أو المضايق. ثم الكتابة للإذاعة فى البرنامج الثانى عن الدبلوماسية لدى مختلف الدول.

ولكتاب أضواء على الدبلوماسية قصة مع الأستاذ الكبير السيد بدير.

كانت الأغنية والمسرح الغنائى من أكثر المسائل التى تشغل بالى وتستأثر باهتمامى ومن هنا بدأت فى جمع مواد كتاب «لكل أغنية قصة» استعرضت فيه الأغنية والمسرح والتلحين والغناء فى مصر.

كذلك كان الشعر منذ الخامسة والعشرين من عمرى من اهتماماتى. ووجدت فى الوقت براحاً متسعاً للقراءة فى دواوين القدماء والمعاصرين ثم كتابة ما أتأثر به ويؤثر فى عاطفتى ووجدانى فألجأ إلى النظم وهكذا وجدت السبل مفتوحة أمامى لا جمع ما كنت أنظمه وأتركه مدوناً فى لوحات وكراسات خفت عليها من الضياع فبادرت بطبعها فى ديوانين صدرا وديوانين آخرين تحت الطبع.

كان أدب الرحلات من أشد فروع الأدب جذباً لى، كما أننى كنت من جانبى محباً «شغوفاً بهذا الفن الرفيع» ووجدت أن رحلاتى بحكم وظيفتى الدبلوماسية وبوضعى من المتعين عليهم أن ينطلقوا لا إلى الدولة التى أوفد إليها. لأمثل بلدى فيها، بل كنت أتوقف للارتحال إلى ما جاورها من بلدان كنت فى فلسطين وشددت

الرحال إلى السعودية وإلى لبنان وإلى سوريا.

وإذا كنت فى ألمانيا شددت الرحال إلى فرنسا وهولندا وبلجيكا والنمسا وهكذا فى كل ما حللت به من بلدان حتى تجمع لى قدر كبير من الذكريات.

ان هذه الرحلات لها الفضل فى فهم جوانب كثيرة من الحياة الإنسانية، وهكذا تسنى لى أن أصدر كتاب سندباد دبلوماسى. وشغلت مرات عديدة منصب القنصل حتى اكتملت لى معرفة علمية وعملية بكل ما يتعلق بهذه الوظيفة مما حملنى على أن أكتب كتاباً اسمه «قناصل الدول».

أما الترجمة فقد كنت شغوفاً ومحباً لها وتسنى لى أن أترجم لمؤسسة فرانكلين ثلاثة كتب ضخمة أولها عن الدبلوماسيين والدبلوماسية، والثانى عن فرنسا شعبها وأرضها وثالثها حقبة من تاريخ قدماء المصريين فى أسرتين فى صورة قصة طويلة بعنوان «تمثال المحارب» ثم ترجمت لدار الهلال كتاباً جمعت فيه قصصاً من الغرب قصيرة وطويلة.. بعنوان «ملك هوايته جمع الساعات».

وكنت فى نشأتى محباً للكوميديا المكتوبة والممثلين والساعية بأرجلها بيننا فى الحياة فى صورة الناس وأعمالهم وعلاقاتهم وما يتخلف عن ذلك من مجون ظريف ضعيف مهذب، وهكذا تسنى لى أن أكتب كتاباً أسميته «رحلة مع الظرفاء» جمعت فيه بعد دراسة فلسفية للضحك والمجون، كل، ما يتعلق بالكوميديا فى الشرق والغرب وأعلام النكتة وأئمة الفكاهة.

ولما كنت من القارئين فى الكتب التى تبحث عن الأرواح والأحلام بعد مراجعة أكثر من عشرة كتب فى الموضوع فقد ألفت كتاباً عن عالم الأحلام.

بين الحين والحين منذ تقاعدى عام ١٩٦١ والإذاعة والتليفزيون يتفضلان

بدعوتى لإلقاء حديث أو حضور ندوة، وقد التزمت بأن أعد نفسى قبل الحديث إعداداً كاملاً حتى لا أقول لغوا الناس فى غنى عنه.

والتأمل عند الكبار هو قراءة متصلة، فأنا إن جلست فى حديقة أو على شاطئ النيل سرحت بعقلى وبصرى وكل أحاسيسى إلى صنع الله لنتأمل مما أمرنا خلقه وإبداعه. وكان المصور الهولندى فإ جوخ لا ينقل نقلاً كاملاً من الطبيعة فما يراه تجسيداً ولكنه ينقل ما يختزن فى ذاكرته من الطبيعة نفسها من مناظر رآها واستوعبها فيعكسها على ما يرسم ليس طبقاً لما رأى ولكن تطبيقاً لما أحس به.

والعمر الطويل كثير العطاء وطويل النفس - نضرب مثلاً بجيته الذى كتب أروع ما كتب من الشعر بعد الثمانين وبرناردشو كانت أعماله التى لا تزال حية نابضة بالحياة بين السبعين والتسعين والعقاد الذى ترك أكثر من مائة كتاب. وتوسكانين الذى له قصة عميقة السخرية بمن يقلل من قدرة كبار السن عندما طلب منه مدير المسرح الذى كان يقود الأوركسترا به بمناسبة بلوغه الثمانين وإقامة حفلة لهذه المناسبة توقيع عقد لسنة أخرى فرفض فقال المدير هل أفهم أنك لا تستطيع أن تعمل عاماً آخر.

فقال توسكانين ساخراً بل أريد عقداً بعشر سنوات.

وقد يكون السن المرتفع حافزاً ودافعاً لصاحبها فى باب التحدى للجيل الجديد. أن يحسن ما يعمل ليتفوق وينجح فيما يفشلون فيه ولم تكن الأمراض يوماً عائقاً عن عمل كبار السن فإنهم يروون أن الفيلسوف شوبنهاور الشهير بتشاؤمه كان يراسل صديقاً أديباً معروفاً تخصص فى أدب شوبنهاور وقد لاحظ هذا الصديق أنه فيما احتواه من مضمون وأفكار وفلسفة وأسلوب أقل مستوى مما كان يلاحظه فلما بعث بملاحظته هذه لشوبنهاور أجاب عليه بكتاب جاء فيه: «قمت فى صباح ذلك اليوم الذى حررت إليك فيه هذه الرسالة وأنا أشعر بصحة دافقة وتلسمت ألماً واحداً أو

داء مما كنت أشكو فلم أجد فجاءت كتابتى إليك على مثل ما رأيت وشوبنهاور هذا متشائم إلى حد أن قال: إن الحب وردة والمرأة شوكتها. ولعله الوحيد الذى آمن بهذا ولعلى لا أنسى أننى نشأت عليلاً وقضيت حياتى وشبابى وفتوتى وأنا والأسقام من عوادى. ولما بلغت الشيخوخة وجدت إنى بالاعتدال والخوف الدائب فى كل نسمة أو حتى بسمة فى خدمة تصحيح ما كان معوجاً فى صحتى. وقد كتبت أيام أمراضى ثنائيات نشرتها فى ديوان «أوراق الخريف»:

ضاع عمرى على وساد سقامى فهب داء أراه بالجسم هائم

ولذلك فليست العبرة فى أن تعيش طويلاً ولكن صحيحاً حتى تستطيع أن تعمل وتقاوم.

كانت هذه الكلمات آخر ما كتب الفقيد الراحل استعداداً للقائى.. ولعل خير ما اختتم به الكلام هو ما قاله عن الرسول ﷺ:

خير البرية حسبى أننى نفر
إلى دينك الحق مشفوع له الزلل
الخير والبر قاما يوم مولده
واليوم عيدك بدء الخير والأمل

***

ومضت حياة أحمد عبدالمجيد خلال العام الأخير من حياته عام ١٩٨٠ يكابد اللوعة، والحرمان، والظمأ، للحب الصادق، والحنان الدافق، والقلب الرحيم الذى يواسيه ويخفف عنه.

لقد أعجب بملهمته المثقفة بجمالها الشامخ وحديثها العذب الطلى، وبذكائها

وأنوثتها الغامرة فأحس أن تأثيرها قوى فى كيانه، وخيل إليه أن كل ما حوله ينطق بحديثها ويتجسم فى صورتها، فى يقظته ومنامه.

استولت عليه وتمكنت منه، فسهر وسهد، وغار، وغضب من صدودها وبعدها عنه، لأن ظروفها الاجتماعية حتمت عليها التحفظ لأنها زوجة وأم تعيش فى مجتمع محافظ رغم ثقافتها وسعة أفقها، لكنه كان يأمل أن تملأ حياته وتعوضه سنوات الجفاف والحرمان بعد أن أحيل للتقاعد، وتفهمه كأب افتقد الأبوة ويحتاج للحنان والعطف والحب الصادق، وفى وسط عذابه، وسهاده وتخبطه حاول أن ينساها ويتحرر من حبها الغلاب ويقهر ضعفه حيالها، لكنه كان ينهزم أمام طيفها، وهمسات صوتها الذى كان يطارده فى صحوه ومنامه، فينتابه ما يشبه الصداع والاحباط، فيمسك بقلمه ليكتب قصائد يبثها فيها مشاعره، فمرة يجعلها ملاكاً سامياً وطيفاً نورانياً يملأ حياته نوراً وبهجة، فيستعذب عذابه فى حبها وضناه فى صدودها وإعراضها عنه، ومرة أخرى يئن بالشكوى من تعذيبها له وتنكيلها بأعصابه، وفى كلا الحالين كان مستسلما لطيفها، لا يعرف الراحة ولا السلوان!

ولم يستطيع هذا القلب الحساس الرهيف أن يصمد طويلاً أمام هذا الصراع الحاد الذى دمر أعصابه وأنهك قواه، وجعله كالطائر الجريح الذى يتخبط فى شراك أوهام الحب وسرابه لقد عذبه هذا الحب ومزقه، فتناثرت شظاياه قصائد شجية آسية مملوءة بالوجد والهيام والعذاب، لكن طبيعة حواء بتلونها لم تدرك أن مثل هذا القلب الحساس الصادق لا يستطيع تحمل آثار المناورة، تلك المناورات والمداورات وفنون الدلال، فكانت الحيرة وكان الشك، ثم كان هذا الانهيار الكبير ففارق الحياة وهو مكلوم القلب، حزين الروح، معذب النفس، فسرعان ما انهار هذا القلب العاشق وفارق الحياة فى ١٠ أكتوبر عام ١٩٨٠ وعلى شفتيه ابتسامة صافية وكانت آخر

همساته قبل أن يودع هذه الحياة إلى الملهمة التى عذبته وأضنته:

أنـا لست أطمع فى فكاكى ... مـن شـبـاكـك أو أذاك
وعـلام والـدنـيـا تمـد إلىّ ... أسـبـاب الهـلاك

وبعد رحيله وجدت على مكتبه قصيدة لم يكملها كانت من وحى ملهمته التى أحبها بكل الصدق والوفاء، لقد صنع من ملهمته تمثالاً رائعاً خلع عليه أحلام قلبه المشبوب، وآمال روحه الظمأى إلى الحب المثالى المنشود، وشرع بطبيعته المرهفة، وقوة مخيلته، وسعة أفق تصوره يرتل فى محرابها أجمل أناشيد الحب والتقديس فكان يراها فى نفسه، وفى وحيه، وفى شعره، وفى شتى مظاهر الطبيعة، وطيفها ما يفتىء يطارده فى صحوه ومنامه.

وكانت «سلوى» معجبة بعمق تفكيره، وغزارة ثقافته وحبه النادر المثالى لكنها كانت فى ذات الوقت يغلب عليها الطابع العقلانى الواقعى الذى يرتبط بالعادات والتقاليد الشرقية، وطبيعة ظروفها العائلية.

ولكن شاعرنا الرومانسى الحالم المحتاج للحب والحنان ظل يرسل أناشيد الحب والجمال، ويدبج عشرات الرسائل المفعمة بعاطفته الفياضة، وليس أمامه سوى ملهمته، يرتل لها تلك الأناشيد وكان همه الدائم:

نـاجـيـت طيفك خاشعاً ... ونداى فى سمع الدجى ترتيل

وفجأة شعر أنه قد ضيع فى الأوهام عمره، وأن أناشيد الوجد والحب التى رتلها فى محراب ذلك التمثال البديع لملهمته المثالية ليس إلا مجرد سراب، وأن ذلك الحب الموهوم هو الذى قضى عليه وقتله بعد أن عذبه طويلاً وأصلاه ناراً حامية على جمر الشك والغيرة وتلون المرأة وواقعيتها الباردة، فلم يستطيع قلبه الخفاق الحساس

أن يتحمل قسوة الصدمة بعد أن أحبها كما يتعلق الغريق بحطامه المنشود، وفى قلبه حب جارف نبيل لا يكاد يضرمه الأمل حتى يخمده تلونها وتقلبها المستمر، فأصابته الطعنة فى قلبه الحساس، وأصبح تائه الفكر، مشبوب الحواس، ينادى أمله المنشود دون جدوى، ويذكرها ويرتل فى محرابها، وكما ينشد الغريق ملمس الحطام، ولكن تعذيبها له وإذاقته ألوان الهجر والصدود كسر قلبه، فهام بالصمت، وكلف بالوحدة، وانكمش وانطوى على نفسه، وطفق يقرض الشعر كمن يشرب الخمر، يخلق لنفسه عالماً خيالياً رائعاً فيه صورة جميلة لطيف الحبيبة المنشودة.

واستبد به طيفها، راوده وأذهله وسحره ولكنه أفاق من حلمه الجميل فلم يجد أمامه وحوله سوى السراب الفاجع فتهاوى وفارق الحياة وهو يرتل أنشودة الحب والوفاء!.



الفصل العاشر

أحمد عبدالمجيد شاعرًا غنائيًا

كان لأحمد عبدالمجيد دور بارز فى تطوير كلمات الأغنية المصرية فى العشرينيات من القرن العشرين.

وحتى نلم بمدى هذا التأثير علينا أن نتناول تكوين أحمد عبدالمجيد الفنى، وعلاقته بعالم الغناء.

فقد أحب أحمد عبدالمجيد منذ مطالع شبابه مجالس الغناء فى مصر، والاختلاف إلى دار الأوبرا، كما كان دائم الإطلاع على كتب الأقدمين والمحدثين فى هذا الفن الجميل.

وكان يصاحب الشاعر أحمد رامى فى الذهاب إلى «صالة سانتى» للاستماع إلى كوكب الشرق أم كلثوم فى مطلع العشرينيات، كما كان يختلف معه إلى مجالس الطرب مع صحبة من أرباب الأدب والشعر، كلما ازدهر صوت أو نبغ، ليقولوا فيه رأيا أو يقدموا نصحا.

ويرى أحمد أحمد عبدالمجيد[1] أن الغناء هو المنطلق الذى يعبر به ناظمه وملحنه ومغنيه ومردده، عما يختلج فى نفسه من مشاعر وأحاسيس، وهو المتنفس الذى يجد طريقه سهلاً هينًا إلى الأسماع المترقبة له، لتحتفل به مع من صاغوه وتغنوا به وأدوه، ولتحتفى بهذا السحر الآسر، الذى يسمو ويسف، ويؤنس ويوحش، ويضحك

(١) أحمد عبدالمجيد - لكل أغنية قصة -ص١.

ويبكى، كأنما اجتمعت له ما في الجنة من نعيم، وما في النار من عذاب وضنى والغناء فى ذلك شبيه بالخمر، التى قال فيها أبونواس:

لا تخدعن عن التى جعلت
سقم الصحيح وصحة السقم

ويرى أن الموسيقى تترجم عما بلغته أمة من الأمم، من تقدم ورقى، أو انحدار وانحلال، أو تأخر وهمجية، بل إنها تعكس طبيعة البلد الذى تنطلق منه وتعكس هذه الطبيعة من نواحيها الجغرافية أو البيئية أو الاجتماعية، أو الاقتصادية أو حتى السياسية.

فإذا كان برناردشو قد قال عن الابتسامة، إنها عنوان الشعور، وأن الشعور تعبير عن الإنسانية، فإن هذا الوصف الدقيق العميق يمكن أن يصدق على الغناء.

وحول قصة الغناء فى مصر فى عهد الموالد والدور والتخت والتطريب يذكر أحمد عبدالمجيد أن الأغنية المصرية درجت على سماع الموال مسبوقا بمناجاة الليل، ومناجاة العين، وتنغيم هذه المناجاة تنغيما جذابا، وتنويعها تنويعا يتنافس فى ميدانه المفتون، ويتميز بعضهم عن بعض بإطالة النفس، وتنوع النغم، والارتفاع بالصوت إلى آخر مداه، والنزول به إلى ما يسمونه فى عرف الغناء بالقرار.

إن مصر قد انفردت بالمناجاة فى كلمتى ياليل يا عين، فكلمة ليل أو كلمة عين، إذا أضفت إليهما حرف النداء «يا» حصلت على جملة موسيقية، ليس أخف على الأذن، ولا أصلح منها فى باب الإطالة والتقصير، والسرعة أو البطء، والارتفاع أو الانخفاض، حسبما يشاء المغنى الذى يستطيع أن يمضى الليل إلا قليلا، وهو يردد هذين اللفظين وحدهما والليل الذى هو أنيس وسمير ابن البلد الأصيل، والذى هو

مفرج كرب المكلوم والموجوع، والذى هو مفزع المحروم والمظلوم، قد ناجاه المحبون والحائرون والكادحون والبائسون بقلوب مستسلمة مؤمنة صابرة.

هذا الليل الذى يسمر فيه السمار، وطالبو المتعة، ويتهجد فيه المؤمن، والمتعبد، ويحن إليه العانى والهانى، ويهفو إليه المهجور والموصول، الأول يتسربل بظلامه الذى يستر بكاءه، والثانى يستعين بظلامه على لقاء من أحب.

وإنه لينذر أن نجد موالاً دورا أو ابتهالا أو نشيدا، يخلو من حرف النداء، الذى يخلع موسيقى خاصة تجذب الأذن وتسترعى الانتباه إلى ما يليها من كلام.

ولكن كيف كانت صورة ساحة الغناء بمصر فى بداية القرن العشرين عند ظهور محمد عبدالوهاب وأم كلثوم؟

يصور لنا الكاتب الصحفى كمال سعد صورة ساحة الغناء فى تلك الحقبة فيقول[1]:

«كان الجو الفنى وقت ظهور أم كلثوم منفلتا، ملبدا بالغيوم، فالناس - فيما عدا قلة - منصرفون عن الطرب الحقيقى إلى الأغانى الخليعة، وكانوا مجانين بكل ما يثير الغرائز ويلهب المشاعر، فإذا غنت محظية الخديو أمينة الصرفية:

جـاب لى اللمبة مية وحبة	واديهـا لأمـك بـلا مسخرة
جاب لى القبقاب فى وابور ركاب	مـا تنفعنيش يـا ابـن المـرة

كانت ترد عليها أمينة شخلع ذات القوام اللولبى مطالبة إيانا بأن نحافظ على الحبيب ونحميه من لسعة الشمس:

قولوا لعين الشمس ما تحماشى	أحسن غزال البر صابح ماشى

(١) أم كلثوم وزكريا أحمد -ص٩.

وتتحمس بمبة كشر فى مسابقة الأغانى الهابطة للطبيعة والخضرة بقولها:

ما بين البرسيم والخضرة | أحبك يا اللى ماشى

وتتسلطن بهية المحلاوية، واعدة بائع النعناع بأن «يبوسها» فى فمها وعلى خدها لو أوصلها لبلدها التى فيها أمها:

يا بتاع النعناع يا منعنع | يا بتاع النعناع يا واد أنت
وديني بلدى واديلك | بوسة من خدى وأوهب لك
مالى وأموالك وأحوش لك | حوض من النعناع يا منعنع
وديني لأمى وأديلك | بوسة من فمى وأوهب لك
مالى وأموالى وأحوش لك | حوض من النعناع يا شيخ أحمد

وتدعو الست توحيدة البنات إلي الإضراب عن الزواج فى أغنيتها:

ما تحسبوش يا بنات | إن الجواز راحه
أول سبوع يا بنات | على الفرش مرتاحة
تانى سبوع يا بنات | خوخة وتفاحة
ثالث سبوع يا بنات | حماتى رداحة
رابع سبوع يا بنات | فى البيت نواحة
خامس سبوع يا بنات | على القاضى سواحة
سادس سبوع يا بنات | علي بيت أبوها راحة

وتكمل الأغنية بأن تطالب بنات حواء بهجران ذل الزواج الذى يتحول إلى وسيلة عناء فى يد السادة الرجال:

مافيش لزوم يا بنات | تتجوزوا بالمرة
إن كان جوازكم يا بنات | هيكون كدة عرة
وتبقوا عايشين يا بنات | العيشة دى المرة
وتكون آخرتها يا بنات | تنطردوا وتخرجوا برة
دى الجوازة يا بنات | اسمها جنازة حارة
ويمكن تختم يا بنات | بمضايقة الضرة

وكانت سيدة السويسية لا تغنى إلا وهى محجبة بحجاب يخفى تقاطيع وجهها، وكانت تلف نفسها بملاءة كبيرة وتتشخلع على حريتها أمام الجمهور، أما السيدة اللاوندية فكانت تقلد عبده الحامولى أمام تخت خاص، بينما الحاجة هدى تتهادى فى الدلع وتحقق أملها فى ثروة كبيرة، والحاجة فهيمة الدقاق ابنة دقاق العطارة مازالت زينة الأفراح والليالي الملاح، والأسطى عزيزة البيضة تغنى وهى تتزين «بمحمل» من المجوهرات!.

ولم تكن خارج المنافسة فى هذا السباق كل من زينب القفة، وفاطمة حسنين، واسمها الكمسارية، وعزيزة هزو، وأمينة العراقية، ونعيمة المصرية، وسميحة البغدادية.. فقد كن جميعا تتسابقن من أجل تقديم أغانى العصر الهابطة التى تحقق أقصر طريق للشهرة!

وكان إلى جوار هؤلاء تحاول بعض المغنيات شق طريقهن إلى الذيوع بصعوبة، مثل فاطمة سرى التى يردد الناس بشغف أغنيتها التى تقول:

سماح النوبة النبى يا جميل | أناقلت التوبة ماعنتش أميل لغيرك أبدا
كنت افتكر أنك بتغير | ولنار غرامى كنت أسير

مهما عملت كتير وقليل　　معلهش النوبة النبى يا جميل

وبينما كانت عزيزة حلمى تستعطف قلوب الحاضرين بقولها:

يـا افـنـدى يـا لـلى ماشى　　شـحـتـنـى لـلـمـولـود

ده أبـــوه لـســة مـاشــى　　والجـــودة مـن المـوجـود

كانت سكينة حسن الأسيوطية تتغنى بسهام العيون، وكانت كريمة العدلية تحاول أن تسجل بعض أغانيها بعد أن ذاعت شهرتها عن طريق ملأ الأسطوانات بترتيل القرآن الكريم!

وكانت ودودة المنيلاوية تسأل الحلوة عن أحوالها وأسباب حزنها، وعلية فوزى تكتسح الجميع غناء وتمثيلا!

ورأت أول ما رأت أم كلثوم المطربة الصغيرة سنية حسنين فأعجبت بصوتها وملابسها فقررت أن تقلدها!

كانت سنية حسنين تغنى وهى ترتدى الكوفية والعقال، وكانت شابة لم تتجاوز العشرين، ولها صوت غاية فى القوة والروعة فى الأداء!

وكانت أشهر أغنية لها فى ذلك الوقت تقول:

عـلى قـد شـوقـى وتعذيبى　　ونار بعادك يا حبيبى مسلاش غرامك

ويقال إن هذه المطربة الإسكندرانية هى التى أوحت لأم كلثوم بزيها المعروف فى مطلع حياتها، وأنه لولا اعتزالها الفنى فى فترة مبكرة لنافست أم كلثوم عرشها!

نسيت أن أقول لكم إنه في ذلك الوقت كانت قد وصلت من بيروت للقاهرة بديعة مصابنى مع نجيب الريحانى، وبمجرد وصولها بدأت أولى خطواتها الفنية بالتمثيل فى المسرحيات عام ١٩٢٥، وافتتحت بعد رحلة شاقة صالة بديعة مصابنى

التى أطلقوا عليها اسم «الجامعة الفنية» فقد تخرج منها أشهر المغنيين أمثال: عبدالغنى السيد ومحمد عبدالمطلب وإبراهيم حمودة وفريد الأطرش ومحمد فوزى وغيرهم، كما قدمت نجيب الريحانى كمنولوجست فى مستهل حياته، وقدمت كذلك المنولوجست حسن فائق وحسين ونعمات المليجى!

وكان الناس قد بدأوا يتحدثون عن مطربة ناشئة «غاوية» أوبريت تؤدى هذا اللون ببراعة، وكانت تلك المطربة هي مطربة العواطف «ملك»، وكانوا يتحدثون أيضا عن مطربة أخري هى «نادرة» جاءت من سورية للقاهرة عام ١٩٢٦ لتصبح ذات وزن فنى بعد عام واحد من حضورها، وأقامت المطربة نادرة أولى حفلاتها الغنائية على أكبر مسارح القاهرة وهو مسرح رمسيس!

وبالمناسبة فالمطربة نادرة كانت صاحبة أول فيلم غنائى سينمائى فى تاريخنا وهو فيلم «أنشودة الفؤاد» الذى أخرجه استوديو جومون بباريس واشتركت فى تمثيله أمام جورج أبيض وعبدالرحمن رشدى فى عام ١٩٣١، أى قبل أن تمثل أم كلثوم ومنيرة المهدية وفتحية أحمد ومحمد عبدالوهاب أى فيلم سينمائى!

وفى عام ١٩٣٤ أصبحت نادرة من أهم نجوم الإذاعة، ولكنها سرعان ما أفسحت الصفوف الأمامية لغيرها، واكتفت بمكانها فى الصف الثانى!

وقد تغنت نادرة بعدد من قصائد الأديب الكبير عباس محمود العقاد منها «فضض ضياءك يا قمر» وقصيدة «فى الهوى قلبى» التى تقول كلماتها:

فى الهــــوى قـلـبـى زورق يجـــرى
أيـــن يـمــضى بـى نهــــره الخـــمـــرى
لـــيـــتـــنــى أدرى

لـيـتـه يجـرى يـا أبـا الأنهـار
مـثـلـما تـسرى فى حمـى الأقـدار
حـولـك الأزهـار

***

حـولـك الـصـفـصـاف مـسـبـل الـشـعـر
نـاعـس الأطـيـاف سـابـح الـفـكـر
فى الهـوى الـسـحـرى

***

قـال لى قـلـبـى والهـوى يـرعـاه
هـو فى قـربـى مـا الـذى أخـشـاه
عـنـدمـا ألـقـاه

كما تغنت بقصيدة أخرى للعقاد تقول كلماتها على لسان حبيبة تنشدها لحبيبها على النيل بعد الغروب:

يـا حـبـيـبـى أنـت رى لـيـس فى المـاء نـظـيـره
يـا حـبـيـبـى أنـت ظل لـيـس لـلـروض عـبـيـره

***

أنـت عـنـدى كـل شئ كـل مـا شـئـت يـكـون
قـل لهـذا الـلـيـل يبقى ومـع الـلـيـل الـسـكـون

***

أما عن فترة الحرب العالمية الأولى فتبدأ مرحلة أخرى..

فيأتى صيف عام ١٩١٤ وهو يحمل فى طياته تهديدا كبيرا لمستقبل الغناء والتمثيل فى مصر[١]، فقد جاءت الحرب العالمية الأولى، وعلى أثرها امتلأت شوارع القاهرة بالجنود الإنجليز وأعلنت الأحكام العرفية، وأصبحت الصحف والمسرحيات خاضعة لرقابة إدارة المطبوعات تلغى وتحذف منها ما تشاء، وصدرت الأوامر بعدم إضاءة المسارح والملاهى بعد الساعة الحادية عشرة ليلا، وهذه القيود وغيرها جعلت الناس فى هذا الوقت يظنون أن مستقبل الفن فى مصر لن يتعدى بأى حال من الأحوال هذه المقاهى الفنية التى تقدم الرقص والطقاطيق لطلاب الحظ فقط!

ولهذا كنت إذا ما ذهبت إلى حى الأزبكية، أو الحى الذى يتمثل فيه ليل القاهرة فى هذه الفترة، كان يلفت نظرك على الفور مقاهى الطرب والرقص المتناثرة فى كل مكان خاصة فى «الرويعى» و «بير حمص» و «قنطرة الدكة» و «ميدان الخزندار»، وكنت فى هذه المقاهى ترى العجب، ترى من يغنى المواويل الشعبية من وحى «القعدة»، وترى من ترقص بالشمعدان وهى تقف وتجلس وتميل والشمعدان لا يتحرك من فوق رأسها، وكلما توقفت عن الرقص اندفع تجار القطن ليلصقوا على جبينها ووجهها الجنيهات، وتظل على هذا الحال إلى أن تجمع من نقوطها المعلوم فتنسحب وسط التهليل، وتترك الساحة لغيرها لتواصل ساعات الحظ!

كانت تلك المقاهى الفنية، التى تم فيها اكتشاف منيرة المهدية تتبارى فيما بينها لاجتذاب الناس الذين أصبحوا بعد الحرب يتهيبون السهر فى المسارح، كما كانت شلل أولاد البلد تتجمع فى كل ليلة، وتلف حول هذه المقاهي وهى تنفس عن ضيقها بترديد الأغنية الشعبية التى كان يحفظها كل أبناء مصر:

(١) كمال سعد - أم كلثوم وزكريا أحمد.

يا ست مصر صباح الخير — يسعد صباحك يا عنيه
فين العدالة يامون شير — وبس فين الحرية
أما الزمن ده له أحكام — أحكام ولكن عرفيه
واللى يشوف ثغرة بسام — يحسب أموره مرضية
بعد الدهب تلبس أغلال — وتعيش أسيرة ومقهورة
خدام بإيدى دأنا فى حال — يبكى أهل المعمورة
وبس مين يرضى يا رجال — حرة وتصبح مأسورة

ومثلت منيرة المهدية للسينما روايتها «الغندورة» كما قدمت فى أواخر ١٩٢٦ على مسرح «برينتانيا» مجموعة من المسرحيات الغنائية أشهرها «كليوباترا» التى بدأ فى تلحينها سيد درويش، وبعد رحيله أكمل تلحينها محمد عبدالوهاب بتوجيه أمير الشعراء أحمد شوقى بل قام محمد عبدالوهاب بالتمثيل أمام منيرة المهدية لعدة أيام ثم لم يستمر!

ومن أغنيات منيرة المهدية التى اشتهرت يومئذ أغنية «قمر يا قمورة» التى تقول كلماتها:

قمر يا قمورة يا محنى ديل العصفورة
إن كنت خايف من أبويا
أبويا عدى المنصورة
وإن كنت خايف من أمى
أمى عليك ساتورة
وإن كنت خايف من جوزى
حشاش وواخد داتورة

وإن كـنـت خـايـف مـن الـبـواب
أعـــمـــى ورجـــلـــه مـكـــســـورة
وإن كـنـت تـايـه عـن بـيـتـنـا
بـيـتـنـا قـصـاده دحـدورة
وإن كـنـت تـايـه عـن اسـمـى
اســمــى مــنــيرة الــغــنــدورة

وسجلت هذه الأغنية على أسطوانة وانتشرت انتشارا واسعا، وظلت منيرة المهدية فى مشوارها الفنى وأسهمت فى حفلات الإذاعة المصرية عند افتتاحها وقدمت أول حفلة غنائية لها فى يونيه ١٩٣٤، ولم تنقطع عن العمل بالمسرح إلا عندما صدمتها سيارة أثناء ذهابها لافتتاح موسمه الغنائى، وظلت بسبب هذه الحادثة طريحة الفراش لمدة سنة، وقررت بعد ذلك اعتزال الغناء والتمثيل!.

***

وكان محمد عبدالوهاب[1] حتي بداية عام ١٩٢٤ يغنى الألحان التى يحفظها عن قدماء المغنيين، ومعها ألحان سيد درويش، ولم تكن لعبدالوهاب ألحان من عمله إلا الألحان القليلة التى سجلها على اسطوانات.

ثم انتقل محمد عبدالوهاب فى سنة ١٩٢٤ من حال إلى حال بعد أن توثقت علاقته بأمير الشعراء، وبدأت رحلته الكبرى فى الغناء والتلحين ولم تنقطع طوال سبعين عاما حتى رحيله في ٢ مايو ١٩٩١ وانهمك عبدالوهاب فى عامى ١٩٢٥ و١٩٢٦ فى الحفلات والأعراس حيث كان يغنى من ألحانه التى لم يسجلها على الاسطوانات.

(١) كمال النجمى - مطرب المائة عام ص٧٧.

وفى عام ١٩٢٧ أصبح المطرب الذي كان شبه مجهول منذ عامين فقط، أشهر نجوم الغناء والطرب، حيث أصبح له فى السوق عدد كبير من الاسطوانات فى ذلك العام منها:

- موشح يا حبيبى أنت المراد
- يا حبيبى كحل السهر جفونى شعر أمين الهجين
- يا قلبى ما حد قاسى من تأليف أمين الهجين
- أخاف عليك من نجوى العيون شعر أحمد رامى
- اللى يحب الجمال تأليف أحمد شوقى
- أنا انطونيو تأليف أحمد شوقى
- كثير يا قلبى تأليف أحمد عبدالمجيد

وفى خلال الفترة من ١٩٢٧ - ١٩٣٠ غنى عبدالوهاب عددا من أروع الأغنيات التى كتبها الشاعر أحمد عبدالمجيد.

ولكن كيف كانت قصة اللقاء بين كلمات أحمد عبدالمجيد الزجلية وموسيقى وصوت محمد عبدالوهاب؟

***

فن التأليف الغنائى

فى أثناء دراسة أحمد عبدالمجيد بكلية الحقوق كان يخدش سمعه وأسماع الغيورين على تقاليدنا المحافظة ما كان يذاع من أغان بلغت فى ابتذالها آخر ما يمكن أن تصل إليه أغنية من درك خطير.

كانت الأغانى المصرية يومئذ قد بلغت حضيض الإسفاف والانحلال، مثل أغنيات: (أرخى الستارة اللى فى ريحنا)، (هات القزازة واقعد لاعبنى، دى المزة طازة والحال عاجبنى) و(يا سمبتيك خالص يا مهندم تعالى زورنى الليلة يا فندم).

ويصور لنا أحمد عبدالمجيد فى كتابه «لكل أغنية قصة» ملامح تلك الحقبة لفن الغناء فيقول:[1]

«فى هذه السنوات العجاف بالنسبة لفن الغناء، انصرف رهط من المغنين والمغنّيات إلى ترديد الطقاطيق الخفيفة، والأغانى التى خلت من اللمسات الفنية فى النظم أو النغم، والتى لم يكن مقصودا بها إلا ملء الفراغ بما هو أفرغ منه، وبوسيلة غايتها الأنس الرخيص، ومنادمة الغرائز الدنيا، استجلابًا للمرح الماجن و «الفرفشة» السافرة على حد كلمات أغنية معاصرة لذلك الزمن تقول:

ارخى الستارة اللى فى ريحنا أحسن جيرانك تجرحنا

وكانت هذه الفترة تتميزّ بالانحلال والتأخر فى كافة مجالات الثقافة والفن والأدب والاقتصاد، إلا من نفر معدود من أمثال المويلحى، وعلى مبارك، وأحمد لطفى السيد،

(١) أحمد عبدالمجيد - لكل أغنية قصة - ص١٠١ - ١٠٢.

ومصطفى كامل، ومحمد فريد، وعمر لطفى، وإسماعيل صبرى، وأحمد شوقى، وسعد زغلول، وفتحى زغلول، وعبدالعزيز البشري، وعلى يوسف، ظهروا على فترات كانوا فيها كالنجوم التى تهدى الضالين فى الليالى الداجية، أو الواحات المتناثرة فى صحراء جرداء، وسباسب مضنية، يستريح عندها المجدون فى طى هذه الفيافى المقفرة.

هذا التحليل العميق الدقيق يرسم لنا صورة صادقة لملامح تلك الفترة الراكدة من تاريخ مصر الثقافى والاجتماعى والسياسى.

سمع أحمد عبدالمجيد وتابع هذه الأغاني الهزيلة، وراعه أن يسمع الفتيات الصغيرات يرددن هذه الأغانى فعزت عليه تلك الجناية على أخلاق الجيل، وهو الذى قرأ روائع الشعر العربى الأصيل، وأحس بعوامل غيبية وداخلية نتيجة لضيقه بتلك الأغانى الهزيلة تدفع به إلى ترجمة ما كانت تجيش به نفسه من مشاعر الحب فى تلك السن الباكرة، وراح يصب أحاسيسه ومشاعره وهمسات روحه ومناجاته لمن يحب فى شعر باللهجة الدارجة كان يحفظ به على طريقة اليوميات للذكرى - عندما تعبث به نسائها - وتشاء المصادفة أن يزوره فى تلك الحقبة زميل له تربطه به صداقة، يعرف عن شاعرنا أنه من هواة الاستماع إلى الموسيقى الشرقية، وأنه يميل للعزف على البيانو. وبحكم الزمالة كان يبحث عن بعض الأوراق فى مكتبه فعثر على مقطوعتين هما «خايف أقول اللى فى قلبى» و «كلنا نحب القمر» فقال لشاعرنا:

- إن هذه المقطوعات ليس مكانها الأضابير وإنما يجب أن تغنى، وهى من اليوم ليست ملكك.

وكان صديقه هذا عضوا فى نادى الموسيقى الشرقية، فسعى إلى ادخال أحمد كعضو فى هذا النادى، ومن هنا بدأت صلة شاعرنا بالفن وبنظم الأغنية وبتذوق الموسيقى الراقية.. ثم كان أن تعرف شاعرنا بالموسيقار محمد عبدالوهاب.

كان ذلك عام ١٩٢٤ فى نادى الموسيقى الشرقية - حيث قدم صديق شاعرنا الذى أطلع على المقطوعتين - قدم أحمد إلى الموسيقار عبدالوهاب، وروى له قصة إطلاعه عليهما، وإلى جانب ذلك كانت تجمع شاعرنا بأمير الشعراء أحمد شوقى رابطة قوية.. كانت تقديرا من جهة شاعرنا نحو الشاعر شوقى وشعره الذى بزّ الأولين والآخرين، وكانت مجالس شوقى فى ذلك الحين تشجيعا من أمير الشعراء للأديب الناشئ يومئذ أحمد عبدالمجيد، وهى تعد مدارس ومراجع للأدباء من الناشئين، ومعينا لا ينضب من الحكمة والأدب، والتوجيه والحوار فى أسمى مراتبه.

وكان أول ما لحنه عبدالوهاب لشاعرنا أغنية «كلنا نحب القمر» و «خايف أقول اللى فى قلبى» وكان ذلك عام ١٩٢٧ وكان أحمد لا يزال طالبا بكلية الحقوق، ثم لحن عبدالوهاب بعد ذلك أغنيات «مريت على بيت الحبايب» و «حسدونى وباين فى عنيهم» و «يا ترى يا نسمة» و «ما كانش عالبال» و «كتير يا قلبى الذل عليك» و «مين عذبك» و «نسيم الربيع» و «الهوان وياك معزة»، وأحدثت هذه الأغنيات التى تغنى بها عبدالوهاب ثورة فى عالم الغناء، وكانت فتحا جديدًا للأغنية العربية الجديدة بعد أن كان الطابع السائد للأغنية فى تلك الحقبة الابتذال والإثارة وركاكة الألفاظ وتفاهة المعانى.

وتغنى عبدالوهاب بهذه المقطوعات ما بين عامى ١٩٢٧ و ١٩٣٠ فأحدثت انقلابا جذريا فى مفهوم الأغنية العاطفية السامية شكلا ومضمونا.. تغنى عبدالوهاب بتلك الأغنيات التى اتسمت بجمال المعانى وطرافتها وحلاوة الألفاظ ورقتها وعذوبتها، ووجد النقاد فى تلك الأغنيات روحا جديدة ومعان مبتكرة أصيلة لاسيما فى أغنية «كلنا نحب القمر» التى أتى فيها شاعرنا بمعان جميلة وصور طريفة مبتكرة لم يسبقه إليها أحد من قبل، لما تتسم به من الصدق الفنى والابتكار الأصيل مثل قوله:

كلنا نحب القمر	والقمر بيحب مين
حظنا منه النظر	والنظر راح يرضى مين

ثم يقول شيئا جديدا لم تألفه الأذن - فى ختامها:

ما تقول لى إزاى أنساك	لا أنا طايل تعذيب فى هواك
ولا قادر قلبى يسلاك	جربت خضوعى يكفاك

وأري أن السبب الرئيسى لنجاح تلك الأغنيات وذيوعها هو أنها كانت انعاكسا أصيلا صادقا لعواطف شاعرنا الرقيقة وأحاسيسه المرهفة، ولأنها كانت تعبيرا موفقا وصادقا لانفعالات وجدانية واقعية فاتسمت بالحرارة والصدق الفنى.

وقد أعجبت تلك المقطوعات أمير الشعراء أحمد شوقى، وقال كلمة سمعها شاعرنا من عبدالوهاب نقلا عن شوقى، وهو بدوره أبلغها للشاعر فيما بعد.

فقد قال له شوقى فى أمسية من الأمسيات عندما كان يسمعه لحنا من كلمات أحمد عبدالمجيد، وقبل أن يسمعه الجمهور أو يطبعه علي اسطوانة: «إذا أردت - مع الثقة فى نجاحك - الذيوع والانتشار والإحساس الغامر بما تقول، فلحن وغن من شعر أحمد عبدالمجيد لأنه ينبض بالحرارة والحياة».

***

وكانت المرحلة الجديدة فى فن الغناء فى مصر مرحلة جديدة غنية وخصبة، ابتداء من عام ١٩٢٦ اتجه الشاعر الوجدانى الرقيق أحمد رامى إلى أم كلثوم بعد عودته من باريس عام ١٩٢٥، فغنت له: الصب تفضحه عيونه - وتنم عن وجد شؤونه.

وكان اللحن، للمرحوم الشيخ أبوالعلا محمد.. ثم غنت له بعد ذلك زجلا جميلا راقيا، وكانت أول مقطوعة نظمها خصيصا لها هى تلك المقطوعة الرقيقة:

خـايـف يـكـون حـبـك لى شـــفـــقـــة عـــلىّ
وانــت الـلى فى الـدنـيـا ديه ضىّ عـــيـــنـــىّ

هذا بالنسبة لرامى..

أما أحمد عبدالمجيد وشوقى، فقد تغنى عبدالوهاب بشعرهما الغنائى الرقيق وأطرب وأشجى الأسماع - ويتحدث أحمد عبدالمجيد عن هذه المرحلة الجديدة من مراحل التأليف الغنائى فيقول:[1]

«كانت مهمتنا فى الحقيقة صعبة.. لأن الجمهور كان لا يريد أن يجهد نفسه فى تفهم المعانى الجميلة. كما أنه لم يكن يستسيغ إلا المعانى التى تستثير غرائزه.. فأخذنا على عاتقنا الارتفاع بمستوي الجماهير لا النزول إليهم.. وكانت طفرة موفقة صادفت عند الجمهور إقبالا على الاستماع، حتى أن متعهدى الحفلات كانوا ينشرون اسم الأغنية ومطلعها التى ستغنى فى الحفل على الحائط».

وقد تناول تلك المرحلة من تاريخ التأليف الغنائى بعض النقاد والأدباء، فقال الشاعر أبوبثينة عن تلك المرحلة:[2]

«منذ أكثر من ربع قرن كانت أغانينا عليلة هزيلة، كنا لا نسمع إلا الألفاظ المثيرة لأحط الغرائز، والمعانى المحركة لنزوات الشيطان. فمن أغانى ذلك الزمان:

- ارخى الستارة اللى فى ريحنا أحسن جيرانك تجرحنا
- يا مبسوطين بالقوى يا حنا يا مفرفشين بالقوى يا حنا
- هات القزازة وابعد لاعبنى دى المزة طازة والحال عاجبنى

«كانت أغانى ذلك الزمان من ذلك الطراز المبتذل الشائع المائع الذى أشاع فى شبابنا الرخاوة..

(١) مجلة الإذاعة - ١٩ ديسمبر ١٩٥٩.
(٢) مجلة الكواكب - أغانينا اليوم فى حالة انتكاس ١٩٥٠.

«وفجأة ظهر شوقى ورامى وأحمد عبدالمجيد وأضرابهم من الشعراء فكانوا بمثابة البنسلين الذى يصارع الداء فيصرعه، وسمعنا لهم أروع الشعر وأعذبه، وأرق الفظ وأوقعه فى النفس..

«كلنا نسمع لأحمد عبدالمجيد مثل هذا المعنى الرقيق:

وأنا اللى بنيت جماله ورويت بدمع العين حسنه
واشتاقت الناس لوصاله لما انشجوا بألحان نوحى

وكنا نسمع له مثلا:

واشوف خيالك من بين دموع العين

وأقول له مالك وفين جمالك فين!

خفف دموعى يا هاجر

خلينى أشاهد خيالك

دا الدمع قاسى وغادر

حجب محاسن جمالك

«كنا نسمع هذه الأغانى فى بساطتها، الرقيقة فى سهولتها الدقيقة فى وزنها وقوافيها».

كما صور أحمد عبدالمجيد تلك المرحلة ورسم صورة لأعلام فن التأليف الغنائي، وأثرهم فى تطور فن التأليف الغنائى والسمو بالفن الغنائى العربى:[1]

«وكأنما كان أمير الشعراء أحمد شوقى والشاعر على الجارم وشاعر الحب والشباب الصديق أحمد رامى، وأنا على اتفاق معا لإصلاح ما أعوج من أمر الأغنيات وما وصلت إليه من ابتذال فى أوائل العشرينيات، فكانت أم كلثوم تصدح بشعر أمير

(١) مقال للشعر عندى حكاية - مخطوط - أحمد عبدالمجيد ١٩٧٤.

الشعراء وتردد آنذاك:

سلوا كـؤوس الطلا مذ لامست فاها
واستخبروا الـراح هل مست ثناياها؟

وكنا نسمعها تشدو بشعر على الجارم:

مـالى فتنت بلحظك الفتاك   وسـلـوت كـل مليحة إلاك

أما رامى فقد سبقنا إليها وأسعد رعايا دولة الطرب بشعره ونظمه الرقيق الصافى.. وكانت تشدو له تلك الأيام: «إن كنت اسامح وانسي الأسية» و «الشك يحيي الغرام» و «ليه تلاوعينى».

كما كانت تغنى له من شعره:

«إن حالى فى هواها عجب» و «الصب تفضحه عيونه».

كما كان عبدالوهاب يغنى له «على غصون البان» و «عصفورتان تتناجيان» و «تعالى نفن نفسينا غراما».

«وانتعشت دولة الغناء بهذا الغناء العذب الجديد من الشعر المطرب السامى، وأقبل الناس على الاستماع إليه إقبال الظامئ الصادئ إلى النبع الصافى النمير. ثم لحق بركبنا بعد سنين من تلك الأيام شعراء ساروا على نهجنا وأمدوا دولة الغناء بثمرة نظمهم الممتع فى كل باب ولون».

هذا التحليل الدقيق والعميق والموضوعى لتلك المرحلة الهامة الحاسمة من مراحل تطور فن التأليف الغنائى عرضها لنا أحمد عبدالمجيد دون أن يشير إلى دوره الهام والأساسى فى هذا المجال إنكارا للذات وتواضعا، ولكن المؤرخين لن يغفلوا عما أضافه لفن التأليف الغنائى من تجديدات جريئة وعميقة فى المضمون والمعانى

والخيال والصور والوزن للقصائد الغنائية، ومن أطرف ما يروى فى هذا الشأن من تجديداته فى مجال الوزن ما رواه لى ذات مرة فقال:[1]

«عندما أسعدنى الزمن بمعرفة شاعر الحب والغزل الأستاذ: أحمد رامى فى العشرينيات، سألنى مرة إذا كنت درست شيئا من الأوزان الفارسية، فهاله أن أجيبه بأنى لا أعرف حتي الأوزان العربية فرحت أسأله بدورى عن السبب فى ذلك فقال: إنه سمع لحنا حديثا لعبدالوهاب من نظمى أقول فيه: ماكانش ع البال تشغل بالى- يا روحى وتسهرنى ليالى.. وقال إن هذا الوزن فارسى وهو وزن «الدوبيت» وعند ذلك قلت له: وهل يضيرنى أن أجهل علم العروض رغم أنى أنظم الشعر طول هذا الزمن دون هذا العلم؟ فأجابنى بضحكته الرنانة:

- إننى أفضل لك أن تبقى كذلك فإن العلم به يجلب الشك فيما نظم!.

***

ولكن بعد التحاق شاعرنا بالسلك الدبلوماسى، وانتقاله بين مختلف البلاد حال ذلك بينه وبين الاستمرار فى تأليف الأغنيات. بل إن حياته فى الخارج حرمته من متابعة الفن المصرى والشرقى إلا فيما ندر. على أنه كان ينظم لنفسه أرق الشعر وأجزله دون أن يطلع أحداً على ما ينظم.. وفى ذلك يقول رامى فى تقديمه لديوان شاعر الهمسات «وما كنت أدرى أنه كالحمام الزاجل، يهدل على كل غصن فى كل روضة من الرياض التى كان يزورها فى أسفاره، سواء أكان ذلك على ضفاف البوسفور أم فى حدائق فيينا أو فى مباهج باريس».

(١) روى لى هذا الأستاذ أحمد عبدالمجيد يوم السبت ٦/٦/ ١٩٧٠.

القسم الثانى:

مختارات من شعر

أحمد عبدالمجيد

١- ديوان «همسات»

٢ - ديوان «أوراق الخريف»

٣- ديوان «نجوى» (المفقود)

٤- من شعره الفكاهى

٥ - أغنيات خالدة (غناها الموسيقار عبدالوهاب)

١ - ديوان همسات «١٩٦١»

تقديم بقلم/ الشاعر أحمد رامى[1]

عرفت أخى صاحب هذا الديوان، فى مستهل النهضة الغنائية، التى مرت نسائمها فى روضة الطرب على ترجيع أم كلثوم وعبدالوهاب. وكنت أسكن حى بركة الفيل الذى امتاز فى ذلك العصر بوفرة النخيل. وكانت نافذتى تطلّ على أطلال ممتدة ترتفع وراءها مآذن الجاولى وابن طولون ومسجد القلعة، يشرف على ذلك كله جبل المقطم الأرجوانى الذى يطل البدر من ورائه، فيلقى أشعته على كل هذه المناظر، ويرسم ظلال النخيل على أرض غرفتى.

كان يزورنى فى الفينة بعد الفينة ويشكو لى بثه ويقرأ على شيئاً من نظمه أعجب به غاية الإعجاب وكان عبدالوهاب يعتز بمقطوعاته ويضع لها ألحاناً ممتازة لرقة معانيها وصدق تصويرها وذلك التجديد الذى وضعه فى تأليفها، وخرج بها عن المألوف فى ذلك العصر من الصور الباهتة.

وشاعرنا أحمد عبدالمجيد لطيف العِشرة، مرهف الحس، خافت النبرة، رقيق

(١) أحمد رامى (١٨٩٢ - ١٩٨١): ولد بحى الناصرية بالسيدة زينب، تخرج فى مدرسة المعلمين العليا وعمل بالتدريس وأصدر ديوانه الأول عام ١٩١٨ وأوفدته وزارة المعارف فى بعثة إلى فرنسا ليدرس اللغات الشرقية، فأتقن الفارسية وترجم عنها رباعيات الخيام.
وبعد عودته إلى مصر من باريس عام ١٩٢٥ التقى أم كلثوم وبدأ يكتب لها أغنياتها ومنذ هذا اللقاء ظل رامى ينظم لها الأغانى لأكثر من خمسين سنة بالفصحى والعامية.

العاطفة. إذ قرأ على شيئاً من شعره أحسست وقد قلبه فى حرارة إلقائه، ووجد نظمه إلى قلبى مدخلاً سهلاً فاستقر فى سويدائه.

ومضت الأيام وهو يغذى دولة الغناء بمقطوعاته البديعة، حتى اضطر بحكم عمله فى وزارة الخارجية إلى التغرب عن مصر فى سفاراتها بمختلف البلدان، وما كنت أدرى أنه كالحمام الزاجل، يهدل على كل غصن فى كل روضة من الرياض التى كان يزورها فى أسفاره، سواء أكان ذلك على ضفاف البوسفور، أم فى حدائق فينا، أم فى مباهج باريس.

واستقر به المقام آخر الأمر فى القاهرة، ولقيته على بساط من الود لم تطوه السنون، وأخذنا نتذاكر أيامنا السالفة، وأخذت أسأله عن منظوماته، وما أوحت إليه هذه الأسفار، فدفع إلى كراسة أنيقة كتب فيها بخطه المنمم طائفة من الشعر بين قصيد ونشيد، ومقطعات غنائية تناول فيها خواطر جرت على قلمه فى كى صقع من الأصقاع التى زارها فى طوافه.

قرأت شعراً بديعاً فى لفظ سهل وقافية رنانة وأسلوب واضح تسرى فيه روح رفيقة، ونفس رقيقة وتتجاوب فيه أصداء بعيدة لأنغام فريدة، هى فى لغة الطير أغرودة المكاء، وهى فى لغة الزهر حياء البنفسج وإطراق النرجس، وهى فى لغة النور إشراقة الفجر وبهاء الغروب.

ولقد جُسْت خلال هذه القطع البديعة، فوقعت عينى على ما طربت له روحى وخفق له قلبى وحرت وأنا أقرأ هذه البدائع، أى زهرة أهديها من هذه الباقة اليانعة، وأى نغم أردده من هذا الغناء الساحر، وأى نهلة أقدمها من هذا الينبوع الصافى، ورأيت آخر الأمر أن أترك للقارئ اللبيب أن يقطف ما يشاء من زهره وأن يشرب ما يريد من قطره وأن يردد ما يحب من شعره، وأنا كفيل أنه واجدٌ ما ينعش روحه ويروى ظمأه، فإن كل الذى نظمه نابع من قلبه وهو لابد نافذ إلى كل القلوب.

مايو سنة ١٩٦١ **أحمد رامى**

همسات

هَمسات أُسجلها حيناً فى شعر

وحيناً فى أغانٍ

لعزاء النفس عندما تعبث بها نسائم الذكرى

ولسلوى القلب الذى نَهَل ما نهل وما ارتوى

فهى

للنفس عزاء..

وللقلب سلوى..

وللغير ما لست أدريه..

أحمد عبدالمجيد

عيون

هَمستْ عيونك بالهوى — أم بالهوى أنا حالمُ
وأظلَّ منها هاتفٌ — مَرِحِ الهوى متكلم
فتعارفت أرواحنا — وكأننا لا نَعلم
وتناثرت حولى المُنى — أم بالمنى أنا واهم
فهواى وَهْمٌ دائم — وهواك هَمٌّ قائم
حواء يا أَصْلَ الوجود — تعطَّفى أنا آدم
أنت التى عَبَثتْ — بأمنى والهوى لا يرحم
وأنا كما شاء الهوى — أو كيف شئت مُسالم
فهل العيون — الداعيات إلى النزال رواحِم
أم أن حواء التى — عبثتْ قديماً أرحم
حمل الهوى قلبى وفاءَ — بحمْل ما لا يعلم
أخشى عليه فهل — هواك مجاهل ومظالم
أَوَّاه لو يَلقى الذى — يصبو إليه ويكتُم
لأرَنَّ بالترجيع فى — واديك قلبٌ ناعِم
فهواى عَفٌّ طاهرٌ — وهواك وحْىٌ مُلْهم

من الشاطىء

يا بحر إنى من هواكْ ... غَيرآن عذَّبه رضاكْ
تهواك ناعسة الجفون ... وتشّهيك فيا هَناك
وتمُدِّ أسباب الوصال ... لها ويغريها صفاك
حتى إذا نزلت ضَمَمتَ ... يا لها فى ملاك
ومضيت تلثم ثغرها ... حينا وتجذُبها يداك
وتضُم خصراً ليِّناً ... لا تستنيم لمن نهاك
يا طيب ثغرٍ حُسْنُه ... يا بحر أوردنى الهلاك
يا طيب خصرٍ لينه ... يا بحر أفقدنى هواك
وتعود تعبث بالخدود ... فليتنى بعض الشبَاك
أُلقى بها فأصيدها ... وأحوز من سَلبتْ نُهاك
وأعود بالحمل الثمين مفاخراً ... وأرى أساك
أعدو بها وأضمُّ عاجاً ... ليته يأبى الفِكاَك
وأَبِيت ألثم ثغرها ... وأروح أصلح من أذاك
وأَفيق من إطراقة ... فإذا الضنينة فى حِماك
وإذا بها لَمَّا تزلْ ... مفتونة تأبى نواك
منحتك صفو عبيرها ... فَسرَى شذاها فى مَداك

لهفى على أَرَج الثغور يَضُوع من غُصْن الأراك

أشتاقه ويشوقنى أَنِّى أراها لا تراك

هيهات أنسى ما حييت هتاف قلبى إنْ دعاك

وأَطال فى شكواه والغيران يُغْضبه رِضاك

سراب

تَضِن على قلبي بقطرٍ من الندى يسير وأُعطي ذوْب روحيَ والنفسِ
وتحجب عن ظنيٍّ سراباً رغبته وبي ظمأٌ يُدني حياتي من اليأس
فما ضَرَّ لو جادت بميسور رفدها فيوُرِقُ ما تروِي وتختال بالغَرسْ
عزيزٌ على نفسي وقد فاض يأسها ترى القُربْ لا يُدني ولا بُعدها يُنسْي

نصيب

سألتُ نصيباً ترتوى منه صَبْوتى ... فَـردَّ طِلابى لا قِلى أو تجافيَا

ولكنَّه فى شرْعة الحب ناصحٌ ... يود دوامـاً للذى دام خافيا

وقد ظن أنِّى إنْ سَقيْت المُنى دَنا ... هواى من الشنط الذى ظلَّ نائيا

أعيذُك أن تلقى الظنون سبيلها ... إليك وأن ألقاك يوماً مُجافيا

دوام هوانا يا أخا الروح ماثِلٌ ... لعينك والأيام تُبدى الخوافيا

تعزَّيت أنِّى إن رأيتك هانئاً ... فذاك طِلابى أنْ ألاقيك راضيا

ولى كبدٌ حَرىً أخاف احتراقها ... حفظت بها عهداً من الدهر صافيا

وإن الهوى عهدٌ وقلبى سياجُه ... إذا سألونى ما الوَفَا قلت ما بيا

رضيت نصيبى من هواك وإنَّه ... لفوق الذى أرجوه ما دمت حانِياَ

وما الوصْل إلا كأس خمرٍ شربتُها ... كفى بالأسى خِلا وراحاَ وساقيا

وأوثر أن ألقى العذاب ولا أرى ... حوَاليك هَمَّـا دانيا متواليا

سمحت بروحى فى هواك رخيصةً ... ومن يَهْوَى لا يُغلِى على الحب غاليا

خواطر

على شَفتى من ذكــراك عطر وفى كفىّ مــن كفيك جَمــرٌ
وفى عينيكِ لى نَهــْي وأمــر فمن طُــرق الهــوى أين المفرُ

***

ملكتِ خواطرى وملكت نفسى وصُنت هواك فى أملى ويأسى
فلا تدعى رضاكِ يغيبُ عنى فأنكر حاضرى وغَدى وأمسى

***

إذا أرضيتِ قلبى طاب لحنى وإن أغفيت عنى ضاع أمني
تعالى واخطرى فى لحن شعرى تعالى وانــظـرى آيــات حبى

***

تعالى واخطرى فى خفق قلبى تعالى وانــظـرى آيــات حبى
وإن فتنت نُهــاك فنون قولى فــإِنِّــى حاسد قــولى ودأبــى

***

أكابد فيك أوهامى وظنى وليل الظن يا ليلاى يُضنى
فإن همست ظنونى لى بوهم أغار عليك من هَمَسات ظَنِّى

ميعاد

ضمتُها وحنين الشوق يسألها | عن موعدٍ مقبل للظامئ الصادى
وعن لقاءٍ على عيدٍ يُطالعنا | بالبشر والسعدِ فى إشراقه الهادى
فأطرقت ثم قالت وهى هَامِسَةٌ | وهَمسها الحلو أغرى سمع حسَّادى
إن التقينا رأينا العيدَ ثالثنا | لا نرتضى عنه إلا عَوْده الغادى
فإنْ أَبَى الدهر أو عَزَّ اللقاءُ فما | أحرَى بذى الوجد أن يصبو لميعاد
وللصبابة عندى اليوم مأثرةٌ | تحيلُ يوم اللقا تاجاً لأعيادى

عتـــاب

يـا لاهـيـاً أيـقـظـت ظَـنـىً ... ومــلأتَ أكــوابـى ودَنـــىً
وسَـقـيـنـى كــأس الظنون ... وخمـرهـا عـبـثَـتْ بأمنى
إنــى أُعــيــذُكَ أن تظنَّ ... الحـب غـايـتـه الـتـجـنـىً
إن كـــان ذاك هـــواك ... فاستمرئ هواك ولا تدعنى
وكــما أردت وشـئـت كـنْ ... فـهـواى مـوصـول التمنى

***

أنــا إن لقيتك فى الكرى ... ألـقـاك تُـبـعـدنـى وتجنى
مــا ضَرَّ لــو أدنـيـتـى ... فى الحلم أو أقصيت ظنىً
وأنــا الــذى أنـشـدت فيك ... قـصـائـدى وأنـــا المـغـنـىً
وأنــا الــذى مـلأ الفضاء ... أغـانـيـا ومــلأت عينى
يـا ليتنى مـن بعض شأنك ... مـثـلـما أصـبـحـت شـأنـى

***

يــا مــن سـقـانـى الشهد ... من رضوانه وشجيت أذنى
يا من جلوت لناظرى الأيام ... فـــاتـــنـــة الـــتـــثـــنـــىً
فى خطوها أَرَج النعيم ... وقــد حــلا فـيـهـا التغنى
كن كيف شئت من الهوى ... يـا غـافـلا عـن كـل شأنى
بـيـنـى وبـيـنـك مـوثـقٌ ... ألا يـغـيـب رضــاك عنِّى

مجرى العبير

نَبَتَا على غصن الأراك وشابَتَها رُمانتين
وترجرجا فى نشوةٍ مفتونةٍ كالموجتين
ماذا على ظمأ المشوق لو احتسى من منبعين
نهدَين حار الشوق بينهما وحارت كل عين
ألقى القميص عليهما ظلًّا فغابا بين بين
حتى إذا انفرج القميص أطلَّ مجرى الشاطئين
ماذا على يد عاشق لو أمسكت بالتوأمين
وهوى بثغر ظامئ فوق التقاء الضفتين
مجرى العبير العاطر الأنسام مَهوَى الناظرين
من لى به فى صبوةٍ قد خلَّفت لى حسرتين
نارٌ تأجَّج فى الحشا وهواى مغلول اليدين
نهداك يا سمراء ما أسماهما من شامخين
نهداك يا سمراء ما أمضاهما من حربتين
إن حركت يدَ راغب حُرقٌ ورامت لمستين
وَثبَا ورَدَّا كل شرٍ مُحدقٍ بالغاليين
وارتدت الكف التى نالت جزاء طعنتين
وقضى الوفاء عليهما أن يُحرسا من كل عين

حنين

سقى الله عيشاً طاب فيه زماننا ... وأَورق فى ظل الهناء أمانى

نعمتُ به حيناً يُطالعنى الهوى ... بلذَّات من يهوى بغير هوان

أروحُ خَفوقَ القلب أخشى صدودها ... وأغدو قرير العين من رضوان

تقلبت فى عيش الصبابة منشدا ... روائــع لم تهمس بها شفتان

تردد أمواج الضفاف بشاشتى ... وتنشد أنسام الربيع بيانى

عفا الله عن يومى وحسبى ما مضى ... من الأمس فتَّان المطالع هانى

***

هواى على النهر المنوَّر شطُّه ... رعى الله سمراء الربى بجنان

لها النفس ظمأى والمطامع جمَّة ... على البعد سيان وحين تدانى

على أن قُرباً كيفما كان صده ... يـروح يمد القلب بالخفقان

فياشد ما ألقى على القرب والنوى ... ويـاشـدَّ ما ألقاه من هيمان

تعالَىْ إلى قلبى تواسين جرحه ... فليس له فى النائبات يَـدَان

أَحنُّ إلى مغناك يا غاية المُنى ... وما الشوق إلا من مُنى وحنان

سمراء النيل

يا جارة النيل أيامٌ بنا سَلَفتْ مضت كعمر الندى أو خفقة الحَبَبِ
ذكرتها وحنين الشوق نازعنى ورُمتها وهوى الخفاق يعصف بى
خفيفة الظل لو شاءت لخفَّتها أن تسبق الصوت نالت غاية الأرب
لقد تولَّت وفى أذيالها لهفى يعدو إليها ولا يشكو من النصب
ما شئتُ من أمل دان ومن قُبل ريَّانة الشوق فى وجد من اللهب

***

تذكَّرى دمعةً فى العين حائرةً من خشية البين أو من نشوة الطرب
تذكَّرى من خرير النيل مجلسنا يروى حديث الهوى من سالف الحقب
يروى إلى الشطِّ والعشاق قصَّته حلو البيان كرجع من حديث بنى
تذكِّرى خفقة فى الصدر واهِنَةً وسهمة العين تُنبِى عن دموع أبى
لما تـأذَّن يا سمراء مغترَبى وصوتك العذب يا سمراء فى طلبى

الصمت الهاتف

يا حُلوة التوديع صمتك هزَّنى وأنا الذى أبكاه ما أبكاكِ
أخفيتِ دمعاً مثلما أخفيتُه وأنا الذى أفنى الدموع هواكِ
وطويتُ ما بين الجوانح والحَشا مثل الذى أخفيته وشجاك
حتى التقى دمعى ودمعك فى الكرى ولثمت فى وَلَه المتيَّم فاك
ورأيتنى فى الحلم بين مفاتن من صَفْو ماضينا ومن ذكراك
يا حلوة العينين ذِكرُك ناضرٌ أسقيه من عينى التى ترعاك
وأصونه فى العين أو إنسانها فإذا نظرتُ فلا يبين سواك
يا ليتنى نغمٌ بسمعك هائمٌ يختال لو نطقت به شفتاك
هل تذكرين الضفتين وعهدَها وهُيام روحى فى سماء رضاك
والنيل يجرى أسمرا متهادياً يهفو إليك برغبة النسَّاك

***

فى الصدر واهٍ لا يقر قراره أبدا يحِنُّ إلى زكىِّ جَناك
قد راعه بُعدى وبُعدك حقبة ورأى مناه عزيزة الإدراك
فمضى إلى الذكرى يعاقر خمرها حتى أضاع صوابه ريَّاكِ
كيف الوصول على جناح توهُّمى لحِماك والوهم احتمى بحماك
صونى عهودا كالندى فى طهرها وعهود حبك ترتوى بنَدَاك

أين أنا؟

أيـن أنـت الآن أو أيـن أنا | يا هناء العين يا وحى المُنى
إنـنـى يـا أنـس أيـامـى هنا | أحسب الأيـام قد عادت بنا
حـــيـــث كـــنَّـــا | إن عدمنا الأمن والأمن عزيز فى الهوى
نـــتـــمـــنَّـــى | مزج روحينا كراحينا فلا نخشى النوى

***

حين نلقى الليل فى الأفق حَبَا | نسبق الليل إلى تلك الربى
بـين أفـــراح تناهت طربا | تبعث النشوة فى النهر النميرْ
أو حَنَا الضوء على هام الشجرْ | بين همس الطير من فرط الحذرْ
لا نُـبـالى إن طـوانـا أو نشر | إنما يسرى الهوى مسرى العبيرُ

***

كـــم تـســاجـلـنـا الحـــنـــانْ | وتــنـــاســيـــنـــا الـــزمـــان
وتـــغـــنَّـــيـــنـــا أمـــانـــيـــنـــا | إذا مـــا الـــبـــعـــد حـــان
واصطفانا الحـب فى إقباله | نـاشراً فى الجو أنفاس الحنين
دَبَّ منا الشوق فى أوصاله | فاغتدى يحنو على القلب الطعين
يا هناء العين يا وحى المنى | إنـنـى أنـكـرت أيـامـى هنا
أيـن أيامى ومـا أوحـت لنا | أيـن أنـت الآن أو أيـن أنا؟

قصّة

عَرضتْ وكان القلب من قيد الهوى ... طلقاً ومن وجد الصبابة خالى
فتلفَّتتْ عينى تُحاذر أن ترى ... من قد عساه رأى تحيُّر بالى
فلقد ترنَّح خافتى وتحدثت ... عينى بما أخفيت بين مقالى
وسرى شعاع الحب يُوقظ خاطرى ... ومضت منارته تُضىء خيالى
مال الدلال بها ومال بى الهوى ... شـتَّـان بـين مـآلهـا ومـآلى
حتى إذا ملأ الهـوى أقداحه ... لم تـبـق فىَّ بـقـيـة لـنـزال
إنَّ الذى خلق العيون فواتكا ... خلق القلوب لها حَصاد نِضال

***

طال انتظارى للأمان فذُقته ... وشربته ورويْـت منه رمالى
والله ما بعد الـغـرام وطيبه ... طِيبٌ وما صدق الهوى بضلال

***

بين الزمالك والمعادى ضَمَّنا ... نـيـلٌ أحـبُّ إلىَّ مـن آمـالى
تتهامس النسمات بين ضفافه ... كتهامس الأضواء فى الآصال
من لم يذق شوق الليالى فى الهوى ... لم يلق شُهدا من عَصِىٍّ وصال
لك يا فتاتى ملء نفسك عزة ... يروى مواقفها الجبين العالى
أحببت فيك كرامة ومعزَّةً ... وطويت عنك مذلَّتى وسؤالى

وأنا الذى أيقظت فيك كوامنا		مــن فتنة ونــضــارةٍ وجمــال
وجلوت حُسنك ما سألت تساجلا		هــواك لمــا دبَّ فى أوصــالى
فسقيتنى بالعز شهدا صافيا		ورويت عهدك بالوفاء الغالى
هيهات يبلغ بالمذلة عاشقٌ		وَطَــرا وما نيل المنى بمحال
إنَّ الهــوى إنْ ذلّنى بمهانة		أدع الهــوى وذويــه غير مُبال

***

قالت تُطمئِن خافقاً لعبت به		أيدى الظنون وقد دنا ترحالى
«وإذا العناية لاحظتك عيونها		نَم فالمخاوف كلها لـزوال»

***

يا بنت أحلامى وصُنع تخيلى		وهوى هواى وكلَّ همٍّ البالى
إنــى أرانــى فى الحياة موكَّلا		بهــواك لا أخشاه باسترسالى
وأراه مقسوماً أكــابــد همه		فى حال حرمانى وحال وصالى

من وحى المعادى

يا نديم الليل فى ظل الرُّبى غَـنِّ فالدنيا ربيعٌ وشباب

والهـلال الصبُّ ريَّـان الصبا هائماً يختال فى وشى السحابْ

يـا حـبـيـبـى دع عيونى تحـتـسـى مـــاضى رضـــاك

يـــا حـبـيـبـى دع ظنونى تجـتـلـى زاهــــى صـفـاك

***

حولنا ليل ونـيـلٌ ساهرُ يا حبيبى تحت أقدام المعادى

إنّـنـى فى الحـب طـيرٌ شاعر فى الـرُبـى أمـضى أُنـــادى

***

يـــــا حـــبـــيـــبـــى صبُ فى أُذنـى أناشيد الهوى

قبل أن يمضى بنا هذا الشباب

يـــــا حـــبـــيـــبـــى منيتى ظَمأى وقلبى ما ارتوى

من جناك الحلو يا نبع السراب

لا تـدعـنـى يـــا حبيبى بعد أن أسـعـدت روحـى

كـــل مـــا حـــولى حبيبى راحــــمٌ يـأسـو جـروحـى

صبَّ من عينيك فى عينى الحنان
أنت لى عونٌ على غدر الزمان
يــــــا حـــبـــيـــبـــى

يا حبيبى وامزج الروح براحى
يا حبيبى أنت راحى ومراحى
غنِّ لى وابعث أناشيد الهوى
تُطرب الدنيا بأحلام الشباب

يــــــا حـــبـــيـــبـــى

مُنَيتى ظمأَى وقلبى ما ارتوى
من جَنَاك الحلو يا نَبْع السراب

أهلاً وسهلاً

أيــن يــا خــافــق وَلّى ... مــن غــدا همّــاً وشُـغـلا
كـــان وحـــيـــاً مـــا تمّنى ... الـقـلـب إلا أن يـظـلّا
كـــان نَـبـعـاً مـــن صـفـاء ... الخُـلـد فى الـدنـيـا وأحـلى
كـــــان طـــــيراً رفَّ ... حـول الـروح أيـامـاً وولّى
إن يـكـن هـجـراً فحسبى ... أن يـــراه الـظـنُّ دَلّا
أو يـكـن دلّا فبعض ... الـدل كـم مَـنّـى وسَـلّى
كـل مـا أبـغـى لـقـائى ... مـــن تـــولى لـيـس إلّا
شـارحـاً وجـدى لَـعـلّ ... الـوجـد يُـدنـى مـن تَسلى

***

يـا نديم الـروح إن الرفق ... بــــــــالأرواح أولى
كـنـت لى عـونـاً وكـنـا ... نـقـطـع الأيـــام مـهـلا
لا نُـبـالى يـا نـجـى ... الـــروح دهـــراً زاد محلا
كـيـف كـان الـنـجـم بـدراً ... ثـــم بـــات الـعـــزُّ ذلا
لا تـكِـلـنـى لـلـيـال ... أضـمـرت لى الـيـوم غِـلا
بـعـد أن بـاعـدتُ ... من أجل الهـوى خِلا وعقلا
كـيـف أحـيـا الـيـوم أيـا ... مـاً تـراهـا الـعـين ليلا
أنــت والأيـــام أخـــ ... ــصـامى فـما أبـقـيـت خِـلا
أيـن مـن عـيـنـى حبيبٌ ... كـــان لى أهـــلّا وسـهـلا

حديث

تلفتت ثم قالت وهى باسمةٌ كأننى لا أرى من حولنا أحدا
ولّى الرقيب ونامت عين حاسدنا أو غاب عذلُنا أم ذاك منه بَدَا

***

فقلت يا ضوء عينى لم يغب أحدٌ والناس من حولنا ترنو لنا حسدا
لكنَّ سحر الهوى ألهى بصائرنا وذاك من سحره أن ظل متقدا
تبارك الحب ما أندى تساجله والله فى عون من يصلاه منفردا

***

فمن رآنا بحمد الحب يحسبنا أنا غدونا كلانا واحداً أحدا
ومن نراهُم بعين الحب نَحْسبهُم طيوف حُلم كرَى والصوت رجع صدى

كيف أنسى

قالت ستنسانى إذا طال المدى ... وتـــرُوحُ غير مقيدٍ بتوددى
وكما نسيت على الزمان كواعباً ... تنسى هواى وما الهوى بمخلَّد
فاهنأ بإقبال الزمن وطيبه ... واشرب على طَللَ العهود وعربدِ

***

قلت اسمعى عصف الهوى فى خافقى ... أو إن أردت كما عهدتكِ فاعتدى
شرف الهوى فى أن يدوم وفاؤه ... وهوى الوفاء على الدوام مقيِّدى
وهواك بين جوانحى متجدِّدٌ ... قسما بحق شبابك المتجدد
لا تسألينى كيف أبقى ذاكرا ... فأنا الأمين على غرامٍ مُسعدى
لا تسألينى كيف أبقى صابراً ... فأنا الذى بضياء روحك أهتدى

***

وأنا الذى سكنت حَشاه صبابةٌ ... عصماء تزهو بالوفاء المفرد
أنا إن نسيت فكيف أنسى ثغرها ... أيضلُ ظمآنٌ سبيل المــورد
أنا إن نسيت فكيف أنسى شعرها ... من مُطلقى من شعرها المتمرد
أنا إن نسيت فكيف أنسى نهدها ... ياما أَجلك فوق صدر عسجدى
أنا إن نسيت فكيف أنسى خصرها ... ما فى الغصون كخصرها المتأوِّد

يا ظبية البيد اتقَّى شرر الهوى   فالحب مُجزى أين كان المعتدى

***

إنــى رأيــت بعين ظنى أنَّنى   ألقاكِ من بعد انتظارى فى غدى

فتسائلين النفس مَن ذاك الذى   يــرنــو إلىَّ بنظرة المتعبِّد

أين التقينا؟ أين كان لقاؤنا؟   ومتى وكيف؟ فهل نسيت قصائدى

وإذا عَيِيت عن الجواب فإنَّنى   من كان يُدعى إن نسيتِ بأحمد

همسات ظنى

أغار عليك من همسات ظنى وحسبى أن أغار عليك منِّى
وأنـت هنيَّة فى روض حبى وتسقين الخواطر خمر ظنِّى
وفى عينيك آثــام الليالى بـدتْ لعيون ظنِّى لا لعينى
فـأيـن نـظـرتِ تبتعثين هما يداعب كـلَّ صـبٍ بالتمنى
وأيـن خطرت تنتزعين أمناً وما برحت عيون الغيد تجنى
ومن شفتيك ينسرب ابتسام يُضلل من يلاحقه ويُضنى
دعينى أبتغى أمناً لروحى وهيهات الأمان وأنت شأنى

***

ملكتِ خواطرى فنسيتُ أمسى وأُنكر حاضرى إن غبت عنى
وأنظم فيك من دمعى عقوداً ومن شعرى أغاريد التمِّنى
وفيك تطيب ألحانى وتسمو فأنت قصيدتى وأنـا المغنى
فإن أعرضت سال اللحن يبكى وإن أرضيت قلبى طاب لحنى

***

تعالىْ واخطرى فى خفق قلبى تعالى وامرحى فى جفن عينى
تعالى أنــت من دنياى همِّى وأنـتِ قصيدتى وأنـا المغنِّى

من وحى النيل

ورْقاء غنت على أيكٍ لتسجينا ... يا ليتها علمت مـاذا تُغَنِّينا
صدَّاحة اللحن إلا أنه نغمٌ ... لم يقو يوماً على إرواء صادينا
نوحى بنجواى إن يممت ربْوتها ... وذكِّريها - إذا شاءت - لياليِنا
وبلغيها - وقد شطَّ المزار بنا ... أنا على العهد إن غبنا مقيمونا

***

يا جارة النيل أيامى بكم سعدتْ ... والنفس كم نعمت فى ظلها حينا
يا جارة النيل بات الحُلم سامرنا ... وفى مغانى الكرى أمسى تلاقينا
بالله يا طيفها زُرنى إذا غفلت ... عيناى - أو أرِقتْ - والليل حادينا
ثم اروِ عنَّا إليها ما أكابده ... أو فابك عنَّا فقد جفت مآقينا

***

يا جارة النيل هل من آجلٍ مَرِحٍ ... يضوى له الغيب من بُشرى تلاقينا
صونى عهود ليالٍ طاب موردها ... فما لقيت لها من بَعدكم لينا
يا سعد من بات شدو النيل يُطربه ... ويا هناءة من يشقى بوادينا

النهر الأسمر

غَنِّ يا أسمر واجرى مثلما يفعل فكرى
أين من واديك وادى النيل مزدانًا بنَهْرى
لى على شطّيه سمراءٌ إليها الروح تَسْرى
كم على شطيه سمرائى تغنَّت لى بشعرى

***

تسمع الدنيا أغانيها فتستَمهل فجرى
كم تبادلنا وفاء صُنتُه من عين دهرى
لا أرانى الله يوماً تبتغى لى فيه هجرى
إنها دهرى وأيامى وزادى وهى عمرى
إنها والله بعد الله إيمانى وذُخْرى
إننى يا عزُّ إنْ أسرفت لى فى الحب عُذرى
إننى غَيْرانُ والغيران يدرى بعض ذعرى
فاغفرى فالذنب حبى والهوى كأسى وخمرى
وانظرى أمرى بعين الحب يا نهيى وأمرى
ردَّنى الله إلى واديك يا سمراء شعرى

صارحينى

اذكرينى إننى أمسيت لا أدرى أنا — مـــــن أنـــــا؟
وارحمينى أنْ تقولى إنْ دنا يومُ الهنا — مـــــن أنـــــا؟
فى الـــدُجـــى أبـكـى — وحـوالـيـك مجـالى حبِّنا
مـــن أســى شـكِّـى — وكفى النيل بـواديـك غنى

***

انظرينى فى دمـوع الفجر — أو لـون الفضاء فى الشَفَق
واقرئينى فى نـواح الطير — أضـنـاه الـغـنـاء فى الأُفُـق
يـــا رجــــاء الـقـلـب — إنْ عـــزَّ الأســـاه

***

خـبرِّيـنـى إنـنـى أخشـاك — لا أخـشـى الـزمـن والفتن
صـارحـيـنـى إنـنـى أهـواك — لا أهـوى الشجن والمحن
سـامحـى حـبـى واغـفـرى — شـكـى وأوهـــام الـظـنـون
بـــادلى قـلـبـى بـالهـوى — حُـبـاً وبـالـشـكـوى يقين
واسمعينى فى خرير النيل — أو مَسرى النسيم فى السحر
واذكـريـنـى إن قلبى عهده — بـــاقٍ مـقـيـم مـا غَـــدَر
يـــا هـــنـــاء الـقـلـب — فى لـــيـــل الحـــيـــاة

أمسى

شُغلت لفرط الحب عنك وعن نفسى | فما مَرَّ من عمرى سوى زاهر الأمس
ويومى وليد ليس لى فيه سلوة | ولا فيه لى ذكرى يطيب بها حِسِّى
ولا أشتهى الآتى وأخشاه إنْ دَنَا | كمن بات فى خوفٍ من الجنِّ والإنس
وها أنا لا يومى أعيش ولا غَدى | وأصطنع السلوى فيغلبنى يأسى
ولو أنَّ لى فى آجل الغيب مأمناً | لأبقى على أنسى وطابت به نفسى
وعشت به ألهو سعيداً بوحشتى | على غير خوفٍ من غيوبٍ ومن هَجْس

***

ولكن عدمت الأمن والنوم والمنى | وقيَّدتنى بالسُهد والبعد والأمس
وقد ملنى عمرى وطال انتظار ما | أمنِّى به عمرى من الرغد والأنس
غدوت غريب الدار والأمس موطنى | ويا ويل من يحيا غريباً بلا أمس
عزائى زمانٌ عشته غيرَ طالبٍ | لليلى نهاراً مُذ غنيتُ عن الشمس

***

فقد كنت لى شمسى وأنسى وراحتى | وكنت نعيم البُرء وافى بلا نُكس
فياليت ذاك الأمس خلّف لى غداً | لكنت به أغنى عن الكون والأنس

همس الخاطر

يـا غائباً أوحـشـت مهدَك — عِـش أنـت فى عينىَّ وحدك
سل ما أردت سـوى النوى — أنـا لا أطـيـق الـيـوم بُعدك
حـاشـاى إن نـاديـتـنـى — وطلبت روحـى أن أردك
أو كنت تـرضى لى الصد — ود فـإن قلبى لـن يصدك

***

يا من يؤرقنى هـواه من الـ — ـهجـوى ورضـيـت قيدك
أنـا فى هـواك فـراشـةٌ — تمـضى الحـيـاة تُـشُّـم وَردك
أنـا يـا حـبـيـبـى طـائـر — عند الـغـديـر يـؤمُّ وِردك
أنـا فى ريـاضـك يـا حبيبى — هـائـمٌ يـسـتـاف شـهـدك
كـلُّ الـرغـاب لـغـايـةٍ — إلا اشتياق هـواى عهدَك
وحـيـاة عينك يـا حبيبى — قـد مللت العيش بعدك

ربيعى

أغالب فيك شوقى وهو مضنى ... وحسبُك أن يغار الشوقُ منى
أكـابـد وقـــدهُ وأغـــار منه ... عليك وأنت فى إنسان عينى
فأين نظرت فى زهر الخُزامى ... أو النسرين أو فى فرع غصن
رأيـتـك والنسائم هائمات ... تميل عليك فى وَلَـه المغنى
فأحسدها وأنت بجفن عينى ... أخاف عليك من أهداب جفن
ربيعى فى رضـاك على تـدانٍ ... لأكسو فرعك الممراح فنى
ونَفْنَى فى الغرام على هناءٍ ... وأنهـل من لمـاك سُـلاف دَنِّ
وتسقينى الـوداد فكم ليالٍ ... سقتنى سهدها وسَلَبْنَ أمنى

***

تعَالَىْ فالربيع الغضُّ نادى ... على العشاق بالنَغم الأغنِّ
تعالى فالربيع بغير نجوى ... ربيعٌ عاطل من كل حسْنِ

رغائب

شتَّى الرغائب فى هواك تُحدِّق | وتمد أسباب الـوداد وتسبقُ
ومن العجائب وهى فى صبواتها | تقسو عليك يدى وقلبى يشفق
وهوى عيونى وهى فى تسبيحها | ترجو نوالك وهى باسمك تنطق
وفمى الذى سكنت مُناه رغيبةٌ | رعناء يهفو للرحيق ويخفق
متقلب الـرغـبـات إلا أنها | لا تنتهى وجديدها يتدفق
سكرت شفاهى فوق ثغرٍ عاطرٍ | فأظلها ظَلمٌ يَضوع ويعبَق
وصبت إلى أرج النهود رغائبٌ | يغرى بها مجرى العبير ويغدق
وهفت إلى الصوت الحبيب مسامع | نشوى يُدغدغها هوى وتشوق

***

يا من لها الشوق المقيم بناظرى | وبخاطرى إنى بعهدك موثق
وإذا تناهى الحب وامتلك النهى | سيان أسبح فى الهوى أو أغرق

ليتنى وعساها

اسقنى حتى ترانى ... لا أرى شيئاً سواها
أو إذا ما شئت دَعنى ... لا أرى خمراً عَدَاها
أين من راحى رضابٌ ... بات للنفس مُناها
إنها خمرى وراحى ... وهى للعين ضياها
نشوةٌ تسرى بقلبى ... كلما لاح سناها
آه يا قلبى حنانيـ ... ـك فما سهلٌ رُباها
آه لو فى الحب تلقى ... ما عَرَانى قد عَرَاها
روضةٌ بالحب تزهو ... يا رعى الله جناها

***

هل أبيت العمر يا قلبـ ... ـى ترانى وأراها
وترى فرط شجونى ... من وُلوعى فى هواها
وأرى الحسن ينادبـ ... ـنى ويقصينى جفاها
فتنةٌ للناس رَبِّى ... قد كساها ما كساها
آه لو بالنفس أقضى ... ساعة أشكو جواها

***

امــــلأ الأقــــــدام يـــا سا　　قــى ودَعْ عـيـنـى تـراهـا

وهــى مــلء الـعـين نشوى　　وأنــــا أحــــســــو بهــاهــا

لـتـنـى خـمــرٌ أذابـــت فيه　　مـــن فـــيـــهـــا شــــذاهـــا

لـيـتـنـى كـــأسٌ تُـقَـبِّـل　　كـــلّـــما أدنــــتـــــه فـاهـا

لـيـتـنـى فى الـلـيـل طـيـفٌ　　إن سـجـا الـلـيـل رعـاهـا

قــد غَـــدَا مـنـهـا نصيبى　　لـيـتـنـى أو قـــد عَـسَـاهـا

النوى الحادى

يا بسمة العمر ولىَّ ضوؤك الهادى　　وداعب الوهم قلباً شوقه بادى

فلاحَ برق الأمانى فى جوانبه　　الوهم أغواه أم أغراه إنشادى

وراح يلهو غريرا لا تفارقه　　تعلةٌ من أمانى الظامىء الصادى

إن قلت يا قَلب عينى اليوم صادقة　　ترى السراب فلا يلويه إرشادي

***

هل يشفع العذل والأوهام سابحة　　فى زورق من مُنى ملاحه شادى

أدنيتِ يأسى وما أبقيت لى رشدى　　أهيم لا أنتهى فى نوره الهادى

إن كنتِ نائية أو كنت لاهية　　عنى انطويت على شجوى لميعادِ

لكن رحلت مع الأيام فى غَسَقٍ　　على جناح غُيوبٍ والنوى حادى

أينقضى العمر والأيام تسلبنى　　عمرى وما حفلت يوما بإسعادى

وأحسب الفجر إذ ألقاه مبتسماً　　ضياء ثغرك لما عزَّنى زادى

وأحسب القوم من لقياك فى مرحٍ　　فرُحت أسأل عنك الرائح الغادى

***

سألت قطر الندى لما بدا حِدَقاً　　على الأزاهر قال اسأل رُبىَ الوادى

فرُحتُ أنشدها فى ربوة جمعت　　من المفاتن ما يزهو بإرفاد

قالت رفعت لها عرشاً تتيه به		على الخرائد من غيد وأنـدادِ
ورُحـتُ أسألها أيّـان أطلبها		قالت غدت مَلَكا فى شعب قصادى
أين الليالى التى بدّدت ظلمتها		وأين ماضى الهوى من عهدنا النادى
أين العيون التى كنا نغافلها		عند اللقاء وأين اليوم حُسادى
إنى طريح الضنى والوهم خَيَّل لى		مرأى خيالك وافى بين عوادى

دنيا

يا هاجري دَعْني أراك ... فالكون لم يشمل سواك
فلأنت دُنيا يحتسي ... منها المفاتن من يراك
ولأنت كونٌ قائمٌ ... فيه السلامة والهلاك
فيه الصبا والحسن ... والوصل المعلق بالشراك
فيه الرضا والصفو ... والخير المؤمَّل فى صفاك
فلئن أبَيْت علىَّ أن ... ألقاك لم أعدم رؤاك
والعين إن جاوزتها ... فالحلم يعرض لى بهاك
والروض يلقانى فألقى ... فى أزاهره لماك
والنجم فى لألائه ... وسناه لا يعدو سناك
أو إن تجهَّم لى الزمان ... وضنَّ ذكرنى جفاك
والخير فى دنياى يا ... دنياى من غالى رضاك

***

أنا يا حبيبى عاشق ... أستاف فى الدنيا شذاك
فلئن صبوتُ إلى الجمال ... ففى الجمال أرى أخاك
ولئن نهلت الحسن من ... دنياى لا يغنى غناك

إنــــى ســألــتــك بــالــعــيــون — الــســود مــذ كــنَّ الــشِّــبــاك

أن تـــرحـــم الخـــفَّـــاق فى — صـــدرى ودعْ عينى تــراك

***

حجبوك عنى يــا حبيبى — أم هـــوى غـــيرى دعـــاك

حـــجـــبـــوك لمـــا أيــقــنــوا — مــن صـبــوة مـلـكـت نهـاك

لهـفـى عليك وقـــد تكون — عـــلى فـــراش مـــن ضــنــاك

يــا لــيــت بــى فــوق الهــوى — هـــذا الــضــنــى ممــا عَـــرَاك

سراب الأمانى

تسألينى كيف أصبحت — وفى عينى الجواب؟
اقرئى فيها سطور السهد — من ماضى العذاب
وانظرى منها إلى قلبى — لعلَّ القلب ذاب
واسأليه اليوم عنِّى — نحن فى البلوى صِحاب
كلَّما حذَّرته من — يوم صدٍ واغتراب
قال هذا الشأن شأنى — أجره لى والعقاب
إنما عشقى فنونٌ — ليس يحويها كتاب

***

يا رعى الله محيًّا — ضاء من بين السحاب
مالئاً آفاق روحى — بالأمانىِّ العِذاب
يوم أقلبتِ وفى — عينى وعينيك الجواب
يا تُرى يا مبعث — الوحى أمانيك كِذاب
فالمنى شيَّعتها من — قبل أن تُمسى سراب

***

يا رعى الله ظلاما — قد طوانا فى حجاب
وانتحينا وحديثى — آهة الشوق المذاب

وانـصرفـنـا عــن شـئـونٍ تـتـهـاداهـا الـصـحـاب

***

نبتغى مــن لمــس أيـدينـا عــنــاقــاً أو عــتــاب
من عيون النرجس النعسان نــمــشــى بــاضــطــراب
خـشـيـة الــواشـين مـذ كـانـت وشـايـاهـم ضباب
والهـــوى الـغـالى شـمـوعٌ نـفـتـديهـا بـالـرقـاب
دارِ شَـمـع الحـب يبقى فى ضـيـاء والـتـهـاب

***

مـا لـقـلـبـيـنـا لـفـرط الحــب نـاءا بـالـرِغـاب
ما لعينينا لـفـرط الحب تهـمـى كـالـسـحـاب
مـا لأيـديـنـا أمـانـيـهـا تـنـاءتْ بـارتـيـاب
آه لـو نـامـت عـيـونٌ وتهـاديـنـا رغـاب

***

بـادلـيـنـى بـالهـوى من قـبـل أن يـمـضى الشباب
وَصِـلِي مـا بـيـنـنـا فـالـوصـل ضـمٌ واقـتـراب

وعود

أيـــا لـيـتــه مــا وَعَـــدْ ويـــا لـيـتــه مــا ابـتَـعَـدْ
فـــلـــو أنـــــه حـــاضرٌ بـديـلَ الـنـوى مـا وَعَـد
ولـكــنَّ خُـلْـفَ المـواعـيـد طـبـع الهـــوى والـغَـيَـد

إعراض

يا مُعرضاً عن غرامي ... ومُمعناً في جفاه
وَغائباً عن مُحب ... وساكناً في حَشاه
لبيَّ ندائيَ طيفٌ ... أسعى إلى رؤياه
ثم انثنى الطيف عني ... إلا شذا ذكراه
قُل لي السبيل لألقى ... مرآك أو مرآه

رجاء

تقولين دعْ عنك هذى الهموم وَعشْ خالى القلب يا خاليه
فكيف تناسيت أنك همى وأنى هويتك يا ناسيه
وقد كنتُ قبل هواك الخلى ولم أدر ما الهم يا جانيه
ألا ليت بعض الذى بى ينالك أو لا فديتك مما بِيه

***

هواك جرى فى دمى فاعلمى بأنى هويت إلى الهاويه
وأنى خلعت عليك البهاء وصرت بحمد الهوى غانيه
وذوَّبت فى وجنتيك الضياء فضاءت بك الليلة الداجيه
فلا تبعنى فى الهوى غيرتى فإنى خلقُتك يا غاليه
ولا تعبثى بهواى الوليد فإن جروح الهوى دانيه
أخاف عليك تباريحها وقد كنت من قبلها هانيه
وأمضى أكذِّب منك الأنين وأفكر نغمته الباليه
دليلى على الود خفق القلوب ووقع الشفاه على الثانيه
فأسمع رجع هواى الأبّى وأعلم أسرارك الخافيه
ويا طول شوقى إلى ضَّمة تشى بحنانك يا لا هيه
دَعينى أقبِّل قبل اليدين فماً قال لى إننى راضيه

نسيان

زيدى صدودك فى الهوى وجفاك   وتـــردَّدى فعساى أن أنساك
وَدَعِى هواى يجف فى أغصانه   ظمئا إلى قطر الهوى ونَـداك
فلعلَّنى إن جفَّ أسلُو صبوتى   وَتغيب إن عز الجنى ذكراك
وأودُّ لو أسلو هواك فأنتهى   بتذكرى أنَّـى سلوتُ أساك

أوهام

أنـــتِ الـتـى عَبثت بأمنى ... ومـــلأتِ بـــالأوهـــام دَنـــىِّ

يـا حـبَّـذا كـأسٌ مُشعشعةٌ ... بـــأطـــيـــاف الـتـمـنـــىِّ

كـــان الـغـــرام ولم يـــزلْ ... أنـــشـــودة والـشـعـــر فنى

أمـــضى أرتـــلـــهـــا ولا ... أصـغـى إلى هَمَـسـات ظنىِّ

وغـــدا هـــواك صبابتى ... وغـــدوتِ أنـت جميع شأنى

***

لا أشتكى حُـرق الـغـرام ... إذا نـأى بـالـوصـل عَـنـىِّ

فـأنـا الـــذى رضـع الجـوى ... وشـــدوتُ بالشجَن الأغَـــنِّ

فـــــإذا شربـــتُ الـيـــوم ... كأسك لا يُروِّعنى التجنىِّ

وإذا ضننتِ فـإن طيفك ... يـــا ضـنـيـنـة لم يَـدَعـنـى

ألـقـــاه فى صـحـــوى وفى ... حُلُمى وفى خَلَجات جفنى

وأكـــاد أفـــضى بـالـــذى ... أُخـفـيـه والأسرار تُضنى

وأهـــم بـالـطـيـف الحبيب ... أضـــمـه لـــو كـــان يُغنى

هيهات أغـنَـى عـن مـذاق ... الخـمـــر بـالحـب المنى

هيهات أغـنـى عـن رخيم ... الـصـــوت بـالـوتـر المُـــرن

***

في خـاطـري أمـلٌ وبـين جـوانـحـي مـثـواه مِـنـي

لا تـسـأليـنـي واسـمـعـي مـا أشتهي في رجـع لحني

وَسَـلِي عـيـونـك وهـي تدري كيف تُبعدني وتدني

وهـواك مقسومٌ أكـابـده ولا يـنـفـك يجـني

***

طـالـت همـومـي في الهـوى وعدمت عند الناس أمني

وغـدوت ألـقـي عطفهم نـغـماً أكـذِّب فـيـه أذنـي

فـترفـقـي بـي إن بـدا لك أو دَعـي قـلـبـي وشـأنـي

بنت أوهامى

مـا أنــت إلا خَـلـقُ عينى ... وظـلالُ حُسنك صُنع ظنى

وجمـال روحـك مـن صنيع ... تـوهُمـى وخـيـال فنى

وَلـيـان غـصـنـك صـورة ... أنـشـأت فتنتها بعينى

ورنـين صـوتـك مـا جرى ... فى مَـسْـمَـعـى إلا بـإذنـى

وقَّـعـتِـه وشـدوتـهِ ... نـغـماً أحـبـِّـبـه لأذنـى

***

وسـبـحـتِ فى أفـقـى ... وكنت لخشيتى أقصيك عنى

شطِّى رقيق واصطخابُ ... المـوج فى عينيك مُضنى

أدنـيـتُ مَـوجَـك وهـو ... بَـعـدُ تـعِـلَّـة بيـد التمنى

وتـعـلَّـة الـفـنـان ... أوهـام تـلاحـقـه وتضنى

بـيـدى أثـرتُ كـوامـنـا ... مـن صـبـوةٍ عبثتْ بأمنى

وأقـمـت تمـثـالاً جمعت ... شِـتـاتـه مـن كـلِّ حُسن

هـذى جـنـايـةُ مـا ... صَـنَـعْـتُ فليته يرتد عنى

***

يـا بـنـت أوهـامـى وصُـنـع ... خـواطـرى ورنـين لحنى

أنـا لم يَـرُعـنـى يـا فتاتى		مـنـك صَـدٌ أو تَجـنـى
فـلـقـد حـفـظـت عـلـىَّ مـاء		الـوجـه مـن سـؤلٍ ومـنِّ
لا كـان إلهـامـى ولا وَحـى		ولا قُـربـى وبـيـنـى
إنـى أُحـطـم مـا صنعت		عـسـاه يـتركـنـى وشـأنـى
وأريـق فـوق ثـراه كـأس		تـوهُمـى وخمـور ظـنِّـى

بخاطري وبرغمي

مادام حُبك دأبي — لا يبرح الظنُ قلبي
وكيف أبغي أمانا — وأنت والظن قُربي
لكلٍّ ماضٍ وغادي — غَمزٌ بلا ميعاد
وكيف يصفو فؤادي — والظن في الحب يَسبي
عيونك السود همِّيَّ — بخاطري وبرغمي
وحيث تنظر ترمي — وسهمها صاب قلبي
في ظل هدبك خالٌّ — في سحره يختال
أفعاله أهوال — وذاك من أمر ربيِّ
فيم التساؤل عنيِّ — وعن هواي وشأني
وأين أرنو بعيني — أراك والظن يربي

***

ملكت آفاق رَوحي — وفيك طال طموحي
وما أسوت جروحي — والذنب لاشك ذنبي
أين الذين تولوا — عن الغرام وملُّوا
يا ليت حبي يقلُّ — هيهات والظن دأبي

مَوْعد

أسعَدَت روحى بصدق الموعد   يا تُرى أسعدتها يا موعدى
كـان فى ظنى شُعاعاً غـادراً   ســادراً فى غـدره لا يهتدى
كـان فى وهمـى سرابـاً عارياً   آه لو بالصدق يوماً يرتدى
أقبلى فاليوم يومى فى يدى   آه من أمسى ويا لى من غَدِى

***

ناعسَ الجفْنِ الذى أيقظنى   مذ دعانى قلت مُرْ يا سيدى
عشْتُ قبل اليوم أخشى فتكه   وانتهى أمرى بحب المعتدى
جفنُه غَـمْـدٌ لنصلٍ فاتك   ما نَبا يوماً ولا صدَّت يدى
إنْ أنـا جَنَّبْتُ قلبى سهمه   قـال لى قلبى فِـداءَ الأغيد

***

يـا فتاتى أسمعينى نغمة   يرتوى من جَرسها قلبى الصدى
أسمعينى نغمة أهـفـو لها   من إذا ولَّيت عَنى مُسعدى
واطربى قلبى الـذى أيقظه   جفنك الناعُس عمدا وانشدى
هكذا شاء الهـوى أن نلتقى   يـا لـه مـن جـامـعٍ ومُـبـدِّدِ

***

أنتِ من دنياى وحيٌ مُلهم أنت ينبوعى الشهىُ المورد

زودينى قبل أن ألقى النوى وهو لا ينفكُّ يلوى مقصدى

لاغَدٌ لى اشتهى مطلعه أو لذِكرى الأمس يهفو خَلدَى

وأنا من حاضرى فى نشوةٍ فاسعدينى الآن أولا تَعِدِى

قلت وقالت

حبى ظنونٌ واشتباه ... يا ليتنى أدرى مداه

لأريح قلبى ساعة ... مما أراه ولا أراه

والشكُ نارٌ فى الحشا ... والشك يطوى ما عداه

والظن يحجب كل صدق ... إن بدا يوما هُداه

والصدق متهم وإن ... نطقت به أحلى الشفاه

***

قالت رويدك واستمع ... لأنين قلبى من جواه

قلت استمعت فلم أجد ... حباً ولا قلباً حواه

قالت عهدتك شاعرا ... والشعر صورة من رَوَاه

أتُرى لو أنى قلت شعرا ... ناب عنى ما احتواه

قلت انظمى فالشعر مكذوبٌ ... كما اصطلح الرُّواه

قالت أما صدَّقتنى ... لتُريح قلبك من ضناه

قلت استراح ومات من ... فرط الذى صنع القساه

قالت وحق هواك أنت ... وحيدُ قلبى فى هواه

قلت الوحيدُ مُدلل ... وينال فى الدنيا مناه

***

قالت بحق مدامعي ودموع أجفاني عُصاه

قلت الدموع سلاح من يُدمي ولا تجني يداه

قالت متى تصفو وتصدقني الحديث بلا اشتباه

قلت الهوى زهرٌ وهذا الشك في حبي نداه

لكن شكيٍّ فاض حتى كاد يُغرقني مداه

والظن في دنيا الهوى بدءٌ يُقرب منتهاه

جودي قليلا بالنوى فنواك أصدق من سواه

فلعلَّني إنْ غبت قلبي لا يلين لمن جفاه

وهواك مقسومٌ أكابد منتهاه كمُبتداه

اذكرينى

اذكـــــــــــــــرى عندما أمضى إلى دانى الرحيلْ
أمـــسـيــاتــى الحـــالمـــاتْ

وانـــــــــــثُـــــــرِى ذكرياتى فى أويقات الأصيل
والــعــشــايــا الــزاهـــرات

واذكرينى كلماغرَّدَطيرفهوقلبى وهـــــو بـــــاق هـــا هُــنــا
وارحمينى عندما يخطر فى بالك حبى أيـــنـــما كُــنـــت أنـــا

***

يـــا رعـــى الله زمـــانـــا راقـــنـــا مـــنـــه الأمـــان
يـــا رعـــى الله مـكـانـا طـــاب لى فـيـه الـزمـان

اذكُــــــــــــــرى أيَّ كأس من يديك الحانيه
قــد بـــدالى الــشــكُ فيه

واعـــــــــــــــذرى عاشقا أشقته دُنيا جانيَه
فـــرأى فى الـــنـــورتـيــه

***

واســـعـــديـــنـــى | إن بعثت الطيف يوماً فى الكرى
حـــامــلا صـــافى الـــوداد

وارحمـــيـــنـــى | من غـرام باع قلبى واشترى
فى الـتـــدانـــى والـبـعـــاد

هـــاتِ مـــن فـيـك الـرضى | هـــاتـــه مـــن شـفـتـيـك
إنـــما الحـــب قَـــضى | أن أُلـــبـــىّ نـــاظـريـك

دَفقة النعيم

كيف أنساك والتذكُر أنسى ... ونديمى إن عــزَّنــى نُدماء
فهو كـأس ترنحت بيمينى ... وهى نشوى وفى اللهاة نداءُ
ملمس الكأس للعِطاش غراء ... وجَنى الكأسِ مُنية عمياء
دغــدغــتــنــى يــد الـتـذكــر ... والشعر وحبى وكلهم عُشراء
سائلوا الكأس هل أذابت شفاهاً ... صاديات فى صمتهنَّ دُعـاه
وسلونى عن الشفاء أذابت ... من كـؤوس فى لمسهنَّ شفاء

***

أنت يا دفقةَ النعيم طِلابى ... أنت فى الكون نشوتى الرعناء
فيك من فـورة الربيع شبيه ... ومــن الخـمــر راحــة وعناء
يــا شراعــاً دفعته بنسيمى ... سار فى اليمِّ والغرام ضياء
لا أنى أذكر التليد من العهد ... وحُـــبِّـــى لا يـعـتريـه فناء

***

كـلـما لاح بــارق لعيونى ... مــن مُحــيـاك دب فىَّ رجـاء

ليلة

لا طـــواهــــا الــدهــر طـــيــا كــســِـــواهـــا
لـــيــلـــةٌ لم يــنــســج الـــبـــــدر ســنــاهـــا
لا ولا الأزهـــــــار أهــــدتـهــــا شـــذاهــــا
أو بـــعـــيـــدُ الــعــهــد مـــــن بـــالى طـــواهـــا
نًـــــــــضر الحـــــب رُبـــــاهـــــا وجَـــنـــاهـــا
لـــيــلـــةٌ لم أدرِ كــم قـــبَّـــلـــت فـــاهـــا
أيــن أنــت الــيــوم يــا ليلاى أين العهدُ من تلك العشيه
آه لو عــادت بنا أو عُــدتِ يــا لــيــلاى فــالــذكــرى نديه

***

انظرى الوادى طواه الغيم طَياً فتعالى يـا مُنى نفسى إليا
ندفع الغيم بحبيبنا سويا ونــرى الكون بعينينا نديا

***

فاتن الأضــواء وضاح المحيا ها هى الفتنة حــولى تتهيَّا
رقرقت عينى وأخفيت وجيبى عندقُرب الشمس من أفق المغيبِ
واحتواها اليم كالماضى القريب قربى قلبك من قلبى الخضيب

يا سناء لاح فى إثر الغروب أنتِ يا دنياى شمسى لا تغيبى

***

ضمَّنا ليلٌ تهادى للزوالِ يا لقلبى إن مضى عنِّى وياِلى

كم تَهادينا أفانين الوصال وانتشت من صَفونا بنت الدوالى

آهِ من عَطفيك يا أنس الليالى يا رعاك الله من ذل السؤال

***

اسمعى همس المنى فى خاطرينا وانظُرى صدق الهوى فى ناظرينا

بارك الحبُ هوانا فانثنينا نستقى والوصل دانٍ فارتوينا

هذه الليلة منه وإلينا رضى الحب عليها وعلينا

***

عندما حان النوى اشتدَّ عناقى وسَرَتْ فى الجو أنفاس اشتياقى

وَبدَتْ سهمة حُزنٍ فى المآقى أيها الساقى مضى عهد التلاقى

وانطوى لَيلِى وهذا الشوق باقى يا لروحى فى غَدٍ مما تلاقى

***

أين أنت اليوم يا ليلاى أين العهد من تلك العشيَّه

آهِ لو عادت بنا أو عُدت يا ليلاى فالذكرى نديَّه

نائية من البادية

تَهيمين بالبحر يا نائيه	فما بالُ شوقى إلى الباديه
حَوَيتِ من البحر أوصافه	وفى البحر منك قوى عاتيه
وفيك من البحر أصدافه	وفيك لآلئه الغاليه
تشابهتُما فاشتهيت هواه	وألهاكِ عنِّ يا لاهيه

***

طوى البحر أسراره واستراح	وظَلت بباطنه ثاويه
كقلبك كم ضمَّ بين ثنايا	الضلوع أمورا بدت خافيه
وكالشِّعر قلبك بين القلوب	تقيَّد بالبحر والقافيه
تحيَّرتِ بين الرضى والخصام	فألقاك غاضبة راضيه

***

وفىًّ من البيد إنصاتها	وليست وإن سكنت خابيَه
وفى البيد منى اكتئاب الحبيب	نأت عنه ظبيته الجانيه
وكيف وحقكِ أهوى الفيافى	وكيف وأنتِ لها قاليه
وحقٍّ شبابك لا أشتهيها	إذا هى منك غدت خاويه

***

غَـرَامُـك بالبحر لا بـالألى أقـامـوا على العهد ياناسيه
وعشقى الفيافى لأنـك منها وحقك - لاحقِّها - دانيه
تَـعـالى إلى البحر يـا ظبيتى تَـعـالى إلى شًـطـه حانيه
تُـقَـبِّـل أمـواجـه قدميك وألـثـمُ فَـرعَـك يـا غاليه

ثأر

أهـــواكِ لا أبـغـى ســواكِ　　قــسـماً ولا أســلـو أذاكِ
وأصـــون عـهـدك فى النوى　　إن عــزَّنــى يـومـا لـقـاك
ورضيـتُ ما قسم القضاء　　ومــا يجــود بــه رضــاكِ
فـأصـونُ قلبى ذُلَّ سؤلكِ　　أن أراك فـــلا أراك
هـــذا نصيبى مــن هـواك　　وصُـنـع مـا نسجت يـداك

***

إنــى نهـلـتُ رطـيـب حبك　　واصطليت جـوى جفاك
وعدمتُ فى الدنيا العريضة　　أن أرى شـيـئـاً عـــداك
ورشـفـتُ من بيض الثنايا　　رشـــفـــةً حمــلـت شـــذاك
وظـــنـــنـــتُ أنـــــى قـد　　رُويـــت فـزادنـى ظمأ لماك

***

كـم قبل عـهـدك قـد تعثر　　خــافـقـى بــين الـشـبـاك
بــين الـعـيـون الـرانـيـات　　الــرامــيــات إلى الهــلاك
نــازلــنــنى فـصرعـتـهـنَّ　　وعُــدْت لا يُـرجَـى مِساكى
والـيـوم جـئـتِ تُطالبين　　بـثـأر غـيـرك مـن فَـتَـاك

***

هيهات أنسى ناظريك   الداعيين إلى العراك
أنا ما هفوت ولا صبوت   إلى أذى أحد سواك
وأراك تتّهمينني   بهوى التحوُّل والفكاك
وأنا الذى أرجو دوام   القيد فى دنيا هواك

إلى مَوْصلية

من مُوصلى للموصلية فوعودها أبداً أَبيَّه
قلبى تعلَّقها وشطَّت والحياة غَدَت شقيه
ناديتها فسمعت رجع الصوت عاد به إليَّه
ناجيتها وظننت نجوى القلب تُرجعها رضيه
نسيت شباب الحب يا لهفى وذكراه النديه
أم شابت الذكرى لديها وهى فى خَلدى صبيه

***

عُودى فكم كانت نجوم الليل تُبْهج ناظرَّيه
عُودى فكم كانت طيور الروض تُطرب مسمعيه
ويل الشجىِّ إذا تعثَّر فى شباك يا خَليَّه
أنصيبُ قلبى من هواك نصيب قيس العامريه
أخشى على عقلى الخَبَال وأنت بالدنيا هنيه

***

يا ليتنى شمسُ الضُّحى أكسوك ألواناً زهيه
يا ليتَنى البدرُ السَّنىُّ وأنت فى ضوئى سنيه
يا ليتنى البحرُ العريض يضم أعطافاً عَصِيَّه
شَغَلتْك عنى عاديات الدهر والدنيا الدنية
أم أنت فى ظنِّ المُنى ما زلت أحياناً وفية

هيهات

هيهات رجعة ما طوته يدك
من طَيِّع القلب الذى لبَّاكِ

لبَّاك لما نازعته إلى الهوى
عيناكِ وهى مُطاعةٌ عيناك

ومضى برغم النُصح فى صبواته
ولكم عصاها صادقاً لولاك

***

إنَّ الذى خلق العيون مهالكا
خلق القلوب لها حصاد هلاكِ

تترددينَ وقد قرأت خواطرى
وسمعتِ همس القلب حين رآك

تترددين! وأين تغدو صَبْوتى
وأنا الذى أيقظت فيك سناك

ونَهلتِ من روحى وراقك مَنهلى
فشدوتِ فى روضى بلحن مُناك

حتى إذا آنستِ طيب مودتى
وعثار روحى فى شباك هواك

وتلهُّفى إن صد طيفك فى الكرى
وخُفوق قلبى عند وقع خُطاك

منيتنى فإذا الحياة هنيةٌ
وهنيتنى فإذا الهناء رضاك

ثم انثنيتِ تبددين هناءتى
ولكم أطال هناءتى مرآك

***

قد غَرَّك العطف المقيم بناظرى
وترفُقى لما جفوت زَهاك

وظننتِ أَنى أستبيح كرامتى
وأصون عهداً زَلَّنى وهَنَاك

عهدى على الألم الأبىِّ قد انطوى
لأصون عزَّة ما طوته يداك

خمر الذكرى

يا نفحة الذكر من أنسام ماضينا عودى إلينا فقد جفَّت أمانينا

أوفابعثى الطيف إن طال البعادبنا إنَّا على العهد إنْ غبنا مقيمونا

***

أيـن من عينىَّ ذكـرى ليلةٍ من ليالى الخلد أو نسج الخيال

كنتُ كالطائر أضناه السرى عندما يصبو إلى برد الظلال

***

باتت تبادلنى خمر الرضاب وبى بالخمر معرفة مذ لامست فاها

ماذا فعلتِ به خلدى ففارقنى لعبت به شفةٌ أم ضَلَّ أم تاها

***

أغفى الزمان وعين الليل ساهرة أهدابها السود تطويه وتطوينا

أوَّاه من قُبل الأشـواق دانية من طيبها رَوِيَتْ أحشاء صادينا

***

يا نفحة الذكر إن يممت وادينا هات السلاف فخمر الذكر تردينا

أين القطوف التى حنَّت لقاطفها والليل كأس طلا والبدرُ ساقينا

***

ما لأحلامى تهادت خَبَباً ... كلما مرَّت لياليها ببال
ما لأحلانى تناهت طرباً ... كلما لاح لها ظلٌّ خيالْ

***

بالله يا نفسى عودى إلى أمسى ... ما دمت فى أنسى من ذكره الخالى
فاض الحنين له والشوق ما ثَلَهُ ... والقلب يحملهُ ويروقه حالى

***

هلَّا أعربد والأقداح ملء يدى ... من ذكرياتٍ أراقت خمرها حينا
هَذى طِلاالخلدصيغتمن جنى قُبلٍ ... لم نلق فيها أتى من بعدها لينا

وداع

خـافـقٌ بـين الحنايا ودَّعـك ... حافظٌ من عهده ما استودعك
ذاهـلٌ عن كل شـأنٍ يُرتجى ... غير شـأنٍ خالدٍ مذ شيَّعك
فالأمانى استحالت غاية ... للغد المـرجـو لمـا يجمعك

***

إن شـدا طـيرٌ بأفنان الرُبى ... يذكر المـاضى وأيامى معك
حيث كنا فى الرُبى يهتاجنا ... سجع أطيار تناغى موقعك
أو رأى زهرا بدا فيه الندى ... يحسب الأنداء تحكى مدمعك
إذ تـوافـيـنـى بـعـين ثـرةٍ ... شفَّها مـاشـف ممـا روَّعـك

***

كم سألت البدر ينثو ضوءه ... أحسب الأضواء تُدنى موضعك
واشتهى نجواى ليل فعسى ... يحمل النجوى فترعى مضجعك
فـإذا ما مـرَّ بى ريـح الصبا ... قلت خذْ يا ريح أشواقى معك

لا أبالى

يـــا ظـــالمـــى عـــمـــداً	أمعنتَ فى هجرٍ تشفى به ألمكْ
وشــغــلــتــنــى وجـــدا	وتركتنى أشقى بجزاء من ظلمك
ســـــوف تـــذكـــرنـــى	يـوم تلقى الصدَّ من غيرى
وتـــــــرى شـــجـــنـــى	وتُـعـانـى المثل مـن هجرى
لا أرانــى الله أرعـى عهدكم	أو أرانـــى الله منكم نَصَبا
لم يعُدْ لى ما أُعـانـى شوقه	كـان لى قلبٌ هـوى والتهبا

***

إنــما القلب لظى نحيا به	لا نـــمـــل
فــــإذا مـــامـــسَّـــه	الـــغــــدرْ خَـــبَــا
لست أخشى اليوم من تشبيبه	فى الأمـــــــل
فـــاضـــت الـــكـــأس	وصـــــبرى انـــســكــبـا
لا أبـــــــالى	إن جــرت بـعـض شئونى
فـــالـــلـــيـــالي	قــرُّهــا يـطـوى شجونى

سرف الهوى

أعَرضت زينب عن حبى لها ... أم أراهـا ساءها منه السرف
كــلُّ ذنـبـى أنـنـى ساءلتها ... عن مكان القلب منها فى شغف
فهو قلبى عندها خلفته ... كنت من خوفى عليه فى لهف
بالرضا والدمع عينى شرقت ... قــدر الـصـدُّ شئوناً ولطف

***

يـوم قالت فى عتاب سرَّنى ... أن قلبى فى نعيم وتـرف
إنْ يكن عندك ذنبى سَرفـاً ... فاغفرى يا زينبى هذا السرف

بداية

ألقاكِ باسمةً وقلبك باكى ... وأنـا الـذى أبكاه ما أبكاك

وأنا الذى عانى الهوى وخَبرتُه ... فتحدثت لى بالأسى عيناكِ

وقرأتُ فيها ما عفَى من أسطرٍ ... ورأيـتِ فى عينىَّ ظلَّ أساك

وأسـاكِ لا يبدو لغير مكابد ... وأنا الذى كابدتُ ما أضناك

وكتمتِ عن نهم العيون لواعجاً ... وافـترَّ ثغرك عن جوى فتَّاكِ

***

ولقد رضيتِ من القضاء بما قضى ... ورضـيـتِ مؤمنةً فما أتقاك

جمع الأسى قلبين لم يتساجلا ... حباً بحبٍ قبل أن ألقاكِ

ولكم أراق أساهما دمع الضنى ... من بؤس أيـام وغـدر شواك

وألَّم بالعينين فى وَمَضَاتها ... إشفاقُ من يأسى لقلبٍ باك

فأسوتِ جُرحى وهو بعد مُخضَّبٌ ... يشكو الجوى وتعهدته يداك

ورشفت من بيض الثنايا خمرة ... يا طيب خمر ذاب فيه شذاك

وغدوتُ أشفق من تباريح النوى ... ولكم تعجَّلتْ النوى لولاك

نهاية

طيفٌ من الذكرى أهاب بخافقى ... فأطاعه ومـضى إلى لقياكِ
ورآك مدبرة الــوداد ضنينة ... وتحدثَت عن زهوها عيناك
لكأنه ما جال فى تلك الربُى ... وأرنَّ بالترجيع فى مغناك
وكأنك استروحتِ أنة نوحه ... ورددتـه نضو المواجع شاكى
ونسيتِ من أيامه ما صانها ... وأنـا الـذى أبكاه ما أبكاكِ

***

كم رجَّعت تحنانه ريح الصَبا ... وسرت تــردد أمنه برضاك
وكم انتشى من عذب ما أترعته ... ورواه تهـتـانـاً زكــى نـداك
ولكم أسال مدامعى فرط الرضا ... لتخيلى من بعد ذاك جفاك
أتـرُى رأيـتِ مصيره فهنيته؟ ... وعلمت سر الغيب؟ ما أهناك

***

أســوان حــار أساته فى طبه ... وتـعـرّف الـعـواد داء هواك
فكتمت ما أشكو وما بك رحمة ... وتهامسوا فكتمت جرح أذاك
وغدوت أخشى إن بدالك داميا ... يذوى هناؤك بالأسى الفتاك
وترينه ملقى صريـع وفائه ... ويـراك باسمةً وقلبك باكى

وعد

وَعــدُ الحـبـيـب دعـانـى ... وأول الـغـيـث قـطـره
ورقَّ قـلـب زمـانـى ... وراح يـبـذل يُـسـره
ورن صـوت حـبـيـبـى ... مـنـاديـاً - مـا أبـره
وجـاء فى الـلـيـل لما ... أعـاره الـلـيـل سـتره
ولـفـنـا فى ظـلام ... لـيـل تجاهـلـت فـجـره
أغـنـى بـه عـن ضـيـاء ... يـنـثـو عـن الـكـون دره
فـهـو الـضـيـاء لـعـين ... طـلابهـا مـنـه نـظـره

***

وظـل يـشرب خمـرى ... وكـنـت أشرب خمـره
وكـان سـحـر حبيبى ... مـن كـوثـر الحـب سُـكـره
وزال عـنـه حـيـاء ... وشـاع فى الخـد حُمـره
فـقـلـت أفـضى بـسرِّى ... عـسـاه يـشرح أمـره
ورحـت أشرح أمـرى ... وكـان يـكـتـم سره
وشـاقـه بـثُ سرى ... وشـاقـنـى مـا أسرَّه

***

وكان يقرأ شعراً نظمته فيه مره

«ضممت جيداً ونحرا وبت ألثم ثغره»

فقال: «يهنيك وصل وألهب الشرك ذعره

فقت «زار خيالٌ نظمت بالأمس ذكره

وكان طيفك حُلمي» فقال: هاجر ذكره

واليوم جاء بوعدٍ فقبِّل اليوم ثغره»

دنيا

مـا بــالُ قـلـبـى لا يـقُّـر ... ولا تشعشعه الأزاهــر
والــكــون فـيـهـا حـولـه ... زهــر وأفــنــانٌ نــواضر
ويـــــزن فى جـنَـبَـاتـه ... صـوت البشائر والمـزاهـر
دنـيـا مـن الحسـن البهيج ... تُهـيـج غـافـلـة الـنـواظـر
وتهــز أوتـــار الـقـلـوب ... فتنتشى منـهـا الخـواطـر
وتـروح تـسرف فى العطايا ... والهـــبـــات لـكـل عـابـر
وتُــــذل أكــــرم قـومـه ... وتــعــز خـــبَّـــالا وغـــادر

***

وهــــوى الحــيــاة تّـقـلـبٌ ... والــفــوز فـيـهـا للمبادر
هــــى غـــــادة تـلـهـو ... وتعبث بالقلوب وبالمشاعر
وتــصُــدُّ عـنـد رجـائـهـا ... ورجــاؤهــا شــق المـرائـر
وتجـــود حـيـث الجـــود ... يــودى بالمحاذر والمخاطر
سر تــــلــــوذ بــه ... ولا تنفك تعبث بالسرائر
وهـــواك يـا دنـيـا حفظت ... خـداعـه والـقـلـب ذاكـر
ويـطـيـب فـيـك لـه المـقـام ... لـو ان خِـلّى كـان حـاضر
أنـا يا حبيبى فى النعيم إذا ... لـقـيـت هــواك زاهـر

***

أنــا فى النعيم إذا لقيت ... بجانبى مـاضـيـك حـاضر

فـــترى بـعــين الـــود قلبى ... فى الهـــوى بـــالـــود زاخـــر

وأرى بعين هــواى حُسنك ... بـــالهـــوى والـــوجـــد آمـــر

وأرى جمـــال الــكــون ... يــا دنــيـــاى فـيــها هـــان آسر

يــا ليت ذاك الأمـــس طال ... ولا رأيـــــت لـــه أواخــــــر

طيف ذكرى

بالذى صاغكِ من زَهر الربى ... وكسا روحك سحراً عجبا
وحَبَا لحظك بالسُّقَم وما ... أعجب اللحظ سقيما ما نَبَا
اذكرى صَبًّا لديكم قلبه ... يا تُرى قلبى لديكم تعبا
أمْ حواليك يُغنى هانئا ... ما أرى لى بعده منقلبا

***

اذكرى عهداً حفظناه معاً ... أنا والقلب وكنت السببا
حيث ألقاك إذْ الليل فتىً ... وغمام الليل فى الأفق حبا
ثم أنأى عنك والفجر معى ... ضاحك السنِّ نغنى طرَبا
فهو جذلانٌ بأحلام الصِّبا ... وأنا صبٌّ قضيتُ الارَبا
اذكرى عهدا وصبًّا بعدكم ... ترك اللهو وعاف اللعبا

تحية فيلم حياة الظلام
لمؤلفه الأستاذ محمود كامل المحامى

ظلامٌ غير ما نعهد — وفى فلك الدجى فرقَدْ
نسجت بفنك العالى — حياة الشاعر المُسَهد
فقادتنى إلى ذكرى — على الأيام لا تخمد
وأدنتنى إلى ماضٍ — وذكرى الأمس لا تنفد

***

جلوت لناظرى دنيا — من الإسعاد أو أسعد
وفيها تلتقى الأطياف — من صلىَّ ومن عربد
وسُقت لخاطرى الوسنان — شعراً طالما غَرَّد
لدُن فارقت شطَّ النيل — ما غَنَّى ولا أنشد
وأشفق إنْ عَدَدْت الحسن — فيما صُنعت أن تُحسد
وحسبك أنك المحمود — يا محمود من أحمد
تعالى الله يا محمود — جوِّد إنك الأجود
بلغت الشطَّ غض العمر — حين الغير فى أبجد

***

أنـــا فى عـــالم الأشــعـــار مــثــل الــغــيــب لم يــولــد
أصـــون الـشــعــر فى قلبى وأكـــتـــمـــه إذا زغـــرد
فـــإن ذاع الـــذى أخفيه بـــين الــغــيــد والخـــرَّد
أعـــانـــى الـــذلَّ ألـــوانـــاً كــأنــى الــعــاشــق الأوحــد
فـخـذ بـــالله هـــذا النظم مــنــى قــبــل أن يُـــوأَدْ

سؤال وجواب

وعـود الحبيب كقطر الندى — وبالعمر أكـذبُهـا يُفتدَى
دعانى فقلت أجاب الرجاء — ورحـــت إلـيـه ألـبـى الندا
فقال استمع لى وقلْ ما ترى — ولا تخشَ صدًّى وكُن أيِّدى
أُجَـاجـاً ترانى أنـا أم فراتاً — ونهــراً أنـا لم يَـطب مـوردا
فقلت أمـا والـذى هَزنى — إلـيـك لأنــت سرابٌ بـدا
فقال وكيف أكـون السراب — ومـا زلـت تطلبنى مقصدا
فقلت دعانى هـواك الأبّـى — فرحت ألبى الندا السيِّدا
كما أحرَقَ النور هذى الفراشات — لمـا دعـاهـا وكـان الـردى
فقال ووصـلـى ألـسْـتَ تـراه — جميل الـورود كِـسرٍّ الهـدى
فقلت جميلٌ وفـوق الجـمال — ولـكـن جمـالٌ عـديـم الجـدا
فـقـال وقلبك يـا هلترى؟ — أحـب سـواى؟ أمـا عربدا؟
فقلت نـعـم وأنـا صـادق — أحَــبَّ خيالك مسترشدا
فَـضَـلَّ السبيل إليك وما — قصدتُ الخيال قليل الندى
فقال ولحظى أمـا يُشتهى — أليس يفوق سهام العِدا
فقلت رمـانـى وإنـى محبُ — ويـا ليته بـالـعـدو ابـتـدا
فقال أراك خصيب الخيال — وكم من خيالٍ يضيع سُدى

فقلت وكيف علمت المآل		أجــاب: لأنــى أنــا المبتدا
فقال: وثغرى أما تشتهيه؟		فقد سئمتْ نفسى السُجدا
تعال فقد حان حين القطاف		وقــد آن للصبر أن يُحمدا

***

فــأدنـيــت ثــغــرىَ مــن ثغره		ولم أدر كيف انتهى أو بَدا
وكــان الــوصــال عــلى طيبه		كعمر الورود ورجع الصدَى

سِرّى!

أخو صَبَوات قال فى لَوم ناصح — متى تشتفى من لاعج الشوق فى الصدرِ
لقد راعنا منك الذهول فإننا — على خير ما نلقاك فى غَمرة الفكر
ويا ليت ما خالوه حقاً وليتنى — ذهلت فلم أدر الذى مرَّ من عمرى
فقد مرّ بى ما لو تفرَّق بعضه — على جمعهم لازداد فى رأيهم قدرى
وقد مرّ بى ركبٌ من الدهر حافلٌ — فما راعنى عُسرى ولا هزَّنى يُسرى

***

وكنت إذا ضاقت سبيلى وجاوزتْ — مكانى حقوقٌ لا أسلِّم للدهر
وصُنتُ من الأيام والدهر عزَّتى — فما نالت الأيام إلا من العمر
فلا خير فى خير يُذِل كرامتى — وفيم وكل الخير للدود فى القبر
وخلَّف لى التجريب دُنيا من الحِجاَ — عليها أنا ذو النهى وحدى وذو الأمر
فأعلم سرَّ الدهر إن كان غايتى — وأعلنُ سر الصدر ما غاب فى الصدر
وأقرأ همس العين فى غيهب الدُجى — وأسمع صمت الثغر إن ضاق بالجهر
وأبدو كما ظنُوا شريداً محيَّراً — وذلك من سرِّى وقد لذَّ لى سرى

أمَّاه

أماه لا يُجدى التأسى والأسى بالقلب غضَّ العود يا أماه
والصبر يا أمى عقوقٌ إن دنا وأصـــدُه إن حـل يـا أمـاه
أخرجتنى للنور فياض السنا فعشقت فيك النور يا أماه
وحرصتُ حتى لا أضيعه سُدى وأذل قلبى الحـرص يا أماه
وغدوت بعدك لا الضياء ينير لى سُبُـلى ولا ألـقـاك يـا أمـاه

***

الغصن نمَّانى وأغفى قبلها أرويـــه بـالهـتَّـان يـا أمـاه
ولكم زهوت على الزهور بنضرتى وأخـذت عنك الحمد يا أماه

***

وعدِمت غصنى والندى فى أعينى يـا أطهر الأغـصـان يـا أمـاه
أماه عشتِ على السقام رضية ورضــاك أرضى الله يا أماه
من فجر أيامى أراك طريحة والله يبلو النفس يـا أمـاه
كفر الأساة وأنت راضية بها قسم الإلــه ففزت يـا أمـاه

***

تَصلين ليلك بالنهار عبادة أو ما كفاك الصوم يا أماه
وتسبحين مع الملائك بكرة وعـشـيـة بـالحـمـد يـا أمـاه

تقواك تقواها وطُهرك طهرها　　　ما أنت من حواء يا أماه

***

قد كنت أرجو والمطالب جمةٌ　　　وأجلُّها مرآك يا أماه

ولبثت كالطير المنعم عيشه　　　ألقى الحنان لديك يا أماه

ويطول تجوالى ويقفل راجعا　　　ظمئى لأنهل منك يا أماه

وأظل أنهل كيف شاء لى الصَدَى　　　وأجود للصديان يا أماه

وشددت رحلى والقضاء مؤرق　　　يبغى نفاذ السهم يا أماه

وغفلت عن قَدَرى وما هو غافل　　　وأصابك المقدار يا أماه

فغدوت كالطير المهيض جناحه　　　وأبيتُ عنك الصبر يا أماه

***

يا أم لا ينسى الأسى نضو الأسى　　　حتى يحين الحين يا أماه

رسلانة يا ريح سيرى نحوها　　　حَمَّلتها الأشواق يا أماه

وسقاك صافى الغيث حتى نلتقى　　　فى جنة الرحمن يا أماه

راقصة باليه

حلّقت فى الجو أسراب العيون هائمات شفّها فـرط الحنين
حوّمت حولك تبغى رشفة من أياديك ومن ثغر ضنين
كلّما أوصــدت باباً أقبلت تسأل الليل عن الصبح المبين
اســدلى حولك ليلا حالكاً من ليالى الصد يُقصى الطامعين
وامنحى الناس سلاماً عابراً ليس فى الدنيا على الحسن أمين

***

فيك دفء الشمس فى رأد الضحى ومن البدر سناً فوق الجبين
فيك من ليلى سكونٌ هائم ومـن الفجر ضياءٌ يستبين
فيك من زهر الرُبى نضرته ومن الأنسام عطر الياسمين
ومـن الدنيا خـداعٌ شائقٌ حبب البلوى ونادى الآبقين
صفق الحُسن وقال استَبقوا هاهنا الـرىُّ لقوم ظامئين

***

اخطُرى ما شئت فى ظل الصِبًا واخطرى إن شئت فى قلبى الطعين
وانثرى الأوهـام فى أحلامنا ترقص الفرحة بين العاشقين
وابسمى نلقى المنى رفافة بجناحى صابر فى الصابرين
واسلمى من لفحة الحب ومن شقوة الصب ومن قلب يلين

***

يـالـفـرع شــاع فى أسلاكه رائـق التبر ينادى العابثين

إنـــه تـــاجٌ عــلى مـفـرِقـه عــذَّب الله قلوب الآثمين

يا رعــاكِ الحُسن من فاتنة أيقظت فى الناس إيماناً ودين

عـبـدوا فى حسنها خالقها إنـما الحُسن جـزاء العابدين

فمرى الآئــم فينا يرعوى كلُّنا للحسن نسعى ساجدين

وأنــا عند الـتُـقـى أقربهم إننى فى الحــب أدنــى المتقين

يم الهوى

الهوى يا قلبُ أضنانى معك — ليته ولى وأخــلى مَضجعك
عزتى الأمس وضلت موضعى — أمسياتٌ لا تبالى موضعك
راح مــن أيــامــنــا مــا سرنا — وانطوى من أنسها ما أمتعك
والــذى ما زال من أحلامها — خافت النجوى لماضٍ ودعك
قد قطعت العمر فى يم الهوى — لا تبالى المــوج حتى ضيعك

***

إنــنــى يــا ليل طيف هائم — فى ضياء الصبح أرجو مطلعك
إننى يا ليل فى ظل الضحى — أنشد السلوى وأيامى معك
لم تــعــد لى مــنــيــةٌ أطلبها — من مُنى الأحلام إلا موقعك
فى حشاياك أنــاجــى أنجماً — هى سلواى وبــدراً أبدعك
روعة الأمساء باتت سلوتى — فاطونى بالله أو خذنى معك

العيون السود

أيها اللائم دعني ... ليس يرجى لي مَتابُ
كلما أوصدتُ باباً ... للهوى ينشقُّ باب
والعيون السود همي ... أمرها عندي مُجاب
لست أدري يوم وافت ... كيف لباها الصواب

***

هل رأيتم قبل قلبي ... للردى يسعى المصابُ
يتبع العينين عدواً ... أينما يبدو سراب
للهوى أسلمت قيدي ... لست أخشى أو أهاب
أيها اللائم دعني ... قبل أن يمضي الشبابُ

دعاء

مضيت إلى الأمس أطوى الليالى ... وأرنــو إلى غاليات الذِكر

فطالعنى كالصباح المنور وجهك ... مــن بــين شــتــى الـصــور

وفى حــاضرى كلما ألتقى ... بحُسنٍ أرى لك حُسناً أَغَر

لدُن ذاب رسمك فى خاطرى ... تــراءيــت لى فى ثنايا البصر

وفى آجلى من وراء الغيوب ... أراك تطلين دون البشر

تعالى من الأمس واليوم والغد ... أنــت سبيل الهــوى المدخر

***

على شفتيك ابتسام حنونٌ ... بــدا كالبنفسج بــين الزهر

وفى ناظريك امتثال حزينٌ ... وإن شئت يرتد عنك القدر

وبــى مثل مــا بــك مــن لهفةٍ ... كــأنَّــا عــلى مــوعــدٍ مُنتظر

تعالى إلى الشط فى زورق ... تُهــدهــده هينهات السحر

حنينى إلى نهــلــة ظــامــىٌ ... فياما انتظرت وياما انتظر

لئن كــان مــا بيننا صبوةٌ ... ففيم الــدلال وفيم الحــذَر

يُتم الغريب

فوق الضّنَى الأسقام من عوّادى — فى إثر خطوى أو سِنات رقادى

ماجفَّ دمعى لا ولا غاب الشجى — عنى وما استرجعت بعض رشادى

حتى رُزئتُ وما بقلبى موضعٌ — يحتلُّه رزءٌ على ميعاد

ما ضره لو قل فى تلك الخُطى — لكأنما الأقدار طوع قيادى

ما ضرّه لو راشنى بسهامه — لو أن فىّ بقية لجلاد

ما ضرّه لو جاءنى متمهلا — لكأنما الأعمار من أجنادى

***

أمسى طوى أمى وأذوى روضتى — واليوم أفقد والدى وعمادى

كم كنت أُدغل فى الحياة موكلا — ويغيب عن عينى نعيم الوادىَ

بجناح ما كتب القضاء مُحلِّق — لا أستريح ولا أريح مرادى

وغدوت لا أنا باللقاء مُنعم — أو مستَقٍ فى غَمرة الوُدادِ

ولكم نأى صبٌّ وعاد بشوقه — وحنينه لأحبةٍ وبلاد

***

وأخذت نفسى بالنوى فلعلها — عند اللقاء تطيب بعد سهادى

ورضيت بالأمل الكذوب لعلنى — ألقاهما من بعد مُرّ بعاد

وأمِنت للدهر الخئون فراشهم بسهامه وعدمت نجمي الهادى

نـاديـت لمـا خلّفانى هاتفاً أين السبيل؟ فضاع صوتى الغادى

وأطلتُ والأطياف فى رجع الصدى تمضى تنادى إن مضيتُ أنادى

روًّا كما الرحمن ريّـان الندى وسقا كما المزنَ الطهور النادى

همى!

يلهو ويقتلني دلاله ... ويظل يعبث بي خياله
ألقاه في يم الكرى ... كالموج يُجهدني جداله
وأراه في صحوي على ... رغمي تطوّقني حباله
لا الطيف أسعدني ولا ... في الصحو يرحمني جماله

***

عذب الحديث كأنه ... نَغَمٌ يرتله مقاله
أبداً يطالعني وفي ... لفتاته باد نزاله
ولحاظه يهتفن بي ... وأرى النعيم ولا أناله
بأبي وأمي والحياة ... وطيبها المنشود خاله
هذا نعيم الخُلد فوق ... الخدّ أم هذي ظلاله

***

لهفي على أعطافه ... النشوى يشعشعها دلاله
نشوى بخمر شبابه ... وشبابه زاه هلاله
شغل الفؤاد وراح ... يلهو هانئاً وارتاح باله
ياما سألت الطيف يسمع ... لي وهل يُجدي سؤاله
همّي من الدنيا العريضة ... أن يُطالعني خياله

موكب الذكرى

موكب الذكرى غدا يلهو ببالى ... واشتهت عيناى أيامى الخوالى
فعَدا طيفى إلى يـمِّ الليالى ... فى شراع من أفانين الخيال

***

يـا حبيبى عــادت الأوهــام ... بالذكرى إلى ماضى العهود
وأنــا فى ظل أيامى الخــوالى ... لم أزل حــتــى تــعــود

***

كلما أوغلتَ يا طيفى تلاقى ... لحظه الساجى ومالى منه واقى
أو ترى بالظن لثمى أو عناقى ... تـبرُق الآمــال من دمع المآقى

***

بسمةٌ نامت على ثغرك سكرَى ... أيقظتنى وأنا طيفٌ وذكرى
لو دَعتنى وهى بالأشواق أدرَى ... هان ما قاسيت أو ما سوف يترى

***

يا حبيبى إننى حطمت راحى ... أنت من دنياى أفراحى وراحى
مادَرَى غيرى بشجوى أو نُواحى ... عزّنى الآسى فأخفيت جراحى

***

ردّك الله إلى أفــراح أمسى ورعــى الله غــداً يبعث أنسى
طال يأسى أو تُرى أفرغت كأسى ياضنين الوعد حارت فيك نفسى

***

أشرق البدر على الكون ونادى كلّ إلفين فهل أصغى المنادَى
فوق صدر النيل حلوٌ يتهادى وأنــا فى الليل حلمٌ يتهادى

***

يــا حبيبى عــادت الأوهــام بالذكرى إلى ماضى العهود
وأنــــا فى ظـــل أيــامــي الخـــوالى لم أزل حتى تعود

تعال

شكا فؤادى إلىّ أمرَه ... وراح يشكو إليك سرَّه
دعاه داعى الهوى فلبىّ ... وكم تحاشاه ألف مره
وراح بعد اللقا يتهذى ... وكان يُخفى الهوى وسحره
وجاءه اليوم من إذا ما ... دعاه للحب شق بحره
فكيف أترعتنى كؤوساً ... سلبن لبّى بغير خمره
وكيف أن جدت يا حبيبى ... بلثم ثغر نشقت عطره
إذن قضيت الحياة أشدو ... لطيب عيشى بكل نبرة
ولا سألت الحياة ليناً ... فليهنا من بهاك نظرة
تعال واسق السلاف قلبى ... تعالَ أو رُدّ عنه حسره

***

تعلقتك العيون قبلى ... وأيقنتْ من هواك شره
وساعفتها النهى فآبت ... وفى حنايا العيون عبره
وباعدتك القلوب لمَّا ... رأت مآلى وما أضره
فلا شريكا فى الحب أخشى ... ولا رقيباً أخاف مكره
سعُدت بالصبر عنك وحدى ... وما سألت للقلب أجره

عسـاك تخشى إذا دعانى ... سـواك أعـدو الحيـاة إثـره

فتقطع العمر لا يناجيك ... شـاعـرٌ ويُهـديـك شعره

تـعـالَ فـالـصبر عـنـك مـرٌ ... تـعـالَ فـالـصـبر مـا أمـرّه

أخي الراحل

ياعاطرَ الذكر في مثل الرياض شذى ومانح الود مات الود في الناس
مضيت كالزهر لم تنعم على فَنن وقد توليت لم ننعم بإيناس
وعشت كالرسل في دنيا شقيت بها لم تبتئس عَبَساً إن عزك الآسى
تمشي على الشوك في صبر على قدرٍ كأن خطوك بين الزهر والآسى

***

وكنت يا غائباً عنا تُطالعنا كالبرء وافى عليلا لج في الياس
أوغلت في القلب حتى لا حراك به مُذ غبت عني سوى ترديد أنفاسي
أحنى على الناس من أمّ على ولدٍ وكنت للناس ذكرى الود للناسي
إن جلّ فيك مصابي فالردى قَدرٌ والله يجمعنا يا أرحم الناس
يا رب أشقيته من بدء مولده وما شكا ومذاق المر في الكاس
أشقيت يا رب من عمت فضائلهم وجنَّة الخلد مثوى أفضل الناس

من وحى البوسفور

في الشاطئين تـألـقٌ وتأنقٌ ... وعلى الرُّبى سِحرٌ يشع ويُشرق
خلع الربيع مفاتناً من حُسنه ... في الضفتين ونـظـرة تتألق
إن الربيع فصاحةٌ أزليةٌ ... عذب الحديث بيانه لا يُلحق
يختال في الوادى ويزهو في الرُّبى ... ويصيح في سمع الوجود وينطق
هبة الكريم تنوعت آياته ... ونسيج قدرته الذى لا يُخلَق

***

يجرى على البوسفور فلكٌ ساحرٌ ... يختال في بُرد الشباب فيُعشق
المــاء ضــم جمـالـه وجـلالـه ... والموج يدفعه الغرام فيخفق
يمضى إلى غاياته في خفة ... لا يستريح مُغرّبٌ ومشرّق
هل في بطونك يا مياه سرائرٌ ... يحكى وقائعها قتيل مُغرق
عبدالحميد مضى وولى عهده ... فتحدثى أم أن صمتك مُطبق

***

أين الذين بنوا القصور كأنها ... قُبَلٌ على شفة الضفاف تصفق
قطِعٌ من الفن الرفيع تناثرت ... في الضفتين على المدى تتسابق
وعلى الضفاف عَلَتْ مدارج فوقها ... قامت منازل في الربُى تتعانق
وكـأنهـا أبـيـات شعر شائق ... يعنو لها المعنى الجميل ويورق

فإذا نظرت قرأت بين سطورها ... آيات صنع الله جلّ الخالق

***

ما للسماء تورّدت وجناتها ... عند الأصيل وفى الضفاف تشوّق
شفق الغروب نثاسبائك عسجدٍ ... فى خد أُفقٍ بالبشاشة يُشرق
والفُلك بين الضفتين قوافلٌ ... أعطافها يختال منها الأسبقُ
وبدت كما يبدو للحظٍ ذاهلٍ ... سِربُ الطيور على المياه تزقزق
تحاطها الظلمات وهى ضريرة ... والنور عينٌ لا تكل تحدق
عكازة من كهرباء أرشدت ... فى الضفتين سفائنا تتدفق

***

يا للنجوم على الثرى منثورة ... فى الشاطئين من المنازل تبرُق
النور فى جنباتها متوهجٌ ... كالجفن من حُرَق الغرام مؤرّق
ينساب فى الماء الضياء كأنه ... دمعٌ على خدٍ جرى يترقرق
يا من له هذى الكنوز وديعة ... إنى عجزت وغاب عنى المنطق
حَسبى من الإحسان أنى شاعرٌ ... أحسنتُ وصف الخلق جل الخالق

باريس

قــولــوا لمــن جــهــل الهــوى ... علم الهــوى حيث الهــوى
علم الهــوى حيث الهــوى ... أيــن اتجــهــت سَرَى الهــوى
بــاريــس يــا بنت الشباب ... وبــنــت شــيــطــان غَــوى
مــا أنــت إلا الــكــون يظمأ ... فــيــك ريّــــان الهــــوى
فــتــانــةٌ يــعــوَج فــيــك ... مــن اســتــقــام إذا هــوى
فــإذا تَــغــنّــيــا الجــدَّ منك ... دنــا الــســبــيــل إذا نــوى
فــيــك الــغــوايــة والهُــدى ... وبــك اســتــقــام مــن التوى

***

بــاريــس يــا أم الــفــنــون ... شــبــاب فــنّــك مــا ذوى
هــيــهــات يــذوى الــفــن ... فــيــك وأنــت آلهــة الهــوى
بــاريــس واحــدة وفــيــك ... الــكــون والــعــيــش انطوى
خلع الــزمــان عــلى معالمك ... الــبــشــاشــة والهــوى
«الــلــوفــر» فــيــك وفــيــك ... «فرساى» العظيم وما حوى
والــغــاب ملتف الخــمائــل ... عــطــره مــلأ الهــوا
يا غــاب «بولونيا» سعدت ... وعــشــت يــا غــاب الهــوى
كــم ذكــريــاتٍ لــلأحــبــة ... فــيــك والــذكــرى دوا

أغـــصـــانــه مـشــتــاقــةٌ أواهـــــةٌ تـشـكـو الجـوى

***

«والــســين» مبتسمٌ وعند ضـفـافـه ابــــترد الهـوى
يخــتــال بــين الـضـفـتـين كــفـارسٍ بــادى الـقُـوى
والمـــــارد الجـبـار فـوق رُبــاك طـــاول واسـتـوى
«إيـفـل» رشـاقـتـه تُـنّـم عــلى هـــوى أهــل الهـوى
هــو مـــن حـديـد، جـيـدُه جـيـد الــغــزال إذا لـوى
يــا لــلــجــمال وســحــره والـعـلـم فيه ومـا احتوى
فى ظــلّــه الـمـمـدود كل الـسـحـر أغـفـى وانـضـوى

***

قـولـوا لمـن جـهـل الهـوى علم الهـوى حيث الهـوى
يـا طيبها حُــرق الجـوى وشـجَـى الـفـؤاد ومـا طوى
إن حـركـتـه يـد الهـوى ألقى العصا حيث ارتـوى

العازف الضرير على نهر الراين

سائل ضرير يعزف على كمانه، ويقوده كلبه، وقد ألف بين ثلاثتهم وفاء حنون، سلكهم فى محبة وادعه، وأطلقهم فى نغمة باكية.

هل بعد نور العين شيء يُعشق ... أم بعده فى الكون نورٌ يُشرقُ

هو فى الحياة لُبابها وشبابها ... هو بسمة الدنيا وروض مورق

هو فى الوجود نعيمه ونديمه ... وهو المحدث إن جفاك المنطق

والعين عونٌ فى الحياة وسحرها ... بحر تـردّى فيه صبٌّ مغرق

والعين مرآة القلوب تكشفت ... منها الخفايا والخبيء المغلق

ياما تحدثت العيون بسرها ... فأجابها اللحظ الشقى المطرق

تتعانق النظرات عند لقائها ... وتكاد من فرط التشوق تخفق

***

نور العيون ولا بديل لنورها ... سبحان خالقه وجل الخالق

كنزٌ مثنى يا لحكمة خلقه ... والله جـلّ جـلالـه المترفق

إن فـارق العينين نورهما فما ... يُجدى التحسر والشقاء المطبق

الله فى عـون الـضريـر فإنما ... روح الإلـه تُعينه وتوفق

فى وجهه البسمات تترى عذبةً ... فيها الـبراءة والرضى يترقرق

***

إنى رأيت على الطريق عجيبة ... تسمو بصاحبها الضرير وتنطق
لم تنزع البلوى التى حاقت به ... فـنـاً يـنـير سبيله وينمق
بالعزف يقطع وقته متمهلا ... فى نشوة فالفن سحرٌ شيّق
هو سائلٌ فى الناس يرجو رفدهم ... ويـقـوده كلب وفىٌّ مشفق
كلبٌ غدا عيناً وخِلاً صادقاً ... أحنى عليه من الأنام وأشفق
قسماته مـلآى بـروح وفائه ... ويكاد للنغم الجميل يصفق

***

يا للضرير تنوّعت حسراته ... يـا ليتها تبلى عليه وتخلُق
يمضى إلى ذات المكان صباحه ... كمسائه ليلٌ يطول ويُزهق
أنـغـامـه عـلـم عليه وفنه ... عـوِضٌ إليه وكلبه يترفق
تتصدق الدنيا عليه بمنَّة ... وهـو الكريم بفنه يتصدق

فى روما

كنت أصغى إلى وشوشة النعيم، وأستاف عطر الجمال، وأنشق نسمات الصبا العابق به جو روما، أينما أقمت وحيثما توجهت. ولم يكن ليسمو إلى وصف ما أرى شعرٌ أو نثر، إلا أن يجيء مطابقاً وهيهات هيهات..

مثل هذا الجمال، تحس به الروح فى قوة ونفاذ، ويحيط به شوق النفس ووعى الخفاق، ولكنه فى سموه وعلاه يجل عن الصفة مهما أدركته المعرفة.

من أجل ذلك سكتُ عن النظم فى إيطاليا، مثلما سكتَ المجنون عن التحدث إلى ليلى، يوم أن رآها بعد غيبةٍ واشتياق، فلما سألوه عما تحدث به إليها، أجاب، شغلنى حبها عنها.

إلا أننى قلت عند الرحيل:

تاه من حولها الزمان وتاهت   وتمنى رواءَهـا أىُ معنى
كل فجر وكل مغرب شمس   وأصيل بحسنها يتغنى

فيينا

قسماً بحسنك يا فيينا والحسن معبودٌ تجنى
أنا لا أُطيع القلب فى حبى سواك إذا تمنى
ومن الجناية والتجنى أن يُضيع الحُسن أمنا
أمضى هنيهاتى لديك كطائر حذر مُعنى
قلق الخواطر فهو صيدٌ للزمان وما أجنا
يحسو الرحيق وعينه أبداً تحاذر كل مغنى

***

لو أن حسنك قل كان الدهر يمضى بى الهوينا
ولكنت لا أخشى الظهير ولا الخبىء المُستجنّا
من فرط إشفاقى على عمرى وددت العمر يُقنى
لشربت ما قد مرّ من عمرى ليفنى فى فيينا
لكن حسبى إن ظمئت ذكرى ما ولّى فأغنْى
هيهات ينقص عاشقوك وأنت تزدادين حُسنا

***

«يُوهانز» موسيقارك الخلاق بالنعمى تغنى
فى فنه أرَج النعيم وفى مباهجه أرنا

أوحـــــى لـــه الـــدانـــوب بالفالس الـذى هَنّى ومَنّى

كـم مـــاس قـــدٌ وانـتـشـى صـــدرٌ وأنّ لـــه وحـنّـا

وكـــم اســـتراح الخـصـر من نـغـم نـمـير ســـال لحنا

وأرنَّ فى واديـك «موتزار» الـــفـــريـــد بـــها تـغـنـى

دانـــــت لـــــه ولـــفـــنـــه سرب المـهـا وقـــررن عينا

الـعـبـقـريـة فى طفولته ودعـــتـــه فـــــما تـــأنـــى

ومـضى على الـدرب القصير يـصـوغ أروع مـا يُغنى

حتى إذا انتشت المسامع والخـــواطـــر أنّ وهـنـا

وقـــضى غُـــــداة أرنّ فى أذن الـزمـان شجى وفنّا

***

يـــا لــلـــوداعـــة مـــا ذرت طـفـلاً ولا شـيـخاً مسنا

يـــا للبشاشة فى الـوجـوه تـنـوعـت قـــدرا وحسنا

والغيد فى وشـى الشباب خـطـرن بـالـبـشرى وعُـدنـا

يـرفُـلـن فى ألَـــق النعيم فـإن نـظـرن ضحكن سنّا

كرفيف أجنحة الملائك إن نـطـقـن وإن خطونا

هنّ الحسان البيض والغيد الخـــرائـــد حـيـث كـنّـا

قـــد مّـــســـهـــن الـــســـحـــر بالألَق الـذى أضفى وأغنى

يـــا طـيـب أيـــامـــى لـديـك وبـــؤس بُـعـدى عـن فيينا

بين الغواية والهوى

رفـت وفـيـهـا مـن عبير ... الـنـيـل أنـسـام الـصـفـاء
ومـن الـتـثـنـى خـفـةٌ ... سـبـقـت بهـا طـير الـسـماء
هـفـافـةٌ تـسـمـو وتسبح ... فـوق أمـواج الهـواء
فى جـيـدهـا حـذر الظباء ... ويـا لـفـتـنـتـهـا الـظـبـاء
وبـلـحـظـهـا ألـقٌ وفـيـه ... إجـابـةٌ وبـه نـداء
وَمـض الـذكـاء يشع ... منه ومـن مفاتنها الذكاء
فـيـه الـغـوايـة والهُـدى ... بـين الـتـحـدى والـرجـاء
تخـشـاه إن ولّى رضـاه ... وتـشـتـهـيـه عـلى حـيـاء
فـاعـجـب لـلـحـظ طيع ... فـإذا أبـى رد الـقـضـاء
صرع ابـن جـنـبـى وهـو ... مـلـتـفٌ بـدرع مـن وفـاء
وقـضـى عـلىّ بـأن أوافـيـهـا ... وفى الـنـفـس اشـتـهـاء

***

يـا قـلـب لا تجـزع فأنت ... الـيـوم مـسـلـوب الإبـاء
لا تـرتـقـب أو تبتغى ... مـنـى الـسـلامـة بـالـدهـاء
أقـدم فـما عـوّدتـنـى ... إلا الـتـقـدم لـلـشـقـاء
مـاذا عليك وأنـت مطعون ... وقـد عـزّ الـشـفـاء

هــيــهــات يــشــفــى مــن ... لــه فى كــل بــاســمــة رجــاء

***

إن داعــبــتــك فــقــل لها ... أنــا إن تــشــاء كــما تشاء

فــإذا تــولــت وهــى غَضبى ... مــثــلــها تــعــدو الــظــبــاء

فــتــعــزٍّ إن فــعــالهــن ... وكــيــدهــن بــلا انــتــهــاء

والغيد تأبى وهــى راضيةٌ ... ويجــددهــا الــرجــاء

وأنــا الــذى خــبر الــعَــنَــاء ... وطــاب لى فــيــه الــشــواء

وأنــا الــذى شرب الأســى ... وعــزفــت عــن شــافى الــدواء

فــتــعــزّ إن الــغــيــد تعبث ... شــأن أهــواء الهــواء

ولــعــلــهــا يــومــاً توافينا ... وفى فــمــهــا الــنــداء

إن جئت لن أستمهلك

يا ظالمى إن لم تكن بى راحمًا لن أسألك
أو غبت لن أنساك أو إن جئت لن أستمهلك
ياما دعوتَ إلى الهوى قلبى الذى لن يُهملك
فاهجر ترى القلب الذى أهملته لن يعذلك

***

أدنــاك منى يوم أن أدنــاك قلبٌ أنزعك
ذوبَ الوفاء ولم يزل فى صبوة ما ودعك
فاذكر إذا ما شئت من أيامنا ما أمتعك
واذهب إذا ماروّعك حبى فلن أمضى معك

***

ذِكرُ الهوى خمرى وأقداحى وساقى منبعى
ألقاه ريّــان الوفاء وفى الأسى يبقى معى
أحيا بها أستافه من عطره أو ما أعى
من ذكره أو ما جرى بعد النوى من أدمعى

شقاء النعيم

أنا من نعيمى فى شقاء ... حَذرًا عليه وفى عناء

وأد النعيم الناعمُ ... الأطراف أسباب الهناء

وهوى العيون يطوف ... حول هناءةٍ جلبت شقاء

كم كان حرمانى يُعللنى ... بدان من رخاء

ولكم سبحت مع الخيال ... وجُبتُ أجواز الفضاء

لأرى بعين تخيلى ... دنيا مفضضة الرُواه

فتانة تفتر عن ... دُرٍ فتلتمع السماء

وأروح أُبدع ما أصوّر ... من أفانين الجزاء

حتى إذا اكتمل النعيم ... وجُزت بيداء العناء

ألقيت حِمل شقاوتى ... مستقبلا زاهى الضياء

ورشفت من عذب النعيم ... رغيبة وشفيت داء

ثم انثنيت أعوذ بالرحمن ... من فيض العطاء

حذرا عليه من العوادى ... مرةً ومن الفناء

وأبيتُ مسلوب المنام ... وأين من أرَقى الشفاء

فلكل أمر غاية ... هيهات للنعمى بقاء

ولقيتنى نهب الأسى ... وأنا المنعم بالهناء

ولقيتنى أُنعى صُباباتى ... وأهمسُ فى حياء

«أنا من نعيمى فى شقاء ... حذراً عليه وفى عناء»

٢ - أوراق الخريف (١٩٦١)

إهـــداء

إلى شخصى الآخر، الذى ألاقيه كلما نظرت فى الماء والمرايا . . إلى ظلّى الذى يتبعنى، إن حللت وإن رحلت، إلا ساعةً من نهار . .

إلى طيفى الذى يتسلل عندما أغْفى، ليُرينى ما أريد وما لا أريد . .

إلى نفسى التى بذلت وما ابتذلت . .

إلى روحى وما به تهيم . .

أحمد عبدالمجيد

مقدمة الثنائيات

هواجس وخواطر، رفت على القلب فى نجوةٍ من العيون، وأنشَدَتها نفسٌ تتنزى من فرط السقام وضَنِّ النصيب، وأطلقها خيالى فى بيتين مكدودين، استقيا من نبع الملل، وتضوعا بالسُخر الفواح..

فلقد نفَد صبرى فما أطيق نظماً أو نثرا، وأمسَك خيالى المجنحُ عن التحليق، يوم غَدَا لا يطير ولا يسير، وأعرضتُ عن مواكب الدنيا إذا هى استأذنت فى طرق بابى، وعَزْفتُ راغباً عن الكثير الغزير، راضياً قانعاً باليسير الأقل..

وحسبى من الماء قطره..

ومن الروض زهرُه..

ومن الأمان ما اصطنعه..

ومن الهناء ما أَدَّعيه..

أحاط بالبدر غيمٌ داكن فبدا   كغادةٍ من عيون الناس ترتعد

حتى إذا أمِنَت ألقت غلالتها   ولاح فى البحر عاجٌ راح يبترد

***

هل شهدت الموج فى قصفٍ ولين   ينطح الصخر ويقسو فى النزال

ثم تلقاه على الرمل استوى   هامساً بالوصل فى أذن الرمال

***

أبليتَ كل جديدٍ يا دهر إلا سقامى
شبابها فى رُواء وغصنها الغض نامى

***

المال بكفّى ليس له صبرٌ فى أهون تصويرى
لا يبقى فى كفى إلا ما بين شهيقى وزفيرى

***

الطفل للنهد يصبو والشيخ بالنهد يصبو
وما رأيت ابن حوّا إلا لنهدين يصبو

***

أقول لمن يشكو الزمان وعسفه تعَزّ فإن الحظ أعمى فمن يدرى؟
وأعجب إذ ألقاه يرتقب الغِنى كأن الغِنى قطرٌ يمر على السفر

***

الصوم أحق بمقتدر ليرى حرمان المفتقر
سبحانك يا ربى وأنا بين الاثنين على سفر

***

إذا عزنى أمرٌ سعيت لنيله فإن جاءنى عفواً دعوت له غيرى
لقد مرَّ بى ركبٌ من الدهر حافلٌ فما راعنى فقرى ولا هزنى يُسرى

***

شكا حجر الفّران لله أمره فأنشأه الرحمن فى زىّ آدم

وأودع فيه الحب والوجد فاكتوى	ولاذ بعون الله من فرن آدم

***

صاغنى الرحمن من طينٍ وماء	فـإذا بـالمـاء مَـنَى الندماء
واستحال الطين دّنـا شائقاً	فأنا فى الناس خمْـر فى وعاء

***

فوق الضنى الأسقام من عوّادى	فى إثر خطوى أو سنات رقادى
تغتالنى وأنا لَقى فى مضجعى	وتميتنى مذ شارفت ميلادى

***

طار بن آدم فوق هامات الذُرى	وهوى إلى قاع البحار مُفاخرا
وبعوضةٌ تسقيه من فمها الردى	والـدود يأكل لحمه مستغفرا

***

قالت الزهرة للورد أجبنى	ما لهذا الشوك فى غُصنك نامى؟
قال: هذا الشوك فى غصنى سلاحى	فاستريحى وأَريحينى ونامى

***

اسقنيها علّنى أشفى بها	فـإذا لم تشفنى تقتلنى
بـين قـتـلى وشـفـائـى قـدحٌ	فيه من دائـى خلاص البدن

***

صفراء حمراء أو بيضاء ناصعةً	جيئوا بهنّ جميعاً يختفى دائى
إنى أزيد على من قال منتشيا	«وداوِنى بالتى كانت» بلا ماء

***

سهام النهود تكاد تُطِل على		ما أمـام القميص وأبعد
دعيها فإن قتلتنى استراحت		عيونٌ تشهّت وقلبٌ تمرد

***

سَلِمت خدودك من		لهيب الرغبة الملتهبه
ولو ان ذلك من		قبيل دفاعنا يا غالبه

***

لو ترانى لأنكرتنى وقالت		ليس هذا الذى سمعت نواحه
ماله اليوم هل سلا أم تناسى!		قلت: يذوَى فما يُحس جراحه

***

خبرينى عن مهاوى القُبلِ		فوق ثغرٍ ظامىءٍ محترقِ
وعن الشهقة من أيقظها		أىّ نيرانٍ وأية حُرقِ

***

وكلت عنى طبيباً		أمام قاضى المواجع
وحكمه كان يقضى		ألا أريم المضاجع

***

حدّثتنى عيناك بالأمس همساً		ليت ذاك الحديث من شفتيك
يالسحر الحديث من فمك العذب		وهمسى يُصب فى أذنيك

***

بادلتنى عيناك بالأمس نجوى		ليت أنىِّ وعيت ما تتمنى

لو تمنت بعض الـذى أتمنى عِشت عمرى بغمزها أتغنى

***

كأنّ الذى بينى وبينك يا بحر على طيب ما كنا أضرّ به الدهرُ
أراك فتبدو غافلا حين أنطوى على كبد حرى يضيق بها الصدر

***

عوّدتنى يا بحر حين لقائنا أن ترفع الهم الذى أنا حامله
واليوم ها أنا عند شطك حاملٌ همى فلا تـأس لما أنـا حامله

***

أيـــن يـــا بـحــر الـعـشـايـا أيـــن مــاضـيـنـا الحـبـيـب
حـيــث كــنــا لا تسلنى واســـأل الـشــط الـقـريـب

***

يا طيب خذ ما أردت ولكن خل هذى الدماء فهى بقيه
قال: هذى لأعرف الداء منها قلت: دائـى يُطل من عينيه

***

سأل العليل طبيبه عن وعكة تنتابه فـأشـار بالمستشفى
ثم استدار لسؤله يا هلترى! يُشفى! أجاب نعم متى تتوفى

***

قلت يوماً لعائدى بافتخار: قد بلوت الزمان زيناً وشينا
وحُطامى معى يصيح بسخر تـلـك آثـارنـا تــدُل علينا

***

أرى الـعُـسر فى الأحــلام ألــزم مــن صحوى

فـيـا شــدَّ مـا قـد نـــال مــن مـأمـنـى دهــرى

لـئـن كـــان فى صــحــوى يـضـيـق بحاجتى

فـما ضرّ لــو أن جـــاد فى الحـلــم بـالـدُر

***

قـالـت شـفـتـاى لشفتيكِ هـيـمان القلب متى يسكر

فـأجـابـت يهـنـيـكِ وصـالى إنـــا أعـطـيـنـاك الـكـوثـر

***

نهـــداك قـــالا الــشـهـاده وأنـــــا وحـــقِّـــك مسلم

لــــولا الحــيـــاء وديــنـــى لــرُحــت بـالـنـهـد أقـسـم

***

أنا ما بكيت على زمان فائت لكننى أبـكـى لمـا هــو آتى

فلقد نهلت من الشقاوة أنهراً وأخاف أشرَق فى محيط عاتى

***

حنينى إلى شطيك يا نيل جارفٌ وشوقى إلى من فى حماك عميق

ولكن فى واديك يا نيل ظبية تساوى لديها سابحٌ وغريق

***

إذا مـا مـــررت عــلى بلدةٍ أزور أطـبـاءهـا بعناية

كأنى مُـريـدٌ مـن المريدين وهــم أولــيـــاء بـغـير ولايــة

***

إذا عجز الطبيب فلا تلُمه فليس أمامه فى الطب «نقضُ»
وفى «استئناف» بحثك عن بديلٍ لفحص ضناك تسليةٌ وعرضُ

***

إذا كنت قد أمسيتُ من دائم الضنى حبيس سقامى وهى شتى بلا حصر
فما زال فكرى فى الفضاء مجنحاً أصيد به ماشئت من ساخر الشعر

***

يوم أن أغضيت عنى رحلت مُلهياتى من عيون وغيدَ
واستوى عندى نعيمٌ قائم أو شقاءٌ ليس يفنيه الأبد

***

كان الرقيبُ إذا خفنا رقابته تنوب عنا عيونٌ كلها نظرُ
لكن صدّك فى سر وفى عَلَن أخلى الطريق له الأفصاح والحذر

***

تسألينى، ما حلّ بي! وشجونى فى عيونى تجيب عنى وتُسأل
باعِدى بين ذا الدواء وبينى فابتسامٌ من ثغرك العذب أفعل

***

أنا لست أطمع فى فكاكى من شباكك أو أذاك
وعلام والدنيا تمدّ إلىّ أسباب الهلاك

***

خير ما فى الكون نومٌ هانئ وانطلاقٌ من قيود البدن

فـعـلامَ المـرء يخشى موتهُ وهـو لا ينفك نهب الوسَن

***

ارجعى من قبل نأيى فؤادى لست أدرى متى وأين أراك

جئت أبغى من قبل مرآك برْءاً فدعتنى إلى الضنى عيناك

***

يهمس الغصن فى المساء لغصن فى حنان فتضحك الأوراقُ

ومضى الموج يُودعُ الرمل سراً لست أدرى! أكلهم عشاق

***

جمع الضعف بين شيخ وطفل وكذا الصمت بين موت ونوم

وبــدا الـكـون فى الـغـروب مثيلا لشروق شاهدته من يوم

***

يـشرب الـكـأس فيصحو فــإذا ســار تـعـثـر

قـلـت دع رجـلـيـك تحسو فـعـسـى رأســك يسكر

***

تململ القلب مـذ تولت وضـاع أمنى وغـاض بِشرى

فــأىُّ ســحــرٍ تمـلـكـتـه؟ وأى سـحـر بـغـير سرٍّ!

***

لا فى الثرىُّ فقيراً راح يسأله عن ثوبه الفَرد: هل فى البرد يكفيه!

تبارك الله أخفى عنه حكمته فدافىء الثوب «يهرى» البرد من فيهِ

***

عيونٌ كأن الله حلل فعلها تساوى لديها عاشقٌ وقتيلُ
لها عبثاتٌ عند كل تحية ووعدٌ بميعاد الهوى وقبول

***

الخير تسبقه البشائر ويحل بين الناس سافر
والشر فى إقباله وحلوله بالغدر زاخر

***

أين ذاك الوجه يطوى الغيم أين أين ذاك الشعر فى لون اللجين
أين من عينى نهدان على غصن بانٍ شابها رمانتين

***

تتودّدين إلىّ أم أنا حالمٌ! وتجربين هواى خوف خداعى
لكأنّ قلبى فى يديك بضاعةٌ ليس الهوى يا طفلتى بمتاع

***

أمضيت فى خدمة الأمراض أعواماً ما غاب عنىّ الضنى يوماً ولا ناما
فجئتها اليوم أرجوها وأسألها منحى معاشاً وتخليداً وإنعاما

***

تبسّم أرى إما تبسمت مأملى قريباً وحسبى فى الشقاء رحيمُ
تبسَّم فإن القلب مع بالغ الأسى ليسعده برقٌ جداه عقيم

***

أبكى وأضحك من حالى فها أنا ذا ألقى أحباى من غابوا كمن حضروا

والخير والشر باتا توأمين فلا صفو يحرّكنى يوماً ولا كدر

***

لما توليت قال الغيب فى أسف لا تخش عهديكما بل خَف من الزمن

وها أنا اليوم إذ ألقاكِ نهب ضَنَى هيهات يُشفى اللقا ما دب فى بدنى

***

ولقد يكون الرُزءُ أهون جانباً لو لم يكن لى فى الحياة حبيبُ

لمضيت أطوى ما تبقى صابراً لا الرُزءُ يعصف بى ولا التعذيب

***

ضاع عمرى على وساد سهادى نهب داء أراه بالجسم هائم

قد لزِمتُ الفراش جُلّ حياتى فادفنونى بالله فى القبر قائم

***

جودى بلمس مكان الداء من جسدى يُشفى المكان الذى تمسّسه كفاك

هاتى يمينك فوق القلب يلثمها يا طيب ما صنعت بالقلب يُمناك

***

أنا لا أقول إذا هجرت تذللاً أفديك فى حفظ الهوى وضياعهِ

شرف الهوى فى أن أصون كرامتى ومذلتى للقلب عند خداعهِ

***

عش إن اسطعت رضياً قانعاً بالذى تلقاه من هذا الزمن

عهدُنا بالعُسر فى الصحو فما أعجبَ العُسر يُوافى فى الوسن

***

هاتِ لى الصهباء تطوى الداء طى		إنه فى الصحو كم يقسو على
أحسب الداء قتلناه بها		فإذا أصبحتُ قام الداء حى

***

ما شربتُ الخمر إلا للتداوى		لا لداعٍ فى سويعات الهناء
رب فاغفر لى الضنى إن كان ذنبى		واعفُ عن دائى ففى العفو الشفاء

***

يتخيل النشوان أحلام المُنى		صحت وإن نوالهن قريبُ
وأرى إذا أُترعت خمراً أننى		أحيا وحسبى بالحياة نصيب

***

عُدت يا عيدُ وما أبقت لنا		هذه الدنيا تعلات الخلى
أين يا عيدُ لُباناتٌ لنا		فاعف يا عيد إذا لم أحفَلِ

***

ها كها كأس الدوالى		واسقنى الماء الزلال
آه لو أن الليالى		أسعفت داءً عضالْ

***

فتح الصباح عيونه لما بدت		من خلف أستار على شباك
فكأنما الشُبَّاك أطلع وردة		زهراء يحرسها أذى الأشواك

***

هَبينى سبيل النظم فيك فطالما		سَمَوتُ على سحر الخرائد بالشعرِ

فكل جمال يزدهى ثم ينتهى ... ونظمى فيكِ الشعر يبقى على الدهر

***

تهيمين بالصد يا «ناهدة» ... وقلبك بالله من أوصَده

وحمام ينكر بأس الهوى ... أيا ويل قلبك يا سيّده

***

لا تسأليني كيف أمسى ناسياً ... فعسى بذكر أذاك أن أنساكِ

بل فاسأليني كيف أبقى ذاكراً ... ما ضرني وأذلني وهَناكِ

***

تعجلت الزمان فراح يجرى ... وراح العمر يجرى وهو يدرى

وأسلمنى السباق إلى سقامى ... فكيف ألوم أيامى ودهرى

***

جال فى العينين دمعى ... وارتوى باللحن سمعى

يالسحر الصوت من ... شاف ومن ساق لنبعى

***

أنا أشتهى ما لا أرى ... وأرى الذى لا أشتهى

وكذاك أطماع الحياة ... بدايةٌ لا تنتهى

***

لم يبق من أهلى ولا ... صحبى ولا قلبى بقيّهْ

وأنا على مضض السَقام ... أرى متاهات المنيهْ

***

مَشُوق إلى بُعد الذى فاض لوُمهُ ويأبى علىّ الدهر إلا لنا قربا
أحاربه جهراً ويغتالنى سراً فيا بؤسه قُربا ويا لؤمها حربا

***

يا ظمائى إلى مآلف نفسى واشتياقى إلى مباهج أُنسى
حَرَمتنى مزارها ذكرياتٌ ملأت حاضرى وغَدى وأمسى

***

نتيه فى الأرض عُجباً وأنفُنا فى السماء
والطين أصل أبينا وأصل كلّ البلاء

***

يا أخىّ الراح حطم الأقداح
قد دنا يا صاح مغربُ الأفراح

***

تعيرنى فرشاة شَعرى بصلعتى فقلت لها إن العزيز قليلُ
لقد كنت كثّ الشعر بالأمس فاعلمى بأنى أمل الأمر ليس يحولُ

***

غافل الأيام وانعم بالهوى واخطف اللذات من كفّ القدر
واهتبلها لحظة تنعم بها مثلها الدهر قليلا ما يذَر

***

يا نجيى وسائلى أين شِعرى كيف ولى وكان ملء السماء

لا تسلنى فالهجر كان نصيبى وهـو وحـى للشاعر الغناءِ

***

الـنـاس بـين مـودع ومَـودّع فإذا مضوا للآخرين استقبلوا
والـنـاس نحو نهاية محتومة المسرعـون الخطو والمتمهل

***

أشفقت أكثر إشفاقى على رجُل لا يستسيغ غناء طاب إرسالا
فاللحن فى ترح يُشجى وفى فرح واللحن يلعب بالألباب مختالا

***

غامت عـلى قلبى شجونه ومضيتُ فى الدنيا أعيُنه
ولـكـم يـكـابـد فى الهـوى وحـنـيـنـه أبـــدا حـنـيـنُـه

***

قالوا اقتصد نَشَباً تنعم بصولته فأجبت قائلهم: أنا ضامر الصبرِ
قالوا شبابك لا تصرفه فى عبَث وَعَلام أتركه! للدود فى قبرى

***

الجدبُ أقبل فى الربيع فهاتها يا صاحبى صرفاً لعلى أطربُ
يتخيل النشوان أخلق روضة لفاء أخشى عند صحوى تجدبُ

***

شعرى شعورى واحاتى أروّيها من ذوب قلبى لا من فيض أسلافى
ما قـلّ منه ثمين عز مطلبه مثل اللآلى إن قيست بأصداف

***

كـلـما أُنـسـيـتُ يـومـاً ذكـر مـا حـاولـت أنسى
قـال لى يـومـى بمكر حـاول الـذكـرى فتنسى

***

سخرت يا كأس من دأبى وإمعانى وخلِت عُجباً وخلِت السُكر ألهانى
إنى أفيق إذا أترعتنى أبداً وعى السياج وعين العقل ترعانى

***

داونـى سراً بـدائـى إنـنـى أخـشـى الـلـحـاء
لـو أحـسـوا مـا أعـانـى لاسـتـحـال الخـمـر مـاء

***

شكوتُ إلى ثقيل الظل أمرى فأشفقَ أن أموت بفقد صبرى
وفارقنى على عَـودٍ قريب عسى فى بُعده أجتُّر عمرى

***

إنـما عينى إذا غـام الأسـى ليس تجلو غير أطياف تُمـل
وكـذا نفسى إذا ما أسِنت رنّ فى ترجيعها لحن الملل

***

يا نجم مالك خافقٌ فَرَقاً ومـن شرّ تُحـاذر
أم غـاب عـنـك الـبـدر يا لهفى عليك فأنت ساهر

***

زدنـى ألمـاً وازدَد صـدّاً الـنـار يـؤججـهـا الـقـدحُ

وأنــــا مــــا بـــين سراب الكأس وملمسه غِـرٌّ مَـرِحُ

***

غـــن لى لحــــن الهـــوى يـــا ألــيــف الــطــرَبِ

واسـقـنـى قـبـل الـنـوى وأنِــلـــنـــيِ أرَبـــى

***

يا مُنيم الأحزان أغضيت عنى يا خيالى نأيت عنّى أعنّى

لهف نفسى ياما أمـرّ حياةً لم تصُغها يداك أو لم تصُغنى

***

يا رحمة الله بعضُ القَطْر يروينا جودى حناناً فقد جفَّت مآقينا

أو فابعثى الدمع يجرى فى محاجرنا إنى أخالك قد أخطأت وادينا

***

امـــلـــئـــى كـــأســـى واشـــعـــلى حـــســى

أنــــت فى الـــدنـــيــا مـــن جـــنَـــى الأنـــس

***

ســألـت وكـأسـى فى يـدى ما تلك؟ قلت: حياة أُنسى

قـالـت: وهـل تـرضى بها بـدلا؟ فقلت: ولا بنفسى

***

الـلـيـل أسـاهـره وحـدى والـبـدر يـسـامـر أنجَمه

مـن لى بـنـديـم يـسـمـع لى أو يظلمنى أو أظلمهُ

***

وأكثر الناس شكوى أقلهم فى المصابِ
يا ويل مصغ إليهم فهو الشديد العذابِ

***

يا أطبائى دواكم عِفّته إنما دائى دفينٌ فاقصدوا
أعجزتكم علتى حسبى بها أننى وحدى عليلٌ أوحَدُ

***

يالائما وسواد العيش يعصف بى دع عنك لوم منىً مازلت أرجوها
أحيا على الذكر والنجوى فما برحت للقلب أمنية حاشاى أرثيها

***

مبلغ العيش ابتسامه واقتصاد فى الملامه
فاقصد فى لومك الدهر ونل منه السلامه

***

قالوا إذا ما ساغ خمر فى اللها فاخشَ العواقب
والموتُ منطلق يُصاب بسهمه صاح وشارب

***

قال لى الساقى ترفق بشباب طوع أمرك
فغداً يعصيك لما يعبث الشيب بشَعرِك

***

مضى الموت بالأحباب فى رونق الصبا وأبقى لهم ذكرى لها نفحة العطر

وما زادُ من ولى سوى البِر والتقى وما زاد من يبقى سوى لوعة الذكر

***

عـلى غـصـون الـنَقَـا نهـودٌ تهـتـز فى عُـشـهـا الحـريـرى
كالطير تبدو وليس تقوى إلا عـلى الـوثـب فى المسير

***

أليس هو السحر أنا شَبَبنا وصرنا بفضل النساء رجال
وصيرننا إن عشقنا صِغاراً وكـنـا كـبـاراً نهُـزّ الجبال

***

فى أرذل العمر جاء حظى يـقـول بـشراك يـا رفيقى
فقلت دعـنـى أنـا وشأنى فقد قطعت أقـصى طريقى

***

أتعجل الأيام تسرع خطوها فإذا مضت عنى بكيت الماضى
وأحنّ للذكرى فيغضب حاضرى فأقول: لا تغضب فإنك ماضى

***

على شفتى من شفتيك جمر وفى كفّى من كفيّك عطرُ
وفى عينيك لى نهـى وأمـر فمن طُـرق الهـوى أيـن المفر

***

عجبت لطعم العيش فى رونق الصبا حلا لى على مُر وطاب على عسر
وأعجب من طعميه إن فارق الفتى شباب ففى طعميه مُر على مُر

***

صورة طفلة تسقى أخاها الأصغر لبنا من زجاجة وهو ينظر إليها فى رضى:

مالت على المولود وهى هنيئةٌ — تسقيه من يدها الحنان على رضى
فيها الأمومة وهى فى عمر الندى — ولها اطمأنّ كأنما أمِن القضا

***

عيون تُحيل الليل إما رنت صبحا — وتبعث فى المقرور من دفئها شمسا
أعدن إلى قلبى صبابات أمسه — ولم يقو مَرّ الدهر أن يطوى الأمسا

***

تمرستُ بالحرمان حتى تركته — يقول أمات اليُسر أم قُضى الأمر
وأوغلت فى اللذات حتى تكاثرت — علىّ سقام الجسم وانسدل السِتر

***

لبنان من بين المغانى جنة — ما إن لها بين الرياض مثال
أين انتقلت لقيت حُسناً ماثلاً — فإذا مكثت أتى إليك جمال

***

وزائرةٍ جادت على الروض بالنَدَى — ففتح أكماما وضاع لها عطرُ
لها بسماتٌ تنثر الدفء والمُنى — وتفعل بالأوصال ما تفعل الخمر

***

ياصارف الكأس لا تعتب ولا تُلِم — ويا أخا الوتر النشوان بالنَغَم
جُودًا علىَّ بأنغامٍ مشعشعةٍ — فمذ صحوتُ على التذكار لم أنَم

***

قـــال لـــلـــعـــاذل دعـنـــى إنهـــــا همـــــى وشـــأنـــى
وهـــى فى عيشى ابـتـسـامٌ لـــو تـــراهـــا رأى عينى

***

ثغرى على شط الثغور فراشة تحسو الرحيق من الشفاه وتلثُمُ
تستاف أنفاس العبير من اللما وتـرُد للروح الحياة وتُلهمُ

***

إنى وأدت مطامعى ومطامحى وبرئتُ من أملٍ أذلّ نفوسا
وأخذت نفسى بالقليل مُبرّأ من كل ذلٍ بات لى مرؤوسا

***

أنـتِ والحـب والوفاء كيانٌ سرمـــدىٌ الجــمال فى دنياىّ
ليس عندى من بعدكم متمنى إن مضيتم قضى علىّ هواىَ

***

طوّفت ما طوّفت فى دنيا الهوى وسلكتُ فى حبل الغِناء شبابيا
وبعثتُ فى الآفاق أنات الجوى ونظمتُ من خفق الفؤاد أغانيا

***

قُبَيل الفجر ينتشر الظلام وقبل الصفو يحتدم الخصامُ
وعَـود السلم موعده قريبٌ لـكـونٍ بالسلامة مستهام

***

حفِظتُ على بُعدى عهوداً أصونها كما صان جفن العين إنسانها الغالى

فإن عَصَفت ذكرى تمرّد خاطرى فياشدّ ما ألقاه منكِ ومن بالى

***

بدنى يدب الوهن فى أوصاله وعلى «ابن جنبى» بُردةٌ لا تخلُقُ

هى من شبابٍ بالهُيام موكّل فــإذا شكا بدنى لا تترفق

***

أكابدُ من آلام مالو أَحسّه طبيبى لما أفتى بأنى واهم

وشرّ بلاءٍ أن ترى الداء خافياً على الطب أو تبدو كأنك ناعم

***

إن الفقير الذى يُثرى يُلاحقه ظِلّ من الفقر فى حِلّ وترحالِ

لا يعرف اليُسر أو يحظى بمتعته إلا تليدُ ثــراءٍ وابن ذى مالِ

يقول شاعر قديم فى وصف صفصافة على نهر:

«مالت على النهر إذْ جاش الخرير به كأنها أُذُنٌ مالت لإصغاءِ»

فقلت مشطِّراً:

مالت على النهر إذ جاش الخرير به وهاجه الشوق للقاصى وللدانى

فَنَدّ عنها حنانٌ ساعفته به كأنها أُذنٌ مالت لإصغاء

***

باتت تبادلنى خمر الحديث ولى بالخمر معرفةٌ مُذْ لامستْ فاها

ماذا على فمها لو فى الحديث دَنَا من ثغر من بات يرجوها ويخشاها

***

وأجمـل مُـرّ فى الحياة رغيبةٌ تَعَزُّ منالا لا تَـذلُّ مع البذلِ
وإنـىّ لأستبقى هـواك لأننى رأيت نصيب الصدّ أدنى من الوصل

***

ياما أحيلى اللحظ فى بسماته وأحبُّ معه اللحظ فى الهمساتِ
جـودى عـلىّ ببسمةٍ نشوانة أو همسة خـدَّاعـة النغماتِ

٣ - من قصائده المجهولة

فى سنواته الأخيرة أبدع أحمد عبدالمجيد الكثير من شعره العاطفى فى ملهمته «سلوى» ضمنها ديواناً كاملاً سماه «نجوى» سلمه لتلك الملهمة قبل رحيله وقد أخبرتنى أنها سلمته للشاعر فاروق شوشة (١٩٣٦ - ٢٠١٦) لينشره، لكنه لم ينشر حتى الآن. وقد كان الشاعر أحمد عبدالمجيد يزودنى ببعض تلك القصائد المخطوطة سواء بالمراسلة أو عندما كنت ألتقيه.. وهذه هى بعض قصائده التى تركها لى مخطوطة من ديوانه المفقود «نجوى».

صبابات

خبرينى كيف يشقى من له ... من جنى عينيك هذى البسمات
خبرينى كيف يظمأ من غدا ... عيشه ترديه منك النظرات
كيف أشقى ونعيمى ماثل ... بين جفنين لغاها همسات
هى من دائى دوائى وأنا ... أمنيات فى حواشيها النجاة
ما الهناءات التى ينشدها ... شاعر قصت جناحيه الحياة
غير صفو منك أبغى وردة ... فى صبابات، وحسبى نظرات
وبكفيك مصيرى كله ... وعيونى من مصيرى قلقات
حسب قلبى أن ما يربطه ... بالوجود المرد هذى اللفتات
هو هدى الشوق الذى أرقنى ... واعدلى فالعدل ترعاه الرعاة

وهـبـى قلبى نصيبا فأنا ... من رعايا الحسن تحلو لى الهبات

***

واسمعينى نغمة تعزفها ... همـسـات تتغناها اللهاة

اسمعينى أنـنـى أحـيـا على ... أمنياتى وكيانى أمنيات

اسمعينى فيقينى ظامئ ... ليس ما يرويه نيل أو فرات

إنـما يرويه من فيك الرضى ... إنـما تـرويـه منك النفحات

يا ضياء القلب إن حلت به ... ظـلـمات قـاتمـات حالكات

اسمعى سمعى وعينى معا ... فعيونى رابـيـات مصغيات

وداع

خافق بين الحنايا ودعك ... حافظ من عهده ما استودعك
ذاهل عن كل شيء يرتجى ... غير شأن خالد مذ شيعك
فالأماني استحالت غاية ... للغد المرجو لما يجمعك

***

إن شدا طير بأفنان الربى ... يذكر الماضى وأيامى معك
حيث كنا فى الربى يهتاجنا ... سجع أطيار تناغى موقعك
أو رأى زهراً بدا فيه الندى ... يحسب الأنداء تحكى مدمعك
إذ توافينى بعين ثرة ... شفها ما شفّ مما روعك

***

كم سألت البدر ينثو ضوءه ... أحسب الأضواء تدنى موضعك
واشتهى نجواى ليل فعسى ... يحمل النجوى فترعى مضجعك
فإذا ما مر بى ريح الصبا ... قلت خذ يا ريح أشواقى معك

ساعة لقاء

تمهلى يا ساعتى ... ففى التأنى صبوتى
دقائقى محسوبة ... ودقة بدقة
وفى الحنايا خافق ... يحسبها بدقة
صبرت حتى تلتقى ... تعلتى بلهفتى
كيف السبيل للسنا ... يضم أسمى نجمة
لبدر تم ساطع ... ينير أعمى عتمة
حبيبتى أنشدها ... كأنها قصيدتى
مشغولة بفنها ... الهادى لأدنى غاية
فكيف ألقاها ولا ... أفقدها فى الزحمة
حبيبتى وغايتى ... بعد اللتيا والتى
دانت بثغر ساحر ... ورقة فى البسمة
تخفى رضا عنى بدا ... فى الهمس أو فى النظرة
حتام أصلى فى النوى ... ناراً وقربى جنتى
والله ما غير اللقاء ... لا الطب، يشفى غلتى
يا بعد غب عن مجلسى ... يا قرب خفف لوعتى

مراح الصبا

الصبر إلا عن هــواك جميل ورضاك وإن ضنّ الزمان بديل
يا أنــس أيامى جفاك مذلة ورضاك إن يوما بذلت بخيل
ولكم يعز الصبر فى دنيا الهوى ونفاد عمرى فى هواك قليل
وخبرت كل كريمة وضنينة لكن ضنك مفرد وأصيل
يا من خفضت لها الجناح معزة صونى وفــاء ليس منه قبيل

***

فى معبدى ناجيت طيفك خاشعا ونداى فى سمع الدجى ترتيل
اصغى إلى همسى إذا وافى الدجى فالليل بين العاشقين رسول
النرجس النعسان صفّق للندى ونداك عندى يوم صفوك نيل
وجفاك معلوم المطالع سابق وصفاك إن يوما رضيت عليل
صونى هوى أنا ما عرفت له مدى إن حال ضوء الشمس ليس يحول
إن عزنى فى الحب قلب معرض فالصبر إن عز النصيب طويل
أحيا بــه، بـعــذابـه، بسرابه والحــب لا يبقى عليه ملول
وسواى مغلوب فقلبك نافر وعصيٌّ حبك ليس منه مثيل

***

أحيا بقلب تشتهى دقاته ... لو أنها نطقت لرحن تقول

يا طيبها حرق الجوى عند النوى ... وجواك موفور الأذى موصول

وأغار منها وهى فى نبضاتها ... نشوانة، تخشى الهوى، وتميل

فترفقى بصريع حب صابر ... وتخيرى فسواه ليس خليل

وتزودى بالصد حتى ينجلى ... من حول عُشك مغرمُ وعذول

فأهيم وحدى فى العذاب متيماً ... وعذاب حبك وارف وظليل

هكذا أحب

أحببت حتى لم يعد فى الناس بعدى من يحب
وعشقت حتى لم يعد فى الكون بعدى أى حب
غيرى أنا فيمن حنا
أو فـاض مـنـه الـدمـع ممـن قـد جنى
إن قال غيرى « يا ضياع العمر فى عشق أليم»
قلت «اعطنى أعمار كل الناس من عهد قديم»

***

هل فى الحياة سوى الهوى مهما أضاع من النهى
هل فى الوجود هوى بغير جوى يؤرِّق أو نوى
أنـــا لم أزل رغـــم الـعـلـل
أهـــفـــو إلى حـبـى كـــأنـــى فى عـمـل
وبكل إخلاص أؤدى حق حبى فى السَّهر
وبكل طاعة من يُوكلّ من رئيس إن أمر

***

لم أرْجُ يـومـا بـعـد جهد الحـب أجـــراً لهـــواى
لم أرْجُ يوما من مُنى قلبى شـــفـــاءً مـــن جـــواى

لم يْبق في قلبي مكان للسهام أو الجراح

***

يا أنس أيامي تعالْ أنت كأسي والمراح

يا بهجة الدنيا تعالى كلما نادى هواى

وإذا سمعتِ الطير يشدو فهو قلبي يا مناى

فى ركابك

القلب يمشى فى ركابك والعمر منتظر ببابك
وحياة عينك ضاع عمرى بين قربك أو غيابك
والدهر إن أقبلت نشوان بخمر من رضابك
«أزن» الحديث أقوله فيضيع عند صدى خطابك
وأهم أجمع ما سمعت لألتقى بك فى احتجابك
وأعيد ما أسلفت من قول تلألأ فى رحابك

***

ولقد خلعت عليك سحر الشعر يسرى فى شبابك
فخطرت والأفراح تمرح كالغوانى فى إهابك
وأخاف أن ألقاك يوماً تسألينى فيه «ما بك»؟
إنى أهابك.. لست أدرى أم أخاف جوى «عقابك»؟
وأبيت صديان الجوانح ظامئاً لندى سحابك
فبحق ما صنع الجوى «لا تسقطينى» من «حسابك»

قرار

بــين عينيك وعينى حــديــث وحــوار

أدركـــت عيناى منه ما تخفى فى ستار

تمنحينى الــود صرفـا فى سرار أو جهار

وتناجينى بعين مــن ضحاياها أغــار

غير أنى من عيون الغيد فى أقصى حذار

يا عيون الغيد رفقاً إننى أخشى الأسار

فلقد ذقــت كثيراً من صــدود وازورار

أطمعتنى ذات حسن بــأمــانــىَّ كبار

لم يطل أمــرى بها أملت من قرب المزار

ومن الوصل سوى ليل تلاشى فى النهار

وإذا بالوعد ذكــرى ورمــاد دون نار

***

يا مراد الروح كُفىِّ قد مضى عهد العثار

لا ترومى اليوم حبا نالنى منه الدمار

كيف لا أخشاك والغاوون للحسن كثار

راعنى منك جمال ومن الأمــن «افتقار»

يزدهى ناديك بـالآراء يكسوها بالوقار

وحديث منك يـسرى كضياء فى قفار

هو فى تيه «منار» وهو فى قلبى «فنار»

رقـة تـأسر قلبى أيـن لى منها الفرار؟

رقـة تأسو جراحى مثلما يأسو العقار

وذكـاء عبقرى طـار بـى كـل «مطار»

كـل مـا فيك جميل حـير الـرأى الخيار

حسن وجـه ودلال وذكـاء مـن نضار

***

يا مـراد الـروح رفقاً إننى ذقـت المـرار

من صبايا فاتنات كن حولى كالسوار

يتهامسن وقد أدركـت ما يخفى السرار

وتطلعت لعتقى فى امتثال وانكسار

وتداويت بذكرى الصد من ذات نفار

فاغفرى إعـراض قلبى إن لى منه اعتبار

وأنـا رغـم هيامى عـاشـق لا أستثار

لم أعـد ملكاً لوجدى أينما حل وسار

إننى فى الحب ليل ضاع فى ضوء النهار

فاغفرى لى ما عرانى واقبلى هذا «القرار»

حوار مع الحب!

إن قلتُ للحبِّ زدْنــى!. قال قد نفَدتْ
حــدائـقــى عــن غــرام طـــابَ أغصانا
بـذلـتُ مــا فى يــدى للعاشقين ومَــنْ
أقـــام للعشق أمجـــاداً وسُـلْـطـانـا
وأنـــتَ بـــدَّدتَ مـا أعطيته فَـغَـدتْ
يـــداكَ تـطـلـبُ مِّـنـى الـيـوم احسانا
أيـن الـذى يا صـبُّ، مَـنْ عيناه أقسمتا
عــلى الحــفــاظ عــلى مــا صـــار نسيانا
أينَ الذى يا صبّ، مَنْ قد باتَ موْضعه
مــا بــين عينيك يــا مُـشـتـاق انسانا
مـازلـت تَـنـشـده لـيـلاً إذا اختلجت
لـواحـظُ النجم إن مــا بـــاتَ سَهرانا
الـنـجـم والـعـاشـق الـولهـان مـا فِتئا
كواكباً فى الـدُّجـى، بالوجد يزدانا؟

***

أيــنَ الــذى يا صــبُّ، مَـن يسلو خمائلنا
عند الـغـديـر الــذى أشجته نجوانا
يــامــا هـتـفـنـا عــلى شــطـيّـك أغنية
يــا نيلُ صــارّت حكايا مــن حكايانا
ورُحـــتَ تـعـزفُ «سيمفونية» مــلأَتْ
سَـمـع الــزَّمـان بلحنٍ مـن شكاوانا

***

أينَ الذى يا صبُّ، فى الأزمـان ضيَّعنى
مـن عهدِ رُومـيـو وقيس منذ أزمانا
لولاَ الهوى والجـوىَ فى الناس ما نظموا
شِـعـراً ولا أرسَـلـوا فى الليل ألحانا
ولا تَــسربَـل صــبُّ بـالـدجُّـى ومضى
فى البيد يُـذكـى مـن الـتـذكـار نيرانا
ولا اشتكى، وجَـــواهُ بـعـضَ غُربته
إن المُـــحــــبَّ غـــريـــبْ أيـــنـــما كـــانـــا
فـــإن تـنـسَّـم عـــطـــراً مــــن أحـبـتـه
شّــدا كمن بــاتَ طُـول العُمر نَشوانا
تخَـالــه مـن رقـيـق الحـــسَّ فى طــربٍ
ولا يَـبـيـتُ عـلى مــا فــات حـسرانـا

قـد كـان يشفقُ مـن نـأى يـطـولُ بهِ
وهـا هـو الـيـومَ كـل الـنـأى قـد هانا
لئن تـضـوَّع مـن ذكـر الحبيب شـذىً
كـما يُـبـشر صـوتُ المـاء عطشانا
يا ليت يا عاشقاً، أبقيتَ بعض الذى
تـرجـوه منى ومـا فى الـكـف قـد كانا
بـدَّدتَ كـلَّ الـذى أعطيتهُ وغـدَتْ
يـداك تـطـلـب مِّـنـى الآن إحـسـانـا

دوام

عجبت لأمـر الحـب أو أمـره عندى
كأنى محـب فى «اللِّـفـافـة» مـن مهدى
أتـيـه مـع الـدنـيـا بـأنـى رأيـتـهـا
بعين عشيق يـمـزج الـشـوك بـالـورد
أرى فى قـلـوب الـنـاس خـيراً وإنـما
يحـجـبـه مـا غـاب مـن نـعـمـة الـود
أحـبّـوا وداووا بـالـغـرام مـواجـعـاً
كما كـان يُشفى السِّحر بالذكر والند
وإنـى ومـن أحببت «كـالـظـل» تابعٌ
و«كالعمل» المتبوع بالشكر والحمد
وإن الـتـى أحـبـبـتُ أحـبـبـتُ حبها
وإن كـان يشبه البحر فى الجـزر والمـدِّ

***

ولى مذهب فى الحـب مـا زال مذهبى
لأنـى أصـون هـوى مـن فضله عندى

وأرضى إذا راقــت لعينيك لهفتى

وأزهــو كجيد الغيد يختال فى العقد

وأشــهــد مــا لاحـــت لعينى صــورة

لغيرك أو كانت -وإن عظمت- قصدى

ولا غــلــبـتـنــى لهــفــة أو رغـيـبـة

لحسن ولا أمعنتُ فى الحسن عن عمد

وإنـــى لأستحييك إن قـلـت إننى

صريــع هـــوى مــا بــين ثـغـرك والخـــدِّ

وحسبك أن أخشاك فى القرب والنوى

وحسبى أن أهــوى مــن المـهـد للحَّد

قفانبك

وزائـــرة ردت عـلى الـــروح روحـهـا
فـآبـت إلى نفسى البشاشة والبشر
وأيـقـظـت الأفـــراح مــن بـعـد غفوة
وفى القلب هم ضـاق من همه الصدر
تـطـارحـنـى صـفـو الحـديـث كـأنهـا
حمامة أيـك طـاب مـن شجوها الفكر
كـــأن المـعـانــى فى رشـــاقــة لفظها
جــواهــر يـزهــو مــن مفاتنها الثغر
ويــرتــد عنها الـطـرف يخـشـى ؟؟؟
فكم نـظـرة أدرى بصاحبها الدهر

***

يـلـوح ذكـــاء القلب مــن نـــور عينها
يـصـاحـبـه كـبريـتـيـه بـــه الـكـبر
وســاعــات سـعـدى فى حياتى قليلة
وبــين يديك الـدهــر والـقــدر والعمر

لـدن زرتنى لم يقرب النوم مضجعى
ولم يــدر راق كيف قيدنى السحر
وأسـلـم أمــرى إن ألــح بـى الجـوى
وأبــعــث طيفى منذ أن شفه الهجر
تمنيت لــو كـــان فى الـقـلـب موضع
لـسـهـمـك كـيـلا يـسـتـبـد بـــه الـغـير

***

قفانبك يـا قلبى وعينى فـما جرى
عـلى غـيرهـا دمـعـى ولاهمـنـى العمر
وفى القلب حاجات وفى النفس مثلها
وفى المقل نُهًى ضـاق من أمـره الصدر
أرى النجم أدنــى لى إذا رمـت لمسه
ودون مـغـانـيـهـا عـلى قـربهـا عسر

***

فيا طيف زرهـــا، حيث تلقى جمالها
هــو الـقـمـر المـد الـــذى مـالـه جـزر
فرفقًا - إذا ما جـاءك الطيف زائـرا -
بقلبى، فقلبى صـار مـن بعدكم طير

ابتهال

يـا إلهـى أنـت تـدرى ... مـن وراء الـغـيـب أمـرى

فـاسـتـوى عـنـدك سرى ... واسـتـوى عـنـدك جهرى

***

إن أكـن أذنـبـت حسبى ... إنـنـى أعـلـم ذنـبـى

وإلى سـاحـك أمـضى ... والـرضـا يـمـلأ قلبى

***

يـسـبـق الـعـفـو سـؤالى ... ورجـائـى وابـتـهـالى

إن عـفـو الله بـاب ... واسـع الـرحـمـة عـالى

***

كـن شفيعى يـا رسـول الله ... يـا نـعـم الـشـفـيـع

نـحـن مـن عـز الشفاعة ... مـنـك فى حـوض منيع

***

كـيـف أعـصى مـن هـدانـى ... خـيـر شـعـرى ورعـانـى

كـيـف أعـصى مـن حبانى ... كـل مـا نـدى لـسـانـى

***

إنني يا رب إنسان ... وما كنتُ ملاكا
أنا من طين ... وإبليس ملاك وعصاكا

***

فى حنايا الصدر قلبى ... ساجد يعبد ربى
نضبه ذكر وتسبيح ... وتكفير لذنبى

كن أنت ظالمى

إذا كنت مظلوماً فكن أنــت ظالمى

إذا كــان فى الحــالـين لابــد مــن ظلمى

لقد كنت أرجــو فى رحــابـك موضعاً

ألـــوذ بــه مــن هــم لـيـلى ومــن يومى

لــدن كــان ليلى أســود الحــظ حالكاً

ومــذ كــان يـومـى فى جحيم مــن الهم

فـألـقـيـتُ نفسى فى جـــوارك مبعداً

وألـفـيـت قلبى بعد جــورك فى سقم

وكــنــتُ إذا طــافــت بنفسى رغيبة

تـبـاعـد مـا بينى وبـــين الــذى أرمـــى

وألـــقـــاك تـبـغـى إن تمـنـيـت بغية

وكـــل الـــذى أبـنـيـه يـنـهـار بـالهـدم

وكـنـت ومــازلــت الــذى كـنـت، ظالما

ســماؤك مهما طــال بــى الهــم لا تهمى

***

حنانيك إنـى كنت بـل أنــت لم تزل

طلابى الـذى أضحى سرابـاً فى الوهم

وكـنــتَ عـلى قــرب المـــزارات قاسياً

وصرت قـصـيـاً، قــاصى الــبر والـيـم

فــإن كنتُ مظلوماً فكن أنــت ظالمى

ولا تخشى بائساً من عتابى ومن لومى

من أجل عينيك

خلع الشباب عليك أزهى ثوبه
ونثا الربيع عليك حلو شبابه
فجمعت أزهار الصبا وربيعه
وكساك خفة ظله وإهابه
وأنا سلكت إليك أخطر مفرق
ورضيته بعقابه وثوابه
ما حيلتى وهواك نفاذ الجوى
أرضى به وبناره وعذابه
يا من لها فى القلب أكرم موضع
ما أهنأ القلب الذى يزهو به
ومكان خطوك حيث أنت مقدس
أرتاده ما دمت فى محرابه
من أجل لحظيك اللذين تآمرا
أو ما كفاه القلب من أحبابه

***

أفـديـك إن أشـقـيـتـنـى أو زدتـنـى

ألمــاً فــمــذاك جـــزاء فــاقــد قلبه

إنــى تــركــت الـقـلـب عـنـدك يجتنى

مــن فضل عطفك أو قليل نصيبه

صــونــيــه عـــنــد وفــائــه وولائـــه

فــهــو الــــوفى وإن أطـــاح بـربـه

٤ - من شعره الفكاهى

متى ستعرف

عارض أحمد عبدالمجيد قصيدة نزار قبانى «متى ستعرف كم أهواك يا أملاً» بقصيدة من الشعر الحلمنتيشى قال فيها:

متى ستعرف كم أهـواك يا «حنفى»
يـا مـن نشلت دمـوعـى مـن مآقيها
يـا مـا رهـنـت مـصـاغـا، كنت تنفقه
عـلى فـضـائـح تـنـشرهـا وتـطـويهـا
يـا مـا دفـعـت كـفـالات بـواعـثـهـا
محـاضر الـنـشـل والأقـسـام تـرويهـا
لـو تطلب البحر.. فى كفيك أسكبه
أو تطلب الشمس.. فى عينيك أطفيها
لـكـن لقيتك وغـداً لا يـطـيـب له
إلا ارتـكـاب دنـايـا لـيـس يحصيها
إن كنت تنكرنى يـا مـن شقيت به
فـكـم سـفـائـن غـاصـت فى موانيها

أنا انتشلتك من فقر ومسغبة
وكم كسوتك أثوابا.. بما فيها
هذى ثيابك بعد «العصر» أفردها
وأقطع الليل أطويها وأرفيها

***

إرجع إلىّ.. فإن «القسم» يطلبنى
وفى السجون لوائح أنت تدريها
إنى «ضمنتك» كى ترتد لى بشراً
مبرأ النفس من أدران ماضيها
ارجع.. فبعدك لا سجن أحن له
ولا «الكلبشات» بعد يديك أبغيها
أرجع.. فبعدك لا أرز أفلفله
ولا لمست توابل فى أوانيها
أرجع.. فبعدك لم أنعم بمجلسنا
ولا فردت فطار فى صوانيها
لمن سواك لمن، أشوى الكباب لمن؟
أرانب منذ أعوام أربيها

***

إن افتقدتك يوماً لا أكون سوى

قـصـيـدة فى الهــوى تبكى قوافيها

ارجــع.. كـما أنــت، وغــدا لا يتوب

ولا يسلو المحافظ أو يسلو خوافيها

إرجـع كما أنـت، «مِشاً» كنت أم بصلاً

فـما الـدقـائـق إن غـابـت ثـوانـيـهـا؟

محاكاة الشعر الحديث

أما بالنسبة للشعر الحديث الذى كان بعض شعرائه يفتعل الصور الغريبة، ويتعسف فقد آلمه هذا الاعتداء الصارخ على أصول الشعر العربى وقواعده، فلم يجد سلاحاً ناجعاً سوى السخرية المرة منه، فنظم عدة قصائد على غرار هذا اللون من الشعر الحديث منها هذه القصيدة الساخرة كنموذج لهذا الشعر الدخيل:

هـــذه المـواكـــب الـتـــى تسير فى السماء
تتشكل ساعة كالألف.. وساعة كالياء
إنهـــا الـــسحـــب الـتـــى تحـمـــل المـــاء
إنهـــــا مـــــاء مـــــاء مـــاء
ينزل مـطـراً عـلى «قـرعـة» بنت أختى
الـتـــى تـولـــول وتـقـــول «يـــا دوخـتـــى»

***

والـــسمـاء الـــــلازورد عـــنـــد الشفق
تــــبـــــدو عــــــلى الأفـــــق
وكأنها احمــرار خد الحبيب عند الحياء
وهو لا ينفع فيه دواء ولا يشفع عنده ببغاء
إن الشمس متوهجة وراء البوص والخوص

والسكوت عندئذ يلف الكون
فلا تسمع فيها «جون» ولا «إيدهون»
والعب يا ميمون ولا يا دون الدون
وتنمحي آية النهار قليلا قليلا
فقصير النهار كان طويلا
ويحل ليل كأنه لولا

٥ - أغنيات خالدة
(تغنى بها الموسيقار محمد عبدالوهاب)

هذه هى مجموعة الأغنيات التى نظمها الشاعر أحمد عبدالمجيد وتغنى بها الموسيقار محمد عبدالوهاب فى الفترة من عام ١٩٢٧ حتى عام ١٩٣٠ وأصبحت هذه الأغنيات من التراث الغنائى المصرى العربى الأصيل والتى تجمع بين رقة الكلمات وسمو المعانى وروعة الألحان، وجمال الأداء.

كلنا نحب القمر:

كـلـنـا نــحــب الـقـمــر	والــقــمــر بــيــحــب مين
حــظــنــا مــنــه الـنـظـر	والـنـظـر راح يــرضى مين

***

كـــل يـــوم يظـهـر عــذول	تــفــتــنــه ويـــغـــير عليك
وان سـبـاه الـنـوح وطـال	فيك أنينه يلومنى فيك
عـــذِّبــه قـلـبـه الـلى مـال	يـامـا غـــيره وهـــان عليك
وان شافنى صابر على نارى	وحـــلالى تـعـذيـبـك فـيِّـه
يحسدنى ويغير من صبرى	عـلى بـعـدك مـا تحـن عليَّه

***

وان كنت يوم ترضى وتعطف	حـــتـــى لـــغـــيرى

أعيش بأمل أنك يمكن — يوم تصفى لى
ما تقول لى إزاى أنساك — لا أنا طايل تعذيب فى هواك
ولا قادر قلبى يسلاك — جرَّبت خضوعى يكفاك

خايف أقول اللى فى قلبى:

خايف أقول اللى ف قلبى — تتقل وتعند وياية
ولو داريت عنك حبى — تفضحنى عينى فى هواية

***

أنا زارنى طيفك فى منامى — قبل ما أحبك .
طمعنى بالوصل وفاتنى — وأنا مشغول بك
عايز أعاتبه لكن خايف — يروح يقول إنى باحبك
ولو داريت عنك حبى — تفضحنى عينى فى هواية

***

صعبان علىَّ أشوف غيرى — عاش متهنى
راضى بقليلى ويرضينى — صدَّك عنى
وأملى قربك ونعيمى — أقول لقلبى أنى باحبك
ولو داريت عنك حبى — تفضحنى عينى فى هواية

***

يسألنى مالك وأنا حالف — إنى أخبِّى
والعين خانتنى وبات عارف — باللى فى قلبى

روحـــى وحـيــاتي تـعــالى لى ... ما دام عرفت إنـى باحبك
ولــو داريـــت عـنـك حبى ... تفضحنى عينى فى هوايه

عايزك تصد وتهجرنى:

عــايــزك تـصـد وتهـجـرنـى ... يـــمـــكـــن أطـــيـــب
وتحــــرَّم الـقـلـب يــودَّك ... يـــكـــفــــاه نــحــيــب
أنـــا بـاحـبـك مـا انكرشى ... وانــــــت الــطــبــيــب
لكن بـاقـول صـدَّك يمكن ... يـــطــفـــى الــلــهــيــب

***

بـان لك فى عينى إخلاصى ... والـــعـــيــن دلـــيــل
ولـــو صبح كـاسـك كاسى ... وتــــبـــــات عـــلــيــل
وعنيك من الدمع تقاسى ... أتــــقـــــل وأخــــيـــل
لـكـن يخـوِّنـى إخــلاصى ... وارجـــــــع أمـــيــل

حسدونى:

حسدونى وباين فى عنيهم ... مـن عطفك وحنانك ليَّه
وعذابى فى هـواك يرضيهم ... ويــا ريـتـك بـتـعـذِّب فيَّه

***

مكتوب على جبين العاشق ... بــــدمــــوع عــيــنــه
إن الحـنـان عمره مـا يقدر ... يـــطـــفـــى شــجــونــه
ويـقــول ده بـس بيرضينى ... وقـلـبـه مـش خـالـص ليه

حـــســدونـــى.. حسدونى

***

بـتــخـــاف عـــلىّ تعذبنى | يـــــكـــــتر نـــوحـــى
واصعب عليك لو تعاندنى | لـــيـــه ده يـــا روحـــى
اشمعنى. يعنى يكون قلبك | هـــوّ الـــلى حـيـحـن عليَّه

حـــســدونـــى.. حسدونى

***

إكـمـنـى محـــروم ولقيتنى | صـــــابـــــر وحـــــدى
حبيت يـا روحـــى تكفتنى | عـــن طـــــول وجـــدى
خّـلِـيـت عـــزولى يحسدنى | ولـــو عـــرف يبكى علَّيه

حـــســدونـــى.. حسدونى

كتير يا قبلى الذل عليك:

كتير يـا قلبى الـــذل عليك | ده ذنبك إنته وليه ترضاه
إن ساق حبيبك تيهه عليك | لاجـــل المــعـــزَّة اعــنــد ويــاه

***

إن كنت أدارى عنك هوايه | ما أقدرش أخبى كتر الأسيه
إيه يعنى صدك لو كان معايه | قلبى وما كانش طاوع عينيه
ده هـــجـــر قـــلـــبـــى | ســـــبـــــب بـــكـــــايـــــه

رجع لى قلبى صعبان عليه

***

حـبّـيـت وقـاسـيـت وصـبـحـت سـقـيـم
وشـكـيـت وبـكـيـت مـا لـقـيـت لى رحـيـم
إن كـان شايفنى مليِّت مـن هجرك مـا عليَّه ملام
كنت أمـا أشوفك صدِّيت يواصلنى سهادى ولا أنام
إكـمـنـى لقيتنى حبِّيت تجافينى! مـش يبقى حـرام
وأنا كل ما أقول إنى سليت يعاتبنى، أرجـع لـه قـوام

مريت على بيت الحبايب:

مـرِّيـت عـلى بيت الحبايب مـن اشتياقى أنـاجـى أهله
مـدام مليك القلب غايب وفى التلاقى يبخل بوصله

***

وقـفـت لحـظـة هـنّـيـه مـن غـيـر عـذول أو رقيب
أنـعـش فـؤادى وعـنّـيـه بـجّـوْ فـيـه الحـبـيـب

***

واديـنـى شـايـف بعينى كـل الـلى شـايـفـه بعينه
والـنـسـمـة بـيـنـه وبينى تنقل لى شـوقـى لعيونه
ولـيـه بـقـى طـول أنينى ده الليل سـترنـى سكونه

***

قلت يمكن الـلى هاجرنى يكون وقوفى على غيره مراده

مشيت أنوح والليل ساترنى بقلب باكى صاين وداده

***

مين فى حبه يرضى بنصيبى مين فى حبه يحمل شقايه
شدو قلبى سامعه حبيبى واشتكى له ينكر هوايه
لو يجينى بالليل خياله يشفى قلبى واشكى له ميلى
وأن منع عنى خياله . يبقى وحده هوّ عذولى

الهوان ويَّاك معزَّه:

الهوان وِّياك مَعزّه والهوى حاكم علينا
مين يبوح وعنده عزَّه دى المذّلّه لو شكينا

***

فى هواك مين يحمل غيرى طول جفاك
والا يتحمل ويدارى من نواك
امتى أشكى لك من نارى يوم صفاك

***

ليه الدلال قلبى انكوى ده الهجر طال وانته الدوا
والغصن مال ويَّا الهوى وادينى صابر لما تميل

***

والروح بيحييها الأمل يا حياة الروح
والعشق يرويه الغزل ويزيده النوح

***

وإن كان بيرضيك الذليل

وهان عليه ذُلك ورضى به

إعطف على قلبه العليل

يعيش وتتهنّى بتعذيبه

نسيم الربيع:

نسيم الربيع ينعش فى قلبى ... الحنين ويزيد وجده

متَّيم صريع ولهان يناجى ... الضنين من طول بعده

والليل خداع ... يخبى دمعى ويفضح نوحى

والنوح وجَّاع ... يذل قلبى ويسقم روحى

وعبير الأزهار ... يفكر عليَّه الحبيب

ونواح الأطيار ... يزوِّد فى نار اللهيب

والندى ينزل على الورد الجميل ... ينعشه ويطيب شذاه

والدموع تبقى على خدى تسيل ... والحبيب راضى بجفاه

***

كل المناظر حواليَّه ... تشهد على قسوة قلبك

ويبان جمالها لعنَّيه ... لو كنت متهنى بحبك

باحب فيك الخيال ... والروح وحلو الأمانى

ولو منعت الوصال ... أنوح بعذب الأغانى

بالليل يا روحى:

بالليل يا روحـى أرتِّـل بالأنين اسمك
وبعين خيالى أصـَّور يا ضنين رسمك
وأشـوف خيالك من بين دمـوع العين
وأقـول لـه مـالـك وفـين جمـالـك فين

***

خـفِّـف دمـوعـى يـا هاجر | خـلِّـينـى أشـاهـد جمالك
والـدمـع قـاسـى وغـادر | حـجـب محـاسـن جمـالـك

***

وفى الـتـلاقـى لحـاظـك تحجبك عنىِّ
وأخـاف ألاقـى فى قربك بُعد وتجنىِّ
واسـيـنـى دى كـفـايـة دمـوع عينى
بـالـلـيـل بتهينىِّ والـنـوم مجافينى

***

قِـلـة نـصـيـبـى | فى الـقـرب زى الـبـعـاد
يـا طـيـف حـبـيـبـى | تـعـالى واسـى الـفـؤاد

***

اشـتـاق فى قـربـك لنظره | واحـتـال أشـوفـك بعينى
يـا عينى جـودى بنظره | تطفى اشـتـيـاقـى وأنينى

بالك مع مين:

بالك مع مين يا شاغل بالى   يا حبيب العين ارحــم حالى

***

ليه جو حبَّك دايــمًا سحاب   وليه هوانا على غير وفاق
وأتمنى قربك تهوى الغياب   وأن التقينا ألــقــاه فــراق
يـــــــا شـــــــاغـــــــل بـــــالى

***

إن غبت عنىِّ أســأل عليك   وأخــاف سـؤالى يخلق عذول
وبالتمنى زاد حبى فيك   واســأل خيالك تلقاه يقول
يـــــــا شـــــــاغـــــــل بـــــالى

***

خايف يا روحى هجرك يطول   وعنَّيه تدبل من طول شقايه
ولسانى يسكت وأنسى أقول   ليه بس نوحى وطول أسايه
يـــــــا شـــــــاغـــــــل بـــــالى

***

مين عذِّبك بتخلَّص منى:

مــين عــذبــك بتخلص منى   وذنــبــى إيــه بــتــعــذَّب فيه
وفيك باعذب قلبى وعينى   ولو جافوك ما تهونشى عليه

خبيت عن الناس أشجانى ورضـيـت بتعذيبك فيه
والشكوى تبقى على لسانى واداري مـا يخيلش عليه
وألـقـى الـعـواذل حاسدنى مـن صـبر قـلـبـى وعنيه
وفيك باعذب قلبى وعينى ولو جافوك ما تهونشى عليّه

***

حيرتنى وسقيتنى الكاس ودمـوعـى باحتار أداريهـا
ولما أشـوف فى عيون الناس أسـى ودمـوع أحـتـار فيها
ليكونوا شربوا معايه الكاس وداقـوا حـرمـانـك فيها
وفيك باعذِّب قلبى وعينى ولو جافوك ما تهونشى عليَّه

***

ياما قاسيت وحدى يا قاسى من سهدى وانته مش دارى
وأخاف فى يوم تشرب كاسى وتـقـاسـى حـيرة أفـكـارى
ولـو داريـت يـوم إخـلاصى عليك يبان شوقى ونـارى
وفيك باعذب قلبى وعينى ولو جافوك ما تهونشى عليّه

فى الجو غيم:

فى الجـو غيم حجب القمر وحرمنى مـن حسن جماله
يـا هـلـترى عـاشـق ظهر ولّا عـذول حـب وصاله

***

ليه البعاد عنى حلى لك		إكمنى يعنى باميل
وعذولى متهنى بميلك		وأنا اللى وحدى عليل
كنا سوى لما يلوعنى الهوى		يصعب عليه نوحى وميلى
وأغير عليك من النسيم لو طال إيديك		وألقاه بيعطف على حالى
ولما هنّيته بميلك		هانت عليه أوجاع قلبى
ويحسب يحرمنى خيالك		ويخاف لا شوفك فى منامى

***

معذور ما دام عاشق وعزول		وانته اعتذارك إيه فى هوانى
يا قلبى آه حتفيدك إيه		وقولتى آه بتزيد شقاك
مسكين مجروح من طول النوح		واسيه واشفيه با دموع العين

ما كانش عالبال:

ما كانش على البال تشغل بالى		يا روحى وتسهَّرنى ليالى
ما كانش عالبال

***

سألت طيفك يوم بعتاب		إيه اللى غيرَّ حال عن حال
قال لى المطر من بعد سحاب		وأقول لروحى أن بُعدك طال
ما كانش عالبال

***

ياما سهرت الليل أناجيك		يا اللى حرمت العين رؤياك

ده البعد يشغل بالى عليك وأقول لقلبى يوم لقياك

ماكانش عالبال

***

فين يا حبيبى زمانى معاك روَّح وفاضل شوقى إليك

قلة نصيبى اليوم فى هواك لما تغيب أقول فى عينيك

ماكانش عالبال

***



حكاية ديوانه المفقود!

كان تواصلى مع الشاعر أحمد عبدالمجيد أثناء غربتى فى سلطنة عمان كمدير تحرير لمجلة «السراج» الثقافية منذ ٥ فبراير ١٩٧٦ بالرسائل حيث كان يفيض فى رسائله بالحديث عما يعتمل فى نفسه من مشاعر وأحاسيس وبعض شئون الأدب والحياة وفى حوالى عام ١٩٧٩ بدأت رسائله تأخذ مسارا مختلفا، حيث بدأ يبوح لى في رسائله بتجربة حب روحية سامية بدأت بينه وبين أديبة حسناء اسمها «سلوى» وما أكثر ما يوجد من «سلوات» فى عالم الأدب والصحافة والثقافة، والتى حركت مشاعره الأبوية والوجدانية فألهمته العديد من القصائد العاطفية الرقيقة التى تدخل فى باب الحب العذرى العفيف، وغالبًا كان الحب من طرف واحد، حيث عاملته كأب وصديق عزيز وكانت عاطفتها من ناحيته هى عاطفة الاحترام والشفقة والتقدير مثلها مثل الفنانة زوزو نبيل والشاعر إبراهيم ناجى ونجاة الصغيرة وكامل الشناوى وأم كلثوم وأحمد رامى، الحب المحروم المستحيل الذى يبدأ من طرف الشاعر ولا تستجيب الأسلاك إلا بقدر بسيط، فتعهد الملهمة إلى إلهاب مشاعر العاشق المحب بذكاء وبغريزة الأنثى حتى تشعل مشاعره وتلهمه أصدق مشاعر الحب.. فتقترب وتبتعد وترضى وتغضب وتشعله وتطفئ نيران حبه الجارف دون الوصول إلى شاطئ الحب!

وقد أفاض لى فى رسائله ما يعانيه منها من تلون وصدود وجفاء ثم وصال،

وما يسببه له ذلك من عنت وإرهاق نفسى وجسدى وعاطفى رغم مشاعره السامية وحبه العفيف السامى.

وكان يرفق بخطاباته بعض قصائد من ديوانه الذى استوحاه من عاطفته الجياشة نحوها وسماه «نجوى» على وزن «سلوى» حيث لمست فى تلك القصائد الحرارة والصدق ومشاعر الحب الجياشة وأشفقت عليه ألا يتحمل قلبه الحساس معاناة هذا الحب اليائس المحروم الذى يتعرض لصدمات الدلال والمناورات العاطفية المعروفة عند بنات حواء لتسعد بمشاعره الجارفة وهى تراه يذوب وجدًا صامتًا خجولاً!

كنت أحس من رسائله أن قلبه كان يخفق كلما رآها، وخياله يلتهب والخواطر والأفكار تنبثق من ذهنه فجأة، ثم تفيض عليه وتغمره، وعندما يعود إلى بيته، لا يلبث حتى يتمثلها أمامه، فيشرع من فوره فى نظم قصائده ليعبر فيها عما لم يستطع أن يصارحها به، وكان يكفيه أن هذا الحب السامى لم يأسره إلا لأنه أيقظ عقله، وألهب ذهنه، وأضرم فيه تلك النار التى كان يحلم بها، نار الوحى والإلهام تنبعث من عينى مثاله المنشود، الذى كان يرى فيها الابنة والصديقة والحبيبة الملهمة التى كان ينشدها والتى تجمع بين الجمال والعذوبة والثقافة والعقل الراجح!

وعندما عدت إلى القاهرة من ديار الغربة صدمت بخبر وفاته فى أكتوبر ١٩٨٠ فذهبت مع زوجتى الراحلة نهلة عبدالله الشهابى لزيارة السيدة زوجته فى شقتها فى شارع قصر العينى بالقاهرة واستقبلتنا ومشاعر الحزن العميق تلفها وقدمت لى بعض أوراقه التى كان يكتب فيها خواطره وأفكاره ثم زرت فيما بعد ملهمته «سلوى» التى كان يصارحنى فى رسائله بكل تطورات مشاعره نحوها، واستقبلتنى فى مكتبها فى مقر عملها وأبدت مشاعر الحزن والأسى لرحيل هذا الشاعر الحساس الذى كانت

تعتبره بمثابة الأب الروحى لها وأخبرتنى أنه أهدى لها قبل وفاته ديوان «نجوى» مخطوطا وظل عندها فترة ولكنها فكرت فى طريقة لنشره تقديرًا لشاعريته، وتحية لروحه فسلمته للشاعر فاروق شوشة (١٩٣٦ - ٢٠١٦) لينشره. لكن مضت السنون ولم ينشر الديوان المفقود حتى الآن.. فآثرت أن أقدم هنا بعض قصائده التى كان يرسلها لى فى رسائله أثناء غربتى عن مصر فى العاصمة العمانية مسقط وأنا اتولى تحرير مجلة السراج الثقافية.

نسيت أن أقول إن الشاعر أحمد عبدالمجيد منذ عرفته مطلع عام ١٩٧٠ كنت ألتقى به أسبوعيًا فى مقهى أسترا بمديان التحرير المقابل للجامعة الأمريكية فى حديث يتناول ذكرياته ومسيرته الدبلوماسية ومشواره مع الشعر والفن والغناء، وكنت بدوري أطلعه على كتبى المخطوطة ليبدى لى رأيه فيها فخصنى بكتابة مقدمات رائعة لعدة مؤلفات لى فى أدب السير والتراجم عن الشعراء: على محمود طه وأحمد فتحى وإبرهيم ناجى، وإن كان كتابى عن ناجى بمقدمة أحمد عبدالمجيد قد فقد عند الناشر شريف الأنصارى صاحب المكتبةة العصرية فى بيروت أثناء الحرب الأهلية فى لبنان.

***

وبعد، فالذكريات كثيرة عن أحمد عبدالمجيد الشاعر والأديب والمترجم والإنسان، ويكفى أنه عاش فى صمت ورحل فى صمت دون أن يكرمه أحد وترك لنا ثروة أدبية نفيسة من شعره ومؤلفاته ومترجماته، ولعل كتابى عنه متضمنا أعماله الشعرية يأتى إنصافا لهذا الشاعر الكبير الذى أثرى حياتنا الأدبية والفنية بروائعه وأعماله الأدبية الرفيعة.

محمد رضوان

محمد رضوان

- ولد محمد محمود رضوان بمدينة الجمالية - محافظة الدقهلية بمصر فى ١٥ سبتمبر ١٩٤٨م.
- حاصل على ليسانس كلية دار العلوم جامعة القاهرة عام ١٩٧١م.
- صحفى بدار الهلال - عضو نقابة الصحفيين - عضو اتحاد كتاب مصر (جوال: ٠١٠٠٦٧٥٩٢٢٤).
- من الأدباء والنقاد الذين تناولوا مؤلفاته بالدراسة والنقد والتحليل «صالح جودت - أنيس منصور - أحمد عبدالمجيد - عبدالعليم القبانى - د. مقداد يالجن - كمال النجمى - كمال نشأت - فاروق شوشة - محمد إبراهيم أبو سنة - د. ماهر شفيق فريد - د. يوسف نوفل».
- له خبرة فى الصحافة الأدبية والسياسية، حيث عمل فى سلطنة عُمان رئيساً لتحرير مجلة السراج الأدبية (١٩٧٦)، ومديراً لتحرير مجلة «النهضة» السياسية (١٩٨٢)، ويعمل حالياً مديراً للتحرير بدار الهلال بالقاهرة.
- ابتدع لنفسه منهجاً أدبياً فى كتابة السير سماه «المنهج الوجدانى» يجمع بين الموضوعية والعاطفية، بين التحليل الأدبى النفسى وذاتية الكاتب وذوقه الأدبى، ولعل بداياته القصصية هى التى ساعدته فى تأصيل هذا المنهج واكتسابه قاعدة طيبة من القراء، فوصفه السفير الشاعر أحمد عبدالمجيد بقوله: «حين يتولى محمد رضوان كتابه سيرة لشاعر من الشعراء نراه يدلف

إلى روحه ويتسرب إلى حياته وما اضطرب فيها من حال إلى حال، ويتشح برداء عصره الذى عاشه، ويتنسم ما كان يستنشقه، فتجئ ترجمته كظل الغصن أو رجع الصدى».

- له أكثر من عشرين كتاباً فى أدب السير منها: صفحات مجهولة من حياة زكى مبارك - مأساة شاعر البؤس: عبدالحميد الديب - اعترافات شاعر الكرنك أحمد فتحى - شاعر الأطلال ناجى - شاعر الجندول على محمود طه - شاعر النيل والنخيل: صالح جودت - رحلتى مع القلم - شعراء الحب - عندما يحب الشعراء - شعراء البحر - اعترافات السندباد المصرى
- قام بجمع وتحقيق دراسة:

- ديوان شاعر البؤس، عبدالحميد الديب «القاهرة ٢٠٠٠».
- ديوان شاعر الجندول على محمود طه «القاهرة ٢٠١٠».
- ديوان شاعر الكرنك أحمد فتحى «القاهرة ٢٠١٢».
- ديوان شاعر الحب والثورة أبوالقاسم الشابى «القاهرة ٢٠١٢».
- ديوان شاعر الحب والحرية صالح جودت «القاهرة ٢٠١٢».

فهرس المحتويات